

مجلة كلية الآداب



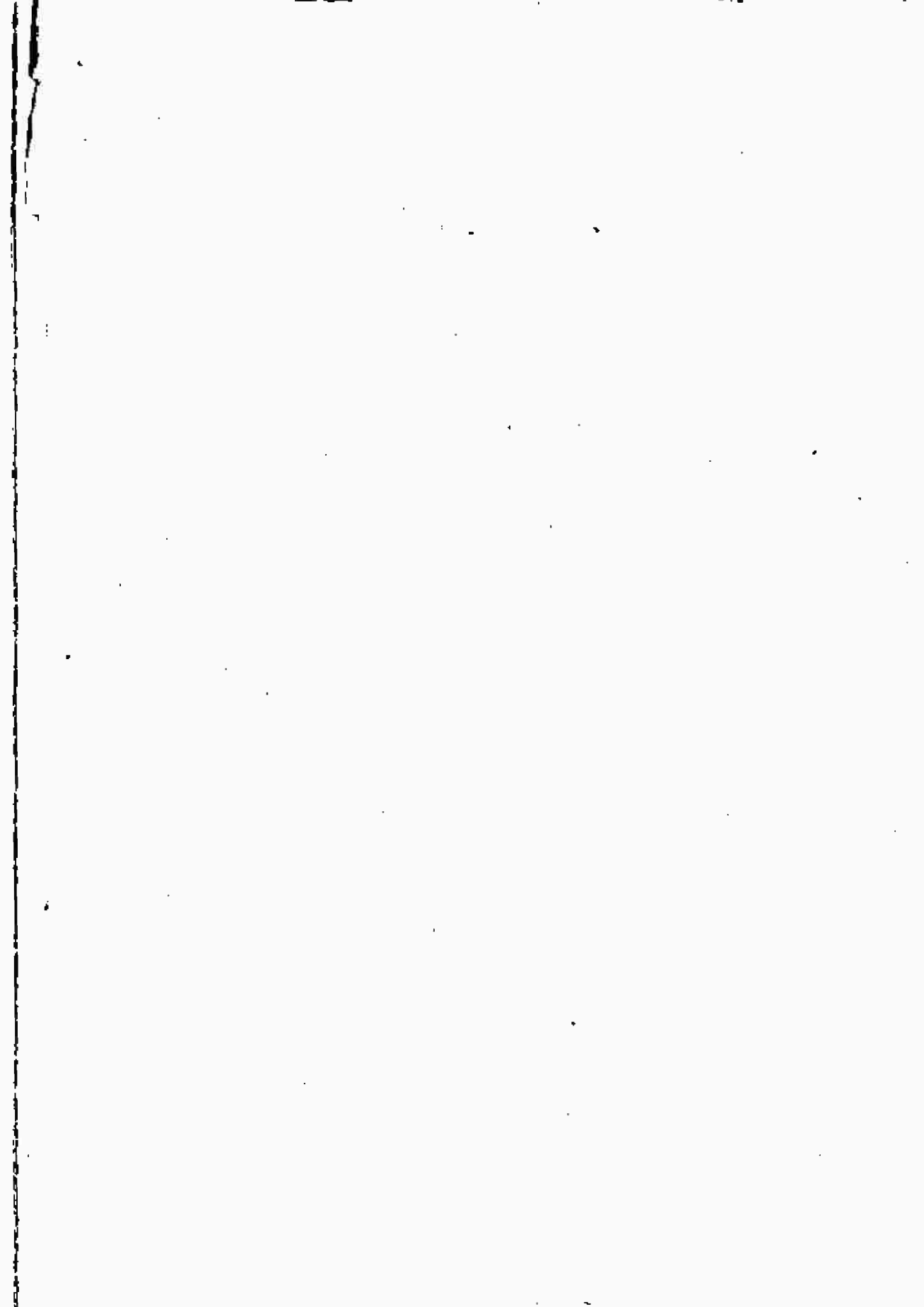
المجلد الثالث والثلاثون

١٩٨٤

تطلب هذه المجلة من مكتبة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية
بالشاطي ، وتوجه المكاتبات الخاصة بالناحية العلمية
إلى كلية الآداب

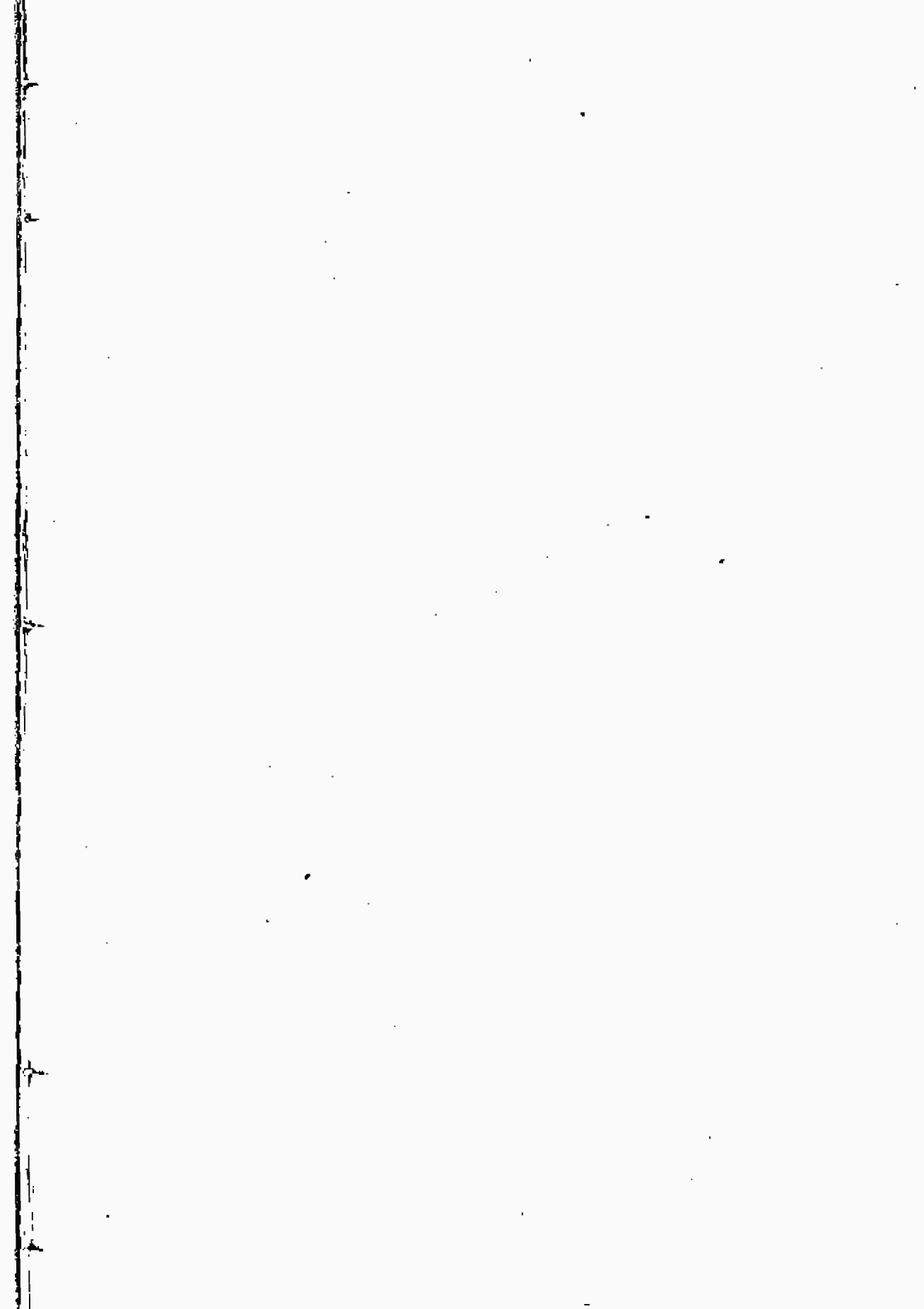
مطبعة جامعة الإسكندرية

١٩٨٥



المحتويات

١	د. حين عبد الباسط	المجلات التجارية بين العرب والفرس قبل الاسلام .
٢٧	د. حين عبد الباسط	المجلات السياسية بين العرب والفرس قبل الاسلام .
٦٥	د. حين عبد الباسط	نشأة اللغة العربية والخط العربي قبل الاسلام .
١١٥	د. جابر سلامة المصري	الحجيج المصري في العصور الوسطى .
١٨١	د. عبد الفتاح عبد الله د. عزة محمد حمدي د. ملوى عز الدين فكري د. السيد محمد سليمان	الخصائص الميدانية للاعبين المؤثرين على جو الطريق - دراسة ميدانية في ديناميات الجماعة الصغيرة .
٢٢١	د. سمى ابراهيم د. عزة محمد حمدي د. ملوى فكري د. ليلا المسيدى	الرياضة المدرسية ووقت الفراغ . - دراسة تحليلية لوقت تلاميذ المرحلة الاعدادية والثانوية لدولة الامارات المتحدة .
٣١١	د. جابر سلامة المصري	تقى الدين ابن دقيق العيد .

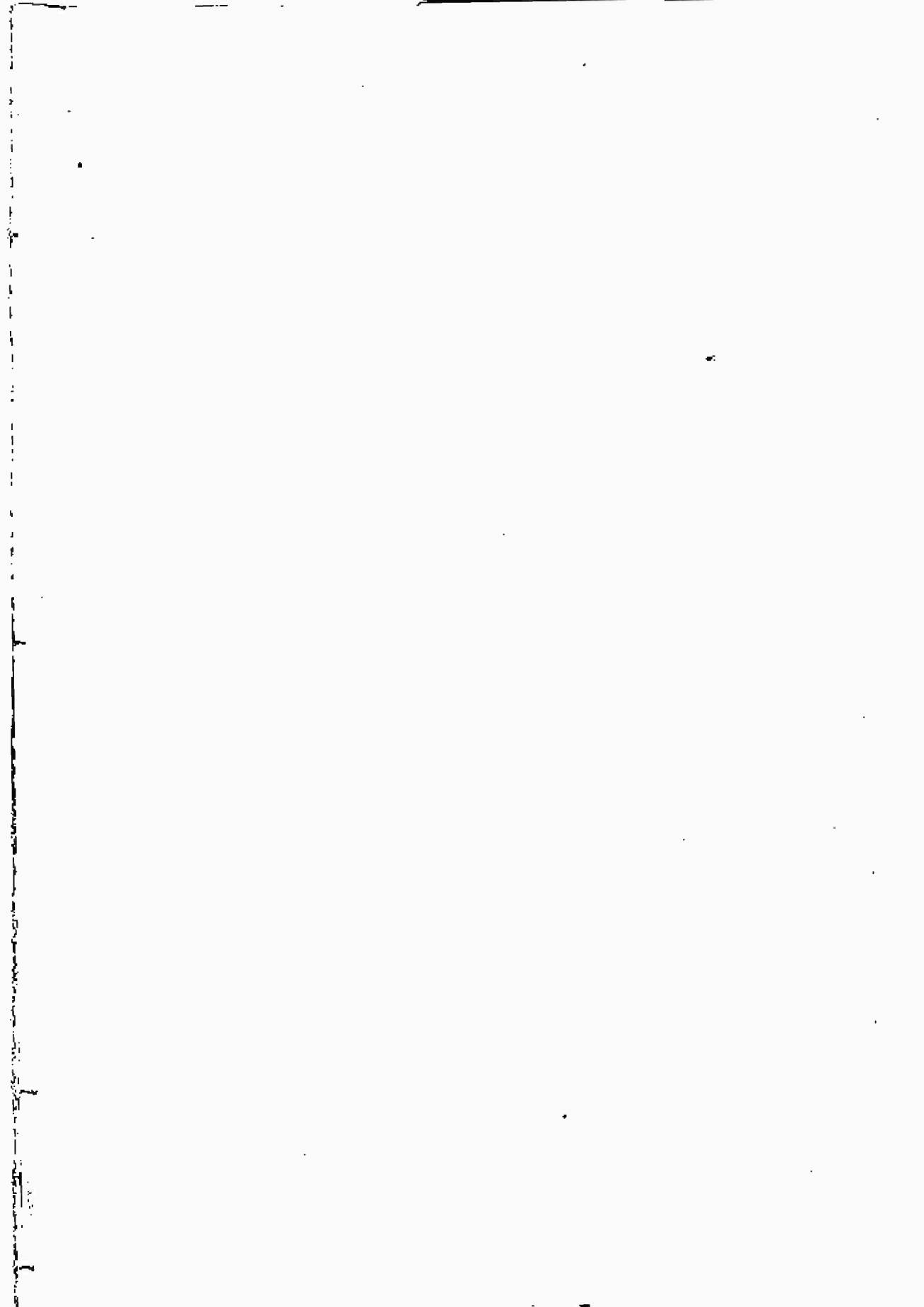


المصادات التجارية بين العرب والفرس
قبل الإسلام

الدكتور

حسين عبد الباقط

قسم اللغة العربية واللغات الفرعية
كلية الآداب - جامعة الاسكندرية



مرفق رقم (١)

هذه الدراسة تختص ببحث علمي على فرق كرة اليد ،
ولذلك فنحن نحتاج الى معلوماتك ، ورجاؤنا أن تفكر جيدا
قبل تسجيل اجابتك حتى تعبر عن رأيك الحقيقي الذي سيتوقف
عليه تحقيق هدف هذه الدراسة :

هذه البيانات سرية للغاية ولن نستخدم الا في أغراض
البحث العلمي .

١ - عند اشتراكك في مرحلة بناء الهجوم من المراكز والتي
ينفذها الفريق كله متجمعا كوحدة وعندما تكون هذه العملية
الهجومية لها اهمية في تحديد نتيجة المباراة (تعادل -
هزيمة - فوز بفارق هدف واحد) .

من هم لاعبي فريقك الذين يصنعون اطلوب اللعب ويكون
لهم أكبر تأثير في رفع روحك المعنوية انت وزملائك فسي
هذه الفترات الحرجة وتفضل اشتراك احدهم في قيادة الفريق
في مثل هذه المواقف الصعبة ؟

رتبهم ترتيبا تنازليا حسب تفضيلك لهم :

— — —
— — —

- ماهي الاسباب وما هي الصفات الشخصية التي ادت الي
اختيارك لهم ؟

٢ - عند اشتراكك في عملية هجوم شتائية او تكوين شتائى (قطع - تبادل مراكز - حجز) لآخر از هدف تتحدد منــــه نتيجة المباراة من هم لاعبي فريقك الذين تشعر انهم يرفعون من حماسك ويؤثروا على انجازاتك ويوجهون هــــذه التكوينات الشتائية وتفضل ان يمرر احدهم الكرة اليك ؟
رتبهم ترتيبا تنازليا حسب تفضيلك لهم :

— — —
— — —

٣ - ما هي الاسباب وما هي الصفات الشخصية التى ادت الــــى اختيارك لهم ؟

٣ - عند اشتراكك في تدريبات جماعية مكونة من (٥) لاعبين بفرض الوصول الى مستوى اداء عال جدا ، من هم لاعبي فريقك الذين تفضل ان يشتركوا معك في هذه التدريبات وتشعر انهم يوجهونك باخلاص وحماس وثيق فى ارشاداتهم ؟
رتبهم ترتيبا تنازليا حسب تفضيلك لهم :

— — —
— — —

٤ - ما هي الاسباب وما هي الصفات الشخصية التى ادت الــــى اختيارك لهم ؟

مرفق رقم (٢)

استمارة تفريغ الملاحظة

تاريخ المباراة :
 اسم فريق ٢ :
 اسم فريق ب :
 الزمن عند بداية المباراة :
 الزمن عند نهاية المباراة :

اسماء اللاعبين رقم مركز
 اللاعبين اللاعبين
 مواقف هجوم كل تحقيق نتائج
 مواقف دفاع نتائج

١
٢
٣
٤
٥
٦
٧
٨
٩
١٠

المجموع الكلي
للفرع

تحقيق نتائج مع تسجيل هدف (✓)
تحقيق نتائج بدون تسجيل هدف (X)
ملاحظات :-

-
-
-

Field Characteristics of Players Influencing
Team Atmosphere. A Study in the Dynamics of
the Small Sport Group. Dr. Abdelfattah Abdal-
lah, Dr Azzah Hamdy, Dr. Salwa Fikry and
Dr. Sayed Soliman.

The study aimed at recognizing the Field characteristics of players with social power who influence team atmosphere during whole and dual attack situations in handball matches . It was carried out in the period from December 1982 to April 1983. The sample comprised (30) handball players representing three teams of different standards (high- medium- low) . Influential players were defined by the sociometric test and field characteristics by observations recorded on cassette-tapes. Eighteen matches were observed, covering (1080) minutes distributed among (36) periods of (30) minutes each . Important results concluded that the more better the standard of performance is, the more than one influential player has the chance to appear. If the standard becomes low, the influencing type will be centralised upon one player only. field characteristics of players influencing communication were defined during whole attack situations, leadership and guidance during dual ones.

In the light of these results researchers recommend the depending on communication when recognizing influential field players in handball teams. They are

characterised by big number in receiving and passing during the match. For the sake of raising the standard of influential players as to bettering communication, they have to undergo a special program concerning the accuracy of passing and receiving within the different systems of attack. Besides, the players have to perfect the whole and dual basic movement formations.

Different kinds of shooting have to be accurate. There is a possibility of using the suggested formula for recognizing field influential players in the match. Researchers also recommend an increase in field researches in the dynamics of group teams dealing with other dimensions not dealt with in this study.

اسماء السادة الملاحظين

د. عبد الفتاح عبد الله أستاذ معاهد بقسم طرق التدريس ،
كلية التربية الرياضية للبنين
بالاسكندرية .

د. عزة حمدي مدرس بقسم الألعاب - كلية
التربية الرياضية للبنات
بالاسكندرية .

د. طلوي عز الدين مدرس بقسم الألعاب - كلية
التربية الرياضية للبنات
بالاسكندرية .

د. سيد سليمان مدرس بقسم الألعاب - كلية
التربية الرياضية للبنين
بالاسكندرية .

الأستاذ محمد عبد العاطي مدرب كرة اليد بنادي الوصل
بدولة الامارات ونادي سبورتنج
بالاسكندرية خبرة ٢٠ سنة فمضى
مجال التدريب .



الصلات التجارية بين العرب والفرس قبل الاسلام

عرف العرب التجارة منذ أقدم العصور ، واعتبروها أحرف الحرف قدرا وأعلاها منزلة ، وتاجروا مع معظم الدول التي كانت مشهورة في ذلك الوقت سواء أكانت مجاورة لهم مثل الفرس والروم أو قرىبة منهم مثل : مصر والحبيشة أو نائية عنهم مثل الهند والصين وسيلان ونهرها ، ولم أوردنا أن نتبع صلات العرب التجارية مع كل دولة من الدول السابقة لطال بنا الحديث ، ولهذا نكتفي بالتحدث من هذه الصلات مع دولة واحدة ولتكن فارس ، لأن صلات العرب التجارية بها كانت قديمة جدا ولا يمكن تحديدها بتاريخ معين ، كذلك لا يمكن التفرق اليها من جانب واحد لتعدد جوانبها ، وفي نفس الوقت لم أخذنا نقتصر ونتقرب عن كل جانب من تلك الجوانب لطال بنا الحديث ، ولهذا نكتفي بالتحدث من أهم هذه الجوانب ، وهي تمثل في إمارة الحيرة ومدينة مكة وأسواق المنطقة الشرقية والجنوبية والغربية ، لنرى إلى أي مدى توثقت الصلات التجارية بين العرب والفرس في ذلك الوقت .

أولا : الحيرة :

شارك عرب الحيرة منذ نهام الحارثيين وأزد هارها الفرس في الملاحة والتجارة فبنوا السفن وحطروها بحاصلات المراكب وماورد اليهم من بلاد الشام والسرزم واليونان كالحديد

والنحاس والتصدير وغيره ، وبخروا بها نهر الفرات حتى الأبله (١) وهي من ممالك كسرى في ذلك الوقت ، وهناك انقسمت السفن الى قائلتين ، وقد سارت احدها في محازاة الشاطئ الشرقي للخليج العربي بالقرب من ساحل بلاد الفرس بينما اتجهت الأخيرة صوب الشاطئ العربي للخليج العربي بالقرب من الشاطئ الشرقي للجزيرة العربية . ثم سارت في البحر الهندي حتى وصلت في عدن ، وكان تجار هاتين القائلتين يجمعون في كل ميناء ترسو سفنهم فيه ما لا يكون فيه من الحاصلات ، يأخذون منه الى غيره ما يروج فيه من منتجات (٢) .

ثم تنشر سفن الفرس وأهل الحيرة أشرفها وتتوغل في المحيط الهندي ، فمنها ما تنفذ لساحل أفريقية ، ومنها ما تنجس صوب موانئ الهند ، ثم تنفذ جزيرة سيلان (سريلانكا أو سرنديب) ، ويبيع الفرس والحيريون سلعهم للهند في موانئ الهند ، والصينيين في موانئ سيلان وملاؤن سفنهم من عروض تجارة الهند والصين مثل : الحرير وعود اللند والمنفصل والقرنفل والزعفران والصمغ والعاج والدر والرجان وغيرها من حاصلات ثغور البحار .

وتعود السفن أودراجها وتفرغ بعضها الصلع في الدائن ، وبعضها الآخر في الحيرة ، فيأخذ الفرس والحيريون حاجتهم منها ، ثم يبعثون بالباقى الى بلاد الشام والروم والعرب وبصر .

وقد عرف أهل الحيرة بششاطهم التجاري في الأسواق التي كانت تقام في شتى أرجاء شبه الجزيرة العربية حتى قيل : " انك لا ترى بلدا في الأرض ليس فيها حيرى " (٣)

- (١) مكانها الحالي البصرة .
- (٢) يوسف رزق الله غنية : طبعة داتكر الحديثة ، بغداد ١٩٣٥ م الحيرة المدينة والملكة العربية ص ٩١ - ٩٢ .
- (٣) ابن القتيبة : مختصر كتاب البلدان ٥١ ليدن ١٩٠٢ .

وقد عمل ملوك الحيرة أيضا بالتجارة ، وكانت لطائمتهم تترى على شتى الأسواق المعروفة آنذاك ، وصاهروا سادات بعض القبائل المعروفة لتعرفوا قواقلهم بسلام عبر أراضي تلك القبائل ، واتخذ ملوك القرس وأمرأ الحيرة خفرا من سادات القبائل الأخرى حتى تعبوا قواقلهم أراضي تلك القبائل من غير أن تتعرض للسلب والنهب ، ومع ذلك كله فلم تتج هذه القواقل دائما فقد تعرض بعضها للسطو من فاتكين أو قاطعي طريق كما حدث للطيبة النعمان بن النضر التي كانت في طريقها إلى سوق فكاظ ولحير كسرى التي كانت متجهة إلى اليمن .

وكان في الحيرة سوق تسمى سوق الخناتس تقام كل سنة مرة ، ويعرض فيها الأدم والخطر والبرود والجواهر والخمر وما يحمّل من عروض الشام ومان والحجاز والبحرين والهند وفارس عدا ما يحمّله الأعراب إليها من ابل وشياه وقرود ، وكان الناس يحضرون إليها من كل صوب وحديب ، وقد زارها في بعض المنين الحكم بن أبي العاص ابن أمية بن عبد شمس راع فيها عطرا * والأغنى راع فيها كرشا صلوة عنبرا بثلاثمائة ناقة حمراء * (١) .

وقال رجل من أهل الحيرة للشئى بن حارثة عندما أراد أن يفتح السوق :
 ألا أدلك على قرية يأتيها التجار من مدائن كسرى والسواد ويجمعون في كل سنة مرة ، وهذه الأيام سوقهم ، ومعهم الأموال كبيت المال ، قال : بلى ، فمار الشئى وجنبوده ومعهم الحيرى حتى وصلوا إلى تلك السوق ، فقال الشئى لأصحابه لا تأخذوا إلا الذهب والفضة ولا تأخذوا من المتاع إلا ما يقدر الرجل منهم على حمله على دابته ، ثم هجم المسلمون على أهل هذه السوق فلولوا هارسين ، وبلا المسلمون أيديهم من الصفراء والبيضاء والنحر من كل عسى . (٢) .

(١) أبو الفرج : الأغانى ١٢٥/٩ ط ٠ دار الكتب المصرية ١٩٢٢ م
 (٢) سعيد الأفغانى : أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ٣٢٤ المكتبة الهاشمية
 دمشق ١٩٣٦ .

وقد عرف أهل الحيرة بحذقهم في الصيرفة وبيع الفلوس حتى قال الطبيب
يوحنا بن ماسويه لتلميذه ، حنين بن اسحق العبادي ما لأهل الحيرة وتعلم الطب - سر
الى فلان من قرابتك حتى يهب اليك خمسين درهما تشتري منها ثيابا صفيرا بدرهمهم
وزرنيخا بثلاثة دراهم واشتر بالباقي فلوسا قادية وزرنيخا في تلك القفاف واتعد على
الطريق ، وجع الفلوس الحباد للصدقة والتنفقة (١) .

ويضح لنا مما سبق أن الحيرة كانت مرتبطة ارتباطا تجاريا وثيقا بالفرس من
ناحية وسعظم دول العالم الشهورة آنذاك وخاصة شبه الجزيرة العربية من ناحية أخرى ،
ولهذا أصبحت حلقة اتصال بين دول العالم القديم في ذلك الوقت ولهذا أسرى
معظم سكانها ثرا ، عريضا من جراء تلك التجارة التي كانوا يزاولونها في داخل الحيرة
أو في خارجها .

ثانيا : مكة :

اشتغل القرشيون بالتجارة منذ القرن الأول الميلادي تقريبا وكانت تجارتهم
لا تعتمد مكة ، ويترى عليهم الأعاجم بالسلع ، فمشترونها منهم ثم يتباهمون بها بينهم على
من حولهم من العرب ، وظلوا على هذا النحو حتى بداية القرن السادس الميلادي حين
رجل هشام بن عبد مناف الى الشام ، وتمكن من الدخول على فيصر الروم ، فرجاه أن يكتب
له كتابا يوه من فيه تجارة قريش فيقدموا على الشام بما يشترط من أدم الحجاز وشبابه ،
فبيع بأرخص الأسعار ، فكتب له كتاب أمان لمن يقدم منهم الى الشام فأخذه ، وتقبل
راجعا الى مكة ، فجعل كلما ربح من أحياء العرب يأخذ من أشرافهم ايلافا مضمونة
أن تمر قوافل قريش التجارية عبر أراضيهم في أمان ، وأن تحمل قريش بضائع هؤلاء الأشراف

(١) ابن أبي أصمعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ١/ ١٥٥ ط . الاقبال - بيروت
١٩٥٦ م .

الى الشام ، وتبيعها لهم ، وعند مرورها عليهم أثناء العودة تؤدى اليهم رؤوس أموالهم وريحهم .

" فوجدت قريش بذلك الصنيع فرحاً عظيماً وخرجوا بتجارة كبيرة ومعهم هاشم حتى أوردتهم الشام ، وأحلهم قراها ، ومات فى تلك المرحلة فى غزوة .

وخرج المطلب بن عبد مناف الى اليمن فأخذ من ملوك حير عهداً لمن يتجر اليهم من قريش ، وأخذ الايلاف من القبائل التى مر عليها أثناء عودته الى مكة مثل أخيه هاشم ، وفرح القرشيين بذلك الايلاف أيضاً ، وأخذت قوافلهم تنثر على أرض اليمن ، وقد مات المطلب فى إحدى القوافل فى " ردمان " باليمن .

وخرج عبد شمس بن عبد مناف الى الحبشة فأخذ حبلاً وإيلاماً (١) من النجاشى الأكبر لقريش فاختلفوا بذلك السبب الى أرض الحبشة ، ومن الجدير بالذكر أن القرشيين كانوا يستخدمون سفناً حبشية فى نقل بضاعتهم الى الحبشة أو فى نقل بضاعة الحبشة الى بلاد العرب ، ولم تكن لهم سفن خاصة بهم .

واتجه نوفل بن عبد مناف الى بلاد فارس فأخذ عهداً من كسرى لتجار قريش وإيلاماً من مر بهم من العرب أثناء عودته مثل أخيه هاشم فأخذت قوافل قريش ومعهم نوفل تنثر على بلاد العراق وأرض فارس ، وقد مات نوفل فى " سلمان " بطريق العراق أثناء سيره مع إحدى هذه القوافل " (١) .

وهكذا احتكر آل عبد مناف التجارة ، وصاروا من أعظم تجار مكة ، وقد وزموا التجارة فيما بينهم ، وخصوا كل بيت من بيوتهم الكبيرة بالتجارة مع مكان من أماكن الاتجار الشهيرة فى ذلك العهد ، وأنهم تمكنوا بهذه السياسة من تسهيل معاملاتهم التجارية فجنوا من هذه التجارة أرباحاً كبيرة .

(١) أبو على الفاضل : الأملالى ١٩٩/٣ - دار الكتب المصرية الطبعة الثانية ١٩٢٦ م

(٢) الايلاف العهد والميثاق .

وكان تجار قريش لا يرحلون الا من دار الندوة ، واذا عادوا اناخروا ابلهم فيها
ايضا ، وان مال القافلة لم يكن مال رجل واحد ، او اسرة معينة بل كان يخص تجارا من اسر
مختلفة وانفرادا وجدوا عندهم المال او اقترضوه من غيرهم ، ورموه في رأس مال القافلة
املا في ربح كبير .

وقد استفاد أهل مكة من غزو الأحباش لأرض اليمن إذ انحصر كل نفوذ سياسي
أو عسكري كان للحبشيين في الحجاز أو على بعض القبائل ، ووجدت قريش نفسها حرة
في استغلال مواهبها في التجارة فقامت بسبب الوسيط تنقل تجارة أهل اليمن وجنوب
بلاد العرب إلى أسواق الشام ، وتنقل تجارة الشام وحوار البحر الأبيض المتوسط إلى
الحجاز ونجد واليمن ، وبذلك حصلت على أرباح عظيمة (١) .

وعندما استولى الفرس على اليمن أخذوا يتدخلون تدخلا مباشرا في تجارة
جنوب شبه الجزيرة العربية ومنطقة الخليج العربي فيربطون البضائع من أسواق العراق إلى
اليمن ، ويأخذون في مقابلها بضائع من أسواق افريقية وجنوب الجزيرة العربية كما أخذ
ملوك الحيرة يربطون لطائفتهم إلى اليمن للبيع والشراء (٢) .

وقد أثر هذا الوضع في تجارة أهل مكة تأثيرا كبيرا إذ انتزع الفرس وملوك الحيرة
من أيديهم نمطا من أرباحهم ، ومع ذلك التزم الكيون بالحياد تجاه المعسكرين الفارسي
والرومي ، لأن الانحياز إلى أحد المعسكرين سيؤدي إلى عرقلة تجارتهم مع بلاد المعسكر الآخر .

(١) الأزرقي : أخبار مكة ص ١٢٨ ط . دار المعارف العشانية ، الهند
١٣٣٢ هـ .

(٢) جواد علي : الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٤ / ٤٠ مكتبة النهضة
بيئداد ١٩٧٦ م .

وقد تجلنى ذلك بوضوح عندما استعان عثمان بن الخويرث بن أسد بـ
عبد العزيز بغير الروم لى يملكه قريشا فكتب اليه له عهدا الى سادة قريش وختمه
بالذهب ، فهابت قريش القيصر وهما أن يدينوا له ، ثم تداركوا الأمر ، وقام الامم
ابن عبد المطلب ، فصاح والناس من الطوائف : ان قريشا لقاح لامتلك ولا تمك ، ورد
القريشون كلامه ، ونعموا عثمان ما جاء به فأتجه الى الشام ويقى بها حتى مات عند
ابن جفنة الفماني ، وقد ورد ذكر الايلات في القرآن الكريم ، فقال تعالى في سورة قريش
" لا يلائق قريش ايلاتهم رحلة الشتاء والصيف ، فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم
من جوع وأشبعهم من خوف " .

وكانت رحلة الشتاء الى اليمن والحجشة ورحلة الصيف الى الشام ، ولم يشر
أهل الأخبار الى رحلة جماعية الى العراق وفارس على غرار رحلات الشتاء والصيف ، وإنما
أشاروا الى توافل صغيرة كانت تذهب الى العراق وفارس يبعث بها أصحابها في أى وقت
يشاءون ، وقد يراسون توافلهم بأنفسهم .

ولو اردنا ان نتبع تجار مكة الذين ذهبوا الى العراق وفارس لاطلنا كثيرا ،
ولهذا نكتفى بذكر جماعة منهم على سبيل المثال لا الحصر :-

١ - عبد الله بن جدهان كان من أثرياء قريش ومن تجارها المشهورين ، وقد ذهب مع
احدى قوافله الى بلاد فارس ، وتكن من الدخول على كسرى ، فاحسن وفادته ،
وأطعمه الفالودج ، فقال عن صنعه ، فقبل له : لباب البر يملك مع عمل النحل ،
فأعجبه فاشتاع غلاما يعرف صنعه ، ثم قدم به مكة ، وأمره أن يصنع له الفالودج ويضع
الموائد بالأطح الى باب المسجد ثم نادى مناديه : ألا من أراد الفالودج فليحضر
فحضر الناس (١) ، وكان فيهم أمية بن أبى الصلت الذى أعجب بالفالودج (٢) فقال :

(١) أبو الفرج الأصفهاني : الاغانى ٣٣٠/٨

(٢) قال صاحب الأملس إن أمية بن أبى الصلت أكل الفالودج في دار عبد الدان بن الريان
بجبران فأعجب به وقال :

له داع بمكة شمعيل
الى ربح من الشيزي ملا
وأخر فوق دارته ينادي
لباب البر يلبك بالشهاد (١)

٢ - أبو سفيان وكان يتردد كثيرا بقوافله التجارية على أسواق الشام واليمن ، ثم تكرر
في ارتياد أسواق الحيرة ونارس ، فخرج في جماعة من قريش ، فساروا حتى وصلوا
إمارة الحيرة ، ثم تجاوزوا حدودها الشرقية ، ووجدوا أنفسهم قد تغفلوا فمضى
أرض فارس من غير أن يؤذن لهم بدخولها فقال أبو سفيان : أنا في ميمنة هذا
لعل خطر عظيم وما قد وثا الا على ملك جبار ، لم ياذن لنا في القدوم عليه ، ولكن
ايكم يذهب بالحير فان أصيب فتحن برا من دمه ، وان غنم فله نصف الربح .

فقال غيلان بن سلة دعوني اذن فأتاها ، فدخل الوادي فجعل يطوقه
ويضرب فروع الشجر ويقول :

ولو رأي أبو غيلان اذ حشرت
لقال رهيب ورهيب يجمعان معا
من الأمير الى أمره غلبق
حب الحياة وحول النفس والشفق
أما بقيت على مجد ومكرمة
أو أسوة لك فيمن يهلك الموقف

* لقد رأيت القائلين وتعلمهم
ورأيت من عبد المدان خلانفا
فأريت أكرمهم بنى الديسان
فضل الانام بهن عبد مدان
البر يلبك بالشهاد طعامة
لأما يعلننا بنو جدعان
فبلغ ذلك عبد الله بن جدعان فأرسل الى نجران من جاءه من بعض القالودج فكان
اول من أدخله مكة ، فلما أكله أمة عند ابن جدعان واستطعمه قال " له داع ٠٠ البيتين ٣٨/٢
يجوز أن القالودج الذي صنعته الفلام الفارس بمكة لعبد الله بن جدعان لم يكن لهذا
في مدة الشاعر كما كان القالودج نجران .

(١) اصنع القوم في الطلب يادروا فيه ربح جمع رباح وهي الجفنة العظيمة ، الشيزي
خشب اسود تتخذ منه القصاع .

ثم خرج في القافلة فلما قدم على كسرى تخلق ولبس ثوبين أصفرين ، وجلس يباه حتى أذن له : فقال غيلان : لست من أعدائك ، ولم آتاك جاسوسا لضد من أعدائك ، إنما جئت بتجارة تستمتع بها فإن أردتها فبئس لك ، وإن لم تردّها وأذنت لي بذلك ردّدتها ، فكلّم كسرى ، فلما سمع صوته غيلان سجد ، فقال لـ كسرى المترجم : يقول لك الملك لم يحدث ؟ فقال : سمعت صوت الملك فسجدت اعظاما لـه فاستحسن كسرى ما فعل ، وأمر له بمرفقة توضع تحته ، فلما أخذها ورأى عليها صورة الملك وضعها على رأسه ، فاستجبه له كسرى واستحفه ، وقال للمترجم قل له : إنما بحثنا بهذه لتجلس عليها ، قال : قد علمت ، ولكنى عندما رأيت عليها صورة الملك لم يكن من حق أن أجلس عليها ، ولكن حفيها على التمتع فوضعتها على رأسي ، لأنه أشرف أعضاء وأكرمها على ، فاستحسن كسرى فعله ، واشترى منه التجارة بأضعاف ثمنها ، وكما ، وبعث معه من الفرس من بنى له أطما بالطائف فكان أول أطم بها (١) .

ولما علم أبو سفهان بذلك استبشر خيرا وركز على تجارة فارس وأخذت توافقه تترى عليها ، وكان يصحبها في بعض العرات ، وقد وفد على كسرى في أحداهما وأهدى إليه خيلا وأدما فقبل الخيل ورد الأدم ، وأعطاه مخدّء كانت عدده ، فقال أبو سفهان : واجبوا في هذه حظي من كسرى بن هرمز فخرج من هذه فصار على أحد من حشمه إلا أعطى حتى دفعها إلى خازن له فأخذها ، وأعطاه ثمانمائة أنة من فضة وذهب (٢) وكان من مصلحة كسرى أن يتقرب إلى أهل مكة ويتاجر معهم ، لأن مدّ يدهم تنفع على طريقهم للغاية من الناحيتين السياسية والتجارية .

(١) أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ٤٦/١٢

(٢) ابن عبد ربه : المقصد الفريد ١٧٤/١ تحقيق محمد سعيد المريان ط. الثالثة القاهرة ١٩٥٢ م .

وكان أبو سفیان يتردد على سوق الحيرة ، ويحمل إليها حاصلات اليمن والحجاز ، وكانت له صلات قوية بتجارها وملكها يحمل إليهم الهدايا وتأخذ منهم الطائفة ، وقد قدم مرة على عمرو بن هند ، وأخرى على النعمان بن المنذر ، وكان يعود من سوق الحيرة بحاصلات العراق وما يحتاج إليه أهل اليمن والحجاز من بضاعة .

٣ - سافر بن عمرو بن أمية وكان من أكثر رجالات قريش كرمًا وجودًا وشعرا ومن يتاجرون مع الحيرة ويرحبون ربحا كبيرا ، وكانت له مكانة سامية عند ملك الحيرة النعمان بن المنذر حيث يأمر بضرب قبة من آدم حراء له ، وكانت قوافله تتابع على الحيرة ، وقد مات هناك في أيام النعمان بن المنذر ورثاه أبو طالب (١) .

* وكان تجار الحيرة يزورون مكة لتجاريسها ، ولهم مع تجارها عقود وجوار وتجارة فاذا ذهب أحدهم إلى مكة نزل على حلوة وجاره ثم باع ما حده من تجارة واشترى ما يجده من مكة من ملح مرغوبة عند أهل الحيرة ، وكان منهم من كون مع حلفائه من أهل مكة تجارة مشتركة تنجز أعمالها بالمراسلة فهدر الحيريين أعمال الشركة بالحيرة ويدير الكيول أعمالها بمكة . ثم يتراجعون في الحساب ، ويتقسمون الأرباح والخسائر على حسب ما اتفقوا عليه (٢) .

* وقد شارك ملوك الحيرة شعبيهم في الاتجار مع أهل مكة ، وكانت لهم لطائف سنوية إلى سوق عكاظتها هوذا النعمان بن المنذر يبعث إلى سوق عكاظ كل عام لطيفة (٣) في جوار رجل شريف من أشرف العرب يجيئها له ، ويحببها من كل حشد حتى تصل سالمة إلى عكاظ فتباع هناك ، ويشتري له بنفسها ما يحتاج إليه من آدم الطائف ، وسائر الشائع في عكاظ .

ولما جهز النعمان اللطيفة عام ٨٥ هـ قال من يجيئها ، وكان يحضره أناس من أشرف القبائل مغابري له البرقي بن هاشم الضري وكان فتاكًا وقال : أنا أجريها على بني

(١) ابن دريد : الاشتقاق ١٠٣ تحقيق عبد الملام هارون ، ط ٠ الخانجي ١٩٥٨ م .

(٢) الدكتور جواد علي : المصطلح في تاريخ العرب قبل الإسلام ٢٩٢/٧ .

(٣) العير الحملة مكا .

كثانة فقال النعمان : ما أريد إلا رجلا يجيرها على أهل نجد وتهاجم ، فقام عسيرة
الرحال أحد أشراى حوازن فقال : أكلب خليج يجيرها لك ؟ أنا أجبرها لك على أهل
الدمح والقيصم يريد عامة العرب فتحققها عليه البراض ، وعداها استهانة به واستخفافا
بقومه ، وأضرها في نفسه فعدرة شتعا " (١) .

دفع النعمان اللطيفة الى عروة فخرج بها فقبضه البراض ، وعروة عسيرة
ولا يخشى منه شيئا ، لأنه شيع بين قومه من غطفان ، حتى اذا بلغنا " فذك " نزل عسيرة
في أرض يقال لها " أواره " فشرب الخمر وقتل عروة ، ثم قام فنام .

" اغتم البراض الفرصة وانسل اليه في خبائه ، فلما رأى عروة اعذر اليه
وقال : كانت ضى زلة ، فلم يند الا هذار شيئا فانقض عليه ، فقتله ، واستاق اللطيفة
الى خيبر ، وبعث رسولا الى حرب بن أمية يخبره بأنه قتل عروة فلهحذر فيها (٢) .

وقد أهاج مقتله الحرب بين قريش ومن معها من كثانة ومن قيس عيلان ، وتواترت
الأيام بينهم فكانت خمسة أيام في أربع سنوات وهي يوم نخلة ويوم الشظية ويوم المبلان —
شرب يوم الحزيرة (٣) ، ويرجع أهمية هذه الأيام لوقوعها في الأشهر الحرم وخرج المتحاربين
فيها على سنة قريش في تحريم القتال في هذه الشهور ، وقد انتصرت فيها قيس عيلان على
قريش وكثانة ، ثم تداعى الفريقان للحلم على أن يذروا الفضل في الدماء ، ويتعاهدوا على
الصلح ، وهكذا كانت تجارة العراقي في عكاظ وما يفيد من يجيرها هو وثيقته من أرباح
مادية رحمة سببا في هذه الحروب .

وتضع لنا ما سبق أن مكة كانت مركزا تجاريا مرموقا في العصر الجاهلي ، ولها
صلات تجارية قيمة مع العراق ونارس ، وكان تجارها يندون على أسواق الحيرة ونارس ليبيعوا
حاصلات الحجاز وطلع اليمن ، ولشترتوا حاصلات العراق ونارس ، وكانوا يزورون طسوك
الحيرة وأكاسرة نارس ويقدون لهم الهدايا ويقبلون أعطياتهم والطائفة ، وكذلك كسان

(١) Olsary: Arabia before Muhammad, p. 22. London, 1927.

(٢) أبو الفج : الاغانى ١٩ / ٢٥

(٣) نخلة موضع قبيل الحرم أما الأيام الأربعة الأخرى فهي في عكاظ أو ما حولها .

تجار فارس والحيرة يقدرون الى مكة بتجاراتهم ليعقدوا صلات تجارية مع تجارهم
أما ملوك الحيرة فكانت لهم لطائف منوية الى سوق عكاظ يبيع ما فيها ويشتري لهم بسلا
منها ملع يحتاج اليها العراقي ، وهكذا كانت القوافل التجارية متوافرة بين مكة والحيرة
وفارس .

ثالثا : المنطقة الشرقية من الجزيرة العربية :

كان لمكان المنطقة صلات تجارية عظيمة بالفرس منذ أقدم العصور ، وكان
مكناها يعبرون الخليج العربي ، وبحر عمان بالحاصلات الزراعية والمنتجات المناعية
التي يجلبونها من شتى أقطار العالم في ذلك الوقت فيبيعون للفرس ما يحتاجون اليه
منها ، ويشترون من حاصلاتهم ما هم في حاجة اليه ، وكذلك كان الفرس يبحرون بمياه
الخليج العربي ، وبحر عمان يشتجبتهم أيضا ، يتاجرون مع العرب في أسواقهم الموسمية
التي كانوا يقيمونها في شتى أرجاء تلك المنطقة .

ومن أهم هذه الأسواق وأشهرها سوق المشقر ، وسوق حجر وسوق عمان
وسوق صحر وسوق دبا ، ولو أردنا أن نتحدث عن النشاط التجاري لهذه الأسواق
بالتفصيل لأطلقنا كثيرا ، ولهذا نكتفي بذكر أهم ما تميزت به كل واحدة منها لنبين لنا
الى أي مدى بلغت الصلات التجارية بين العرب والفرس .

١ - سوق المشقر

سوق ضخمة تستمر طوال شهر جمادى الآخرة ، وتقع على حصن شيع بين نجران
والبحرين وقد ذكره الأعمى فقال :

فان تشموا منا المشقر والصفاء فانا وجدنا الخلدما نخيلها

ويجاء هذه السوق من قبائل العرب نعيم وعبد القيس ، ولا تذهب لطبيعة
الا تخلف من أصحابها أناس فكان بها أجناس شتى ، وكان يقصدها العرب والفرس

على السواء ، ولا يستغنون عن خفارة يسيرون في حمايتها .

"ولما استولى الفرس على اليمن سطوا نفوذهم على معظم الأسواق فــــى المنطقتين الجنوبية والشرقية من الجزيرة العربية ، فخفضت موى الشقر كثيراً من الأسواق لنفوذ الفرس ، وعين كسرى عليها أناساً من بنى عبد الله من تيم ، فأخذوا يقدمون اليه جملاً كبيراً من الأغصان التي يحصلونها من هذه الموى ، ولا يوافقون طس عرض تجارة ولا شراً ولا بيع الا بعد أن تنفذ تجارتهم . " (١)

وقد أغار أعراب هذه المنطقة على احدى لطائم كسرى أثناء مجورها أرضهم فثار عليهم ثورة عارمة ، وشكل بهم تشكيلاً شديداً ، وقتلهم في غردارهم ، وقد روى لنا هذه الحادثة صاحب الأئمة والائمة فقال : خرجت مير كسرى من المدائن تحمل نهما (٢) الى بلاد اليمن ، وكانت تبذرق (تخفر) من المدائن حتى تدفع الى النعمان بن العذر ملك الحيرة فيبذرها بخفراً من بنى ربيعة وضر حتى يدفعها الى هوزة بن على الحنفسى فيبذرها حتى يخرجها من أرض بنى حنيفة ثم يدفعها الى بنى سعد من تيم فيخفرونها حتى تصل الى باذن طبل كسرى على اليمن .

وقال هوزة للأساورة انظروا الذى نجعلونه لبنى تيم فأعطونه ، وأنا أكتبكم أسيرهم ، وأسير حكم حتى تصلوا ما نكم ، فقبلوا عرضه ، ومار معهم من هجر حتى نطاع ، وقد بلغ بنو سعد ماصع هوزة ، فساروا اليه ، وأخذوا ما كان معه ، واقتسموه ، وقتلوا معظم الأساورة وأسروا هوزة وبنته الأساورة ، واقتدى نفسه ومن معه من الأساورة بثلاثمائة بعير .

(١) سعيد الأفغانى : اسواق العرب فى الجاهلية والإسلام ١٦٨
(٢) النبع : شجر القس والسهم ينبت فى قلة الجبل القاموس المحيط ٨٧٣ الطبعة
الاميرية القاهرة ١٩٣٣ م .

وسار بنو سعد معه الى هجر فأخذوا منه القدية ، وقد ذكر شاعر بني سعد ذلك فقال :

وسار رئيس القوم ليلة أولجوا بهوذه مقرون اليدين الى البحر
وردنا به نخل اليمامة غنيا عليه وثاق القيد والحلق السر

كما هوذة الأساورة وسار بهم الى كسرى ، ودخل عليه وقص ما حدث فقال له كسرى : أينك وبين هؤلاء الناس صلح ؟ قال هوذة : بيني وبينهم النار ، لقد قلتوا أبسى ، فقال كسرى : لقد أدركت تأرك ، فكيف لي بهم ؟ قال هوذة : ان أرضهم لا يطيقها أساورتك ، وهم يقتمون بها ، ولكن أحبس عنهم المسيرة سنة ، ومعهذا ارسل معسى أساورتك ، فأقم لهم السوق ، فانهم يأتيها فتصيبهم عد ذلك خيك ، فعمل كسرى بمشورته ، وأمر بالطعام فادخر بالمشرق ومدينة اليمامة .

"وفي العام التالي جاء هوذة ومعه الأساورة الى المشقر ، فقال أحدهم للحراس من دخلها من العرب أميرها ماشاء ، فلما بلغ الناس ذلك أقبلوا على السوق ، وكان معظم من أتاهم من بني سعد ، فننادى أحد الأساورة لا يدخلها عبي بصلاح ، فاذا جاء الرجل ليدخل قال له الحراس : ضع سلاحك وامر ، واخرج من الباب الآخر للسوق ، فمن دخل منهم أخذه الحراس الى رئيس الأساورة ليقتله ، وقد تنبه أحدهم بعد أن رأى كثيرا من قومه يدخلون ولا يخرجون فصاح يابني تميم ما بعد الطلب الا القتل فانصرف يقتتهم بعد أن قتل الفرس جدا كبيرا منهم (١) .

ويضح لنا سابق أن الفرس كانت لهم سيطرة كاملة على هذه السوق وما حولها وأن جنودهم كانوا يدخلون هذه المنطقة ، ويفعلون فيها ما يشاؤون .

٢ - سوق هجر :

هجر قاعدة البحرين ، وتقع في جنوب الخليج العربي ، وتقام سوقها في بداية شهر ربيع الآخر ، وكان يزورها العرب والفرس على المراء منذ أُنْدم العصور ، وفي بداية

(١) ابن الروقي : الألفاظ والأشياء ٦٢/٢ ط ١٩٣٦ م .

القرن السادس الميلادى خضعت هذه السوى وماحولها لثغوز الفرس خضوعا كاملا .
وكان جنودهم يدخلون هذه المنطقة ويخرجون منها فى أى وقت يشاءون .

" وكان كسرى يعين عليها حاكما عربيا يخضع له ، وقد حكمها من قبله نفس
بداية القرن السابع الميلادى العذر بن سارى ملك البحرين ، وكان يقدم لكسرى نصيبا
وانثرا من الأثمار التى يجمعها من تجار هذه السوى . وكان التجار لا يبيع لهم نفس
معرضا ثمنهم لبيعها فى هذه السوى الا بعد أن تتفقد لطائم كسرى (١) .

وقد أغار بنو تميم على احدى لطائم كسرى ، وأخذوا مايبها من مسك وعسبر ،
فأرسل اليهم جيشا نكل بهم تنكيلا شديدا ، فأخذ الأموال وسبى الذرارى ، وقد سميت
هذه الموقعة بيوم المنقصة .

٣ - سقى عمان :

عمان كورة تقع فى جنوب الخليج العربى على امتداد ساحل بحر عمان ، وكان
يسكنها الأزد ، وأخلاق من القبائل الأخرى ، وهى قريبة من الهند والحبشة وفارس ، ولا يفصلها
عن الأخيرة الا مضيق هرمز ، والدهاء شجع الفرس على الاستيلاء عليها بعد أن استولوا على
اليمن فى العقد الثالث من القرن السادس الميلادى خصوصية أرضها ، فقد كانت أغنى الكور
فى شبه الجزيرة العربية ، وجاء فى الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
" من تعذر عليه الرقى فعليه بعمان " .

وكان ملوك الفرس يعينون عليها الأمراء ، وقد استعملوا عليها فى القرن السابع
الميلادى بنى المستكبر ، وكانت بها سقى ضخمة تقام فى شهر جمادى الأولى ويقتدها الناس
بعد أن ينتهوا من سقى هجر ، غير أنه لا يبيع لهم معرض خاصلتهم الا بعد أن تتفقد
بضائع كسرى ولطائمه .

(١) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢ / ٢١٦

وبعد ذلك يجرى التبادل التجارى بين بضائع تجار فارس والهند والحشة
والحجاز والشم واليمن ، ويصب فيها كل تاجر قطر ما حمل من قطرة ، فكانت جمال
اليمن تحمل اليها البخور (١) حيث تعالج الأعيا التي يراود عيها باللون الأصفر ،
٤ - سوق صحار :

محار قصبة عان وعاصمتها ، وتقع على ساحل بحر عمان بإشرة مائة الهـوا
كثيرة الميزات " وعندما سيطر الفرس على هذه المنطقة سيطرة كاملة فى القرن السادس
اليلادى أخذوا يعينون عليها حكاما عربا من قبلهم ، وكان آخر من عينه كمرى عليها
" الجندى " فى أوائل القرن السابع اليلادى " ومنذ ذلك الوقت أصبحت لطائم كمرى
أهم ما يعرض فى هذه السوق ، ولا تعرض أى بضاعة أخرى فيها الا بعد أن تشفى لطائمه
وكان حاكمها يقدم له جزءا من أعشارها . (٢)
٥ - سوق دبا :

دبا (٣) فرضة من فوض العرب المشهورة ، وكانت قصبة عان قبل صحار
وقد ورد ذكرها فى أيام العرب وأشعارهم .

كانت بها سوق نظام فى آخر شهر رجب حتى منتصف شعبان من كل عام ، ويومها
العرب والفرس على الـوا منذ أقدم العصور ، ولما تكن الفرس من يسط نفوذهم السياسى
على تلك المنطقة فى القرن السادس اليلادى توسعوا فى يسط نشاطهم التجارى فيها
وغدا تجارهم يقصدون سوقها ، ويعرضون فيها بضائعهم الى جانب البضائع العربية
والهندية والصينية .

(١) نبات كالسم لا ينزع الا فى اليمن ، ويبقى عشرين سنة على الأرض تاجيا وهو نانسج
للكلف طلاء وللبهق شربا - القاموس المحيط ٢٥٢/٢ .

(٢) الرزوى : الأوضة والامكة ١٦٣/٢

(٣) وقد نكتب هذه الكلمة بالياء دى

عندما تكن الفرس من الاستيلاء على اليمن في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي أصبح لهم نفوذ كبير على سكان تلك المنطقة ، وأصبحت لهم جاليه كبيره هناك وازداد عدد تجارهم الذين يتوافدون على هذه السوق التي كانت تقام في منتصف شعبان بعد انقضاء سوق ديا وتنتهي حتى نهايته ، وكانت البضاعة الرائجة في سوق الشحرى البز (١) والأدم (٢) والكندر (٣) والصبر (٤) والبر (٥) والدخن (٦)

٢ - سوق حضرموت :

حضرموت اقليم واسع يشتمل على بلاد وقرى ومياه ورجال وأودية ويحده الشحر من الجنوب و عمان من الشرق ومنعما من الغرب ، وهو اقليم قاحل ، وأغلب ثروت أهله التمر لكثرة نخله ، ويشتهر أهله بصناعة النعال الملونة المسماة بالنعال الحضرمية .

" ولقرى من الشاسى * الجنوبي للجزيرة العربية أصبح محطة لانتظار التجار من مختلف الجنسيات وخاصة الفرس الذين كانوا يندون اليه من الساحل تارة ومن اقليم عمان تارة أخرى منذ أقدم العصور ، وعندما استولوا على اليمن في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي زاد نفوذهم في هذا الاقليم وغدت ونودهم تنثر عليه " (٧) .

" وتقام سوق هذا الاقليم في رابعة بحضرموت في منتصف ذي القعدة حتى آخره ، وربما قامت وعكاظ في يوم واحد ، وكان بعض الناس يتجهون الى عكاظ وبعضهم الآخر يتجه الى الرابية ، وكانت لقريش قوافل تتجه الى هذه السوق ، ونظرا لانقطاعها عما حولها فلم يستثن قاصدها عن الأذلاء والخفراء ، (٨) وكانت قريش تتخفربيني أكل العرار من

(١) البز : الثياب أو شاع البيت من الثياب .

(٢) الأدم : التمر البرنى .

(٣) الكندر : ضرب من العلكة نافع لقطع البلغم .

(٤) الصبر : بحارة شجر صر .

(٥) البر : دواء معروف نافع للسعال ولسع العقارب وديا . ان الأسماء .

(٦) الدخن : حب أصفر من حب الجاروس أبيض جدا نافع حابس للطبع

الفيروز الهادى : القلوس المحيط .

(٧) Sykes: History of persia, p. 306, London, 1930 .

(٨) أبو على القالى : الأمالى ص ٢٦٢/٢ .

كثرة ، وسائر الناس يتخفرون بأل مسروق بن وائل الحضري وكان دخل هذين العيسين يقوم - إلى حد ما - على ما يحصلون عليه من هوالة* التجار الذين يسنون بين أيديهم بصلاحهم يحرصون بضائعهم ويحرمون حياتهم ويدلونهم على الطريق .

خامسا : المنطقة الغربية :

كان لهذه المنطقة علاقات تجارية كبيرة بالفرس منذ أقدم العصور حيث كان مكانها يبحرون بسفنهم إلى الشاطئ* الغربي للفرس فيبيعون حاصلاتهم هناك ، ويشتررون ما هم في حاجة إليه ، وكذلك كان الفرس يعرفون تلك المنطقة معرفة تامة ، وكانت وفود تجارهم تترى عليها .

وقد ازدادت هذه العلاقات بشكل ملحوظ بعد أن استعمر الفرس اليمن في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي ، ومن أهم أوقافها سوق عدن وسوق صنعاء ويجدر بنا أن نذكر أهم ما يميز كليهما لنرى إلى أي مدى بلغت العلاقات التجارية بين مكان تلك المنطقة والفرس .

١ - سوق عدن :

عدن مدينة ذات موقع جغرافي ممتاز ، بحر الهند إلى الجنوب الشرقي ومن مضيق باب المندب ، فيها مرسى للحفن القائمة من البحر الأحمر والمضيق إلى أمبياء ، وكان الناس إذا ارتحلوا من سوق الشعر بعد انقضاء نزلوا عدن ، فأقاموا بها السوق مدة العشر الأوائل من رمضان ، أما تجار البحر فيستقنون من شهرها بما يشهدوا من الأسواق قبلها إلا من بقي من بيعة هي* لم ينفذ بعد أوقافه حصار ما قبلها (١) فأنه يشهد لها مع الناس فيستدرك بها ما فاتته من تجارة ومقايضة ، وأهم تجارة في هذه السوق الطيب بأنواعه ، يجلب لها الأدم والبرود من معانر ، ويرجع تجار البحر بالنظير المعمول بعدن ، يتخفرون به في الهند والسند ، ويرحل تجار البرود إلى فارس والروم . (٢)

(١) سعيد الأفغاني : أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ٢١٥

(٢) آذرتاش آذرنيش : زعماء نفوذ فارس دورهم في إيران تازي طهران ١٣٥٤ هـ .

وقاصد هذه السوق في غنى عن خفاة الناس لتبام حكومة مخططة في عمودين ،
وتؤدي عشور هذه السوق الى ملوكها من معين أو سبأ أو حبر أو من خلفهم على ملوكها
كالاحباش والفرس .

ومن الجدير بالذكر أن الاخذ والعطاء في هذه السوق أنشط وأوسع ، والتجارة
فيها أكثر حرية من غيرها ، لأن من قام على أمرها من حبر أو من الاحباش أو من الفرس
كانوا يحافظون على استتباب الأمن فيها بكل ما أوتوا من قوة .
أسواق صنعا : هي أطيب بلاد اليمن ، وكان بها مقر ملوك اليمن قديما ، وبها
قصر فدان ، وهو بنا شاهق على تل عظيم اتخذ أقبال اليمن قرا لحكمهم .

وكان العرب إذا ارتحلوا من الشحر وعدن أقاموا سوق صنعا ، فاستمرت
من نصف رمضان حتى آخره ، يأتونها بالقطن والزعفران والاصباغ ، ويشترون منها
ما يريدون من البسز والحبر ، وكان أروج تجارتها الغالية والادام والبيود والمستغان
الأخيران يجلبان اليها من خفاة إحدى قرى اليمن فيباعان فيها ، ويصدان الى
الأقطار الأخرى (١) . وكان يعثر الناس فيها المعينيون وعددهم السبئون وعددهم
الحميريون ثم الاحباش ثم الفرس .

بعد أن استعرضنا العلاقات التجارية بين العرب والفرس وضع لنا بجلاء تام أن هذه
العلاقات قديمة جدا ، وانها تشغل على جوانب متعددة لو تحدثنا عنها لتفرع بنا الموضوع
الى فروع كثيرة ، ولهذا اكتفينا بالمعالم الرئيسية في هذه العلاقات وهي الحيرة وكسة
والمنطقة الشرقية والجنوبية والغربية .

أما الحيرة فهي تجاور بلاد الفرس وتشترك معها في الحدود ، وكانت بينهما
علاقات سياسية وطيدة ، وهذه العلاقات غالبا ماتتبعها علاقات تجارية واسعة النطاق

(١) العزقي : الأرضة والأمكنة ١٦٤/٢ .

وقد رأينا ذلك بوضوح تام في تلك القوافل التجارية المشتركة بين الفرس والحيويين والنجبة
التي البلاد العربية .

وأما مكة فقد كانت لها شهرة عظيمة في الجاهلية من الناحيتين الدينية والتجارية . فقد كانت الأصنام الموضوعة داخل الكعبة والتي جوارها محل تقديس معظم القبائل في شتى أرجاء الجزيرة العربية . وتتجلى الناحية التجارية واضحة لكل ذي بصير ومبصر في شتى أرجاء الجزيرة العربية . فقد ذهب توفيل بن عبد مناف إلى كسرى وأخذ منه لقوبه ايلقا وهذا . وبعد ذلك تواترت قوافل رجالات قريش إلى الحيرة والعدائن واتصل تجار قريش بكسرى فأحسن وفادتهم وأكرم مآذلتهم . وقدّم لهم الهدايا . وهذا أخذت القوافل العربية تتابع نحو بلاد فارس وتتواتر القوافل الفارسية إلى مكة وقد أخذت العلاقات التجارية تزداد بمرور الأيام .

وأما المنطقة الشرقية فم . قريبة جداً من بلاد الفرس ولا يفصلها عنها سوى الخليج العربي الذي تتكمن من مجرى سفينة صغيرة بدائية في سهولة ويسر والتالسي غير سكان المناطق الشرقية هذا الخليج ونزلوا أرض فارس وتبادلوا التجارة مع أهلها . وضع الفرس حينئذ منهم فعبروا الخليج بسفنهم ، واتصلوا بالعرب اتصالاً مباشراً ودخلوا أسواقهم في سهولة ويسر .

أما المنطقة الجنوبية فكانت أيضاً قريبة من بلاد فارس فذهب العرب إلى هناك وقدّم الفرس إلى بلاد العرب وتبادلوا معهم الحاصلات الزراعية وغيرها .

أما المنطقة الغربية فكانت قريبة من بلاد فارس ، وكانت العلاقات التجارية بين الفرس واليمن وطيدة جداً ، ولما تمكن الفرس من طرد الأحياء بناء على رقة اليمنيين حلوا محلهم وسطوا سلطانهم ليس على المنطقة الغربية فحسب بل عم نفوذهم المنطقة الشرقية والجنوبية ، وقد استتبع هذا النفوذ الميأس نفوداً تجارياً أيضاً ، فقد كانت لطائمتهم

كسرى تباع أولا في معظم الأسواق العربية ولا يسح بعرض تجارة لأن شخص مهم كان مركزه
في قبيلته من أن يزاحم كسرى في تجارته ، وبعد ان تباع تلك التجارة يسح للجميع
بعرض بضاعتهم في السوق .

وبعد فكل هذه الجوانب وظنك الاتجاهات تجعلنا نرجح أن الصلات التجارية
بين العرب والفرس قبل الاسلام كانت عميقة الجذور ، ولم تقتصر على بقعة دون بقعة
في الجزيرة العربية ، وإنما شطتها من أقصاها الى أقصاها ، وكذلك شطت معظم
بلاد الفرس حتى ملكهم كانت له قوافل تجارية يتاجر بها مع العرب .

المصادر والمراجع

أولا : المصادر والمراجع العربية :

١- ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، طبعة الاتباع
بيروت ، ١٩٥٦م

٢- ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن) : الاشتقاق ، تحقيق عبد السلام
هارون ، القاهرة مؤسسة الخانجي ، ١٩٥٨م

٣- ابن عبد ربه (أحمد بن محمد الأندلسي) : العقد الفريد ، تحقيق
محمد سعيد العربي ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، ١٩٥٢م

٤- ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ط ، لندن ، ١٩٠٢م

٥- أبو علي الفارسي (أبو علي اسماعيل بن القاسم) : الآمال ، دار الكتب
الحديثة الطبعة الثانية ، ١٩٦٦م

٦- أبو الفرج الأصفهاني : الأغانى مط ، دار الكتب الحرة ، ١٩٦٢م

٧- الأزرقي (أبو علي أحمد بن محمد الأصفهاني) : أخبار مكة ، ط ، دائرة
المعارف العثمانية ، الهند ، ١٢٣٢ هـ

٨- جواد علي (دكتور) : الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، مكتبة
الشهزة ، بغداد ، ١٩٧٦م

٩- سعيد الأفطاني : أمواق العرب في الجاهلية والإسلام ، المكتبة
النهائية دمشق ، ١٩٣٦م

١٠- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) : تاريخ الرسل والملوك ، طبعة
دار المعارف بصر ، ١٩٦٠م

١١- الفيروزآبادي (محمد الدين محمد بن يعقوب) : القاموس المحيط
الطبعة الأخيرة ، القاهرة ، ١٩٣٣م

١٢- المرزوقسي : الأزمنة والأمكنة مط ، القاهرة ، ١٩٦٦م

۱۲- يوسف رزق الله غنية : الحيرة المدينة والطقة العربية ، مطبعة
دائکورا المدينة ، بغداد ، ۱۳۲۶ م

ثانيا : المراجع الفارسية :

- ۱- آذرتاش آذرنيش : راهبای نفوذ فارس در فرهنگ و زبان تازی (پیش از اسلام)
انتشارات دانشگاه تهران ، ۱۳۰۴ هـ
- ۲- سرخو اندروژه العنفا فی سيرة الأنبياء والطوك والخلفاء ، الهند بجای ،
۱۳۶۶ هـ

ثالثا : المراجع الاجنبية :

- 1- Oleary: Arabia before Muhammad, London, 1927.
- 2- Sykes: History of Persia, London, 1930.

العلاقات المباشرة بين العرب والفرس
قبل الإسلام

الدكتور

حميد عبد الباقى

قسم اللغة العربية واللغات الشرقية

جامعة الإسكندرية

١٩٨٤

بسم الله الرحمن الرحيم

العلاقات السياسية بين العرب والفرس قبل الاسلام

العلاقات السياسية بين العرب والفرس قبل الاسلام كانت متعددة الجوانب ، ولم تحدثنا عن جميع جوانبها لطال بنا الحديث ، ولهذا نكتفى بالتركيز على أهم تلك الجوانب وهي كما يأتي :

- ١- العلاقات السياسية بين العرب والفرس منذ اقدم العصور .
- ٢- اشارة الحضر ، وصراعها مع الفرس .
- ٣- اشارة الحيرة ومشاركة امرائها في الأحداث السياسية التي حدثت داخل اهلوان كسرى وخارجهم .
- ٤- واقعة ذي قار وانتصار العرب فيها على الفرس ، واثار هذا الصراع تلاء من أحداث .
- ٥- نهط الفرس الى اليمن بناء على طلب اميرها سيف بن ذي يزن واستقرارهم هناك .

وها نحن أولا نتمعرض كل جانب من الجوانب السابقة ، لنرى الى أي مدى كانت العلاقات السياسية بين العرب والفرس ، وهل كانت تسير على وتيرة واحدة أم كانت متباينة ؟ .

الغزوات الإسلامية بين العرب والفرس منذ أقدم المصير :

يحدثنا كتاب التاريخ والميراثان الهجرة من الجزيرة العربية إلى العراق لم توقف في أي دور من أواخر التاريخ المختلفة " فيرون أن شرع من أحد طوائف الشريعة المشهورين سار بجيشه سنة ٨٥٠ ق م إلى العراق وغار من حراسان^(١) وقد كرون كجها أن بعض القبائل العربية زحفت إلى بلاد العراق أيام الأكيثيون ٢٢٠ ق م واستقرت هناك ، ولم تجد أي مقاومة تذكر " (٢) .

ويذكر الكينوفين Xenophon أن العرب كانوا من جطة أتباع الملك كورش (٥٥٩ و ٥٢٩ ق م) وأنه عين والياً على العربية ، وهي بلاد استقرت فيها بعض القبائل العربية وتقع شرق الفرات أسفل نهر الخابور ، وأنه عندما سار بجيشه لغزو بابل سنة ٥٢٩ ق م كانت فيه كتية من كتائب الهجانة العربية " (٣) .

ولما عزم قبيلز على غزو مصر سنة ٥٢٦ ق م نصحه فانس - الذي كان صديقه - فخرج من مصر - بأن يحتمل بالعرب لیساع و على اجتياز الصحراء فغادر قبيلز (٥٢٩ - ٥٢٢ ق م) رسولاً من قبله إلى شبه الجزيرة ، وشك من عقد حاهدة تحالف مع ملك العرب ، ولعله أحد كبار مشايخ القبائل العربية في طور سيناء من أصحاب النفوذ طس القبائل الأخرى ، وقد سار قبيلز بجيشه شبه جزيرة سيناء أعدت لهم القبائل ثوما كبيرة طويها بالمال ، وحملوها على ظهور جمالهم وقد سار بهم ، ولم يكف العرب بذلك بل شاركوا الفرس في غزو مصر ، فأسهموا ببعض الكتائب وخاصة الهجانة لما لها من قدرة خاصة على العمل في البوادي والصحراء ، وقد كانوا قبيلز العرب على ذلك تلخذهم لصدقاً وحلفاً له .

ولما تولى دارا (داريوش) الملك (٥٢١ - ٤٨٦ ق م) سار على نهج قبيلز " فأكرم العرب وأولاهم ، وعين ابنه " أرساس " قائداً للفرقة العسكرية العربية في مصر ، وقد ساعد العرب في حملته على اليونان سنة ٤٩٢ ق م " (٤) .

(١) يوسف ربي الله غيبة : البحيرة المدينة والملكة العربية ٧ مطبعة دائكورا الحد يشغداد ١٩٢٦ م .

(٢) جواد علي : الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٦٢٠/١ دار العلم للملايين بيروت ١٩٢٦ م .

(٣) نقلا عن المرجع السابق ٦٢٠/١

(٤) المرجع السابق ٦٢٦/١

الحضر :

تقع في وادي الشوشار جنوب نهر النيل على بعد ١٤٠ كيلو مترا منها
ويرى هرزفيلد E. Herzfeld " أن بعض القبائل العربية من قضاة
وتهد بن حلوان ، قد استقروا في هذه البقعة في القرن الأول قبل الميلاد يستمدون
من الخلاف الذي كان قائما بين الفرس واليونان . وقد حصلوا على أموال من كلا الجانبين ،
لأهمية موقعهم من الناحية العسكرية والسياسية والاقتصادية ، وكانوا كلما ازدادت أموالهم
وسرت أطمعهم ازدادت المدينة توسعا وسما وعمرانا ، حتى صارت مدينة كبيرة ذات شأن ،
وقد حكمتها جاليات أجنبية تولت الوساطة في البيع والشراء ، ونقل تجارة أمها التي
تجار أوروبا وتجارة أفريقيا إلى تجار أمها .

وأخذت الحضر تزداد نموا فزنا بعد قرن حتى قدت في القرن الثالث الميلادي
سلطة بحسب حكامها وخشي بأسها وهرعب جانبها ، وكان يحكمها في العقد الرابع
من القرن الثالث الميلادي ملك يسمى الحاطرون والموب تسمية الضيق ، وهو من قضاة ،
وقد تمكن من السيطرة على الجزيرة حتى حدود الشام ، وقد ذكره حدي بن زيد (٢) قال :

وأخو الحضر أذنبناه وأذ دجلة تجبي إليه والخابور (٣)

شاده مرمرا وخلة كلسا فلطير في ذراه وكسر (٤)

وقد أظهر على بعض قرى سواد العراق ، وانتصر على الجيش الفارسي في معركة
" شهر زير " ، فانتصر عدي بن أله القضاة (٥) بهذا النصر فقال :

(١) جواد علي : الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٦٠٩/٢ - ٦١٠

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٢٢٥/١ الهامش دار الطباعة
المنيرة ١٣٢٨ هـ

(٣) أراد الخابور الأعلى الذي يقع فوق نصيبين ، أما الخابور الأسفل فيقع من رأس العين
ويصب في الفرات عند قرقيصة المشهورة الآن في البصرة شرق ديار الزور يشو عشرين ميلا .

(٤) شاده : بناء وكلاء ، خلة : هو ما يخلل بالجم بين حجر وحجر ، والكلس : ما يطلس
به الحائط من حصص ونحوه .

(٥) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٦٢/٢ طبعة ، دار المعارف ١٩٦٠ م .

لقبناهم بجمع من عبيد
فلما عداد فارقنا ما نكسالا
واخى الصلادة المذكور (١)
ونظنا هرايد شهر زور (٢)
دلقتنا لئلا نأج من بعيد
بجمع م الجزيرة كالمير

وكان ساجور بن ابدشير (٣١-٢٢٦م) في تلك اثنتي عشرة نولس خراسان
فلما عاد عظم بما حدثه سار الى الضوزن فوجد الحضر محصنا للغاية ، لان صاحبة
قد أعد للامرعدة ، وحسن مدبنته بكل ما تحتاج اليه من مؤن ونخيرة مما ، ونفذاه
وقد ضرب رجاله واعوانه الضل الاعلى في الشجاعة والثبات والاندام .

وقد عبر الاعشى (٣) عن ذلك فقال :

وكان دعا قومه دعوة
فمروا كراما بأسيافكم
هلموا الى امركم قد صبرم
أرى الموت يمشي من جسمم

وحاصر ساجور الحصن اربع سنين وقيل سنتين كما قال الاعشى : (٤)

ألم تر للحضر اذا أهله
أقام به شاهبور (٥) الجنو
بنعمي وهل خالده من نعمم ؟
د حولين يضرب فيه القدم

وتكن ساجور في نهاية الامر من اقتحام الحصن مقتل الضوزن والتكليف بمن
كانوا معه من قتله وتزيد موقد شاهد عمرو بن اله (٦) تلك المعركة فقال :

ألم يحزنك والانساء تنى
وصح ضوزن ونى ابيه
بما لقت سراقه بنى العبيد
وأحلاس الكاتب من تنيد
أناهم بالنفيل جملات
وبالابطال ساجور الجنود
فهدم من أواسي الحضر صخرا
كان ثقاله زهر الحديد (٧)

(١) علاف : علاف بن حلوان من قضاة تنسب اليه الخيل العلافية الصلادة : القوة
الشديدة .

(٢) هرايد : الهرايد : جمع هريد وهو خادم تار المجوس شهر زور مدينة فارسية

(٣) الطبري : الرسل واللوك ٦١/٢

(٤) المصدر السابق ٦١/٢

(٥) شاهبور الجنود ساجور الاول وكان يسمى لكزه جنود شاهبور الجنود ، القدم : جمع
قدوم وهي الاله التي يقطع بها التجار الاشجار .

(٦) ابو الفرج الاصفهاني : الاغانى ١٤٢/٢ ط دار الكتب ، ١٩٢٧م .

(٧) زهر الحديد : طع الحديد .

يقال : ان النضيرة بنت الضمين قد ساعدت سابور على اقتحام الحصن
 بعده . فقد أمرت بها . فخرجت الى سابور فوطيه ثياب من الديباج . ويطي رأسه
 طاج من الذهب مكلل بالثورجد والياقوت . وكان جيلا . فاستاله . فخرجت ان فتحت
 لك باب الحضر ؟ فقال : نعم . فلما أسي الضمين . فشرب حتى سكر كعادته . فأخذت
 فأتته باب الحضر من تحت رأسه . ومثت بها مع مولى لها فتح الباب . فدخل سابور
 وقتل الضمين (الساطرين) واستباح الحضر وخيه . وسار بها معه فخرجها في عمن
 التمر . وبينما هي نائمة على فراشها لئلا اذ جعلت تطل لاتبام . فعدا لها بشمع
 ففتش فراشها . فوجد فيه ورقة آس . فقال لها : أهذا الذي أسهرتك ؟ قالت : نعم
 فقال : ما كان أبوك يصنع بك ؟ قالت : كان يفرقني الديباج ويلبني العنبر . ويطمئنني
 الخ . وتبين الخمر . قال : وكان جزاء أبوك ما صنعت به ؟ أنت الى بذلك أسمر .
 ثم أمر بها فربطت بقرين رأسها بذنب فرس ثم ركض الفرس حتى قتلها . (١)

وقد مر عدى بن زيد . خيانة النضيرة لأبيها ولأهلها فقال : (٢) .

- | | |
|-------------------------|----------------------------|
| والحضر صابت عليه دامية | من فوقه كيد مناجيا (٣) |
| ربة لم تنق وأندها | لحينها اذا ضاع راقبها (٤) |
| اذ غبقته صبا . صافية | والخمر وهل يهيم شاربها (٥) |
| فاستأمت أهلها بليلتها | تظن أن الرئيس خاطبها (٦) |
| فكان حظ الدرس ان جسر ال | صح دماء تجرى مبلتها (٧) |
| وضرب الحضر واستبح | أحرق في خدرها مشاجبها (٨) |

(١) ابن هشام : السيرة النبوية تحقيق مصطفى السقا وآخرين مطبعة الباس الحلبي
 بصر ١٩٣٦ م .

- (٢) عدى بن زيد الديوان ط . القاهرة ١٩٣٠ م
 (٣) صابت عليه . سقطت ونزلت . كيد : شهيدة .
 (٤) ربة التي رباها والدعا . حينها : هلاكها . راقبها : الذي يرقبها وحرسها
 (٥) غبقته : سفته الغبوق وهو شرب المشى . يهيم : يتعير .
 (٦) الرئيس : سابور بن أرد شمير
 (٧) جسر الصبح : أضاء . وتبين بنوره . مشاجبها : طرائقها
 (٨) المشاجب : جمع مشجب وهو ما يتعلق عليه الثياب .

وقد وثا أبو دواد الأبارى الحصن فقال :

وأرى الموت قد تدلى من الحضـر على رب أهله الساطرين
صرعه الأتـام من بعد ملكه ضميم وجوهر مكتـبين

انتشر العرب فرصة ضعف طوك الطوائف في إيران ، وعبروا الخليج العربي واستقروا في كرمان وبيمان والأهواز ، وظلوا على هذا التحوط حتى قامت الدولة الساسانية فأراد مؤسسها أردشير الأول (٢٢٦ - ٢٤١ م) أن ييسط سلطانه على جميع أطراف دولة ، فأتجه صوب العرب النخمين في المناطق الجنوبية من دولة فشكن من اخضاعهم ثم عبر الخليج العربي (١) واحتل على البحرين وملح عان وأثنا مدينة قـسرب البحرين ساحا فنياد أردشير التي عرفت فيما بعد باسم الخط . (٢)

أما سابور الأول ٢٤١ - ٢٧٢ م فقد تلقى دوسا مها في الملوك من أذينة ملك عـمر ، إذ يقولون : أنه لما تكن من قصر الروم ، فالريانوس " وأسر وانتصر على جيشه " أرسل اليه أذينة رسالة مع هدايا تحلبها قلعة كبيرة من الجمال ، فوصلت اليه كتبا ، بعد فأسر بالقاء الهدايا في الفرات وقال : من هو أذينة ، فطلب حـالا لذا أرسل أن يخف من العقاب الذي سينزل به ، ولم يجد أماه بعد أن تولى بعده إلى غيبه . (٣)

فلما مع أذينة بهذه الاهانة جمع ماعده من قوات ، وسار حتى باغى الساسانيين باغاة أنزعهم فوقع العرب فيهم حتى تركوا له أكثر ما حصلوا عليه من غنائم من حروبهم مع الرومان " وفقدوا بعض زوجات الملك ، إذ وقعن أسيرات في أيدي قسرات أذينة ، ولم يكف ملك ندر بهذا الانتقام بل أسرع في سنة ٢٦٣ م نحو الشرق وانتصر على سابور وحاصر عاصم طيفون فترة من الزمن . (٤)

- (١) آرثر كريستينسن : إيران في عهد الساسانيين ترجمة الدكتور يحيى الخشاب والدكتور عزام ص ٥٢ القاهرة ١٩٥٢ م .
- (٢) حمزة الاصفهانى : كتاب سقى ملوك الأرض والانبيا ص ٣٤ ، طبعة كارياني برلين .
- (٣) ابن العبري : مختصر تاريخ الدول ص ١٢٨ بيروت ١٨٩٠ م
- (٤) آرثر كريستينسن : إيران في عهد الساسانيين ص ٢١٣ .

انتبهز العرب صفر من سابر الثاني (٢١٠ - ٢٢٩ م) فأغاروا طسسى
اطراف سلطنة لسوء حالهم وشغلهم بمشهم * فصار جمع عظيم منهم في البحر من ناحية
بلاد جد القيس والبحرين وكافة حتى أغلوا على ابوشهبر وسواحل كرد شير خوره
وأسياف فارس وغلوا أهلها على حواشيهم وحروثهم ومعايشهم * وأكثروا
الفساد في تلك البلاد * فمكثوا على أمرهم حتى لا يفتزمهم أحد من الفرس لعقدتهم
تاج الملك على طفل من الأطفال وثقة هبة الناس له * (١).

فلما كبر سابر الثاني انتخب ألف فارس من عناد يد جنده وأبطالهم * وسار
بهم * فأوقع بين اتجم بلاد فارس من العرب * وقتل منهم أبج القتل وأسر منهم أغص
الأسر * وهرب بقيةهم * ثم قطع البحر في أحباله * فورد الخط واستقرى بلاد
البحرين يقتل أهلها ولا يقبل فدا * ولا يخرج على غيبة * ثم مضى على وجهه فورد هجر
وسا أناس من أعراب تبس * ويكرين وائل وجد القيس فأقش منهم القتل * وسفك قههم
من الدنيا * صفكا سالت كميل المطر حتى كان الهارب منهم يرى أنه لا ينجيه منهم غارفس
جبل ولا جهرة في بحر ثم هطف الى بلاد جد القيس فأبلى أهلها الا من هرب منهم
بخطيق بالرمال * ثم أتى الباقية قتل بها مثل تلك العطفة * (٢).

ولما هربوا من مائة العرب الا غيره ولا جب من جبابهم الا أطمه * ثم أكتسى
قرب المدينة فأمر وقتل من وجد هناك من العرب * ثم هطف نحو بلاد بكر وتغلب فيها بهمن
سلطنة فارس وشاغر الريم بكر من الشام قتل وسقى من وجد بها من العرب وطم جبابهم *

* وأنه أمكن من بنى تغلب من البحرين دارين واسيها هيج والخط * وسكن
كان من جد القيس وطوائف من بنى تم هجر * ومن كان من بكرين وائل كرمين وهم الذين
يدعون بكر آبان * ومن كان منهم من بنى حنظلة بالربطية من بلاد الأهواز * (٣).

(١) الطبرى : الرسل والطوك ٦٦/٢

(٢) ابن خلدون : المعبر ديوان التبت والخير ١٧٢/٢ * الطبعة الانبيية - القاهرة
١٢٨٤ هـ

(٣) الطبرى : الرسل والطوك ٦٢/٢

وطاش سايبر الثاني حياته كلها الى قتل العرب ونزع اكنافهم ولهذا فهو
 ذا الكفاءة وقيل هو الاصمعيلى " انه كان يحب اكلت العرب فيجمع بين
 كنى الرجل بحلقه صبيبه " (١) يرى نيلدك : ان الخصود يذى الاكتاف
 انه صاحب الاكتاف دلالة على الشدة والقوة " (٢) ولما جمع للهانوس ملك السري
 جوعاً من الروم والخزر ومن كان في سلطته من العرب ليقاتل بهم سايبر الثاني وجنود
 فارس ، انتهز العرب الفرصة للانتقام من سايبر وماكان من قتله العرب " واجتمع فسي
 معسكر للهانوس منهم مائة وسبعون ألف مقاتل فوجههم مع رجل من يقاتله يسمى
 يوسانوس ، وسار نحو سايبر الثاني ، وغادرتهم سايبر اليه فاخطفوا في الانخيلار
 فمار سايبر الثاني بنفسه مع جماعة من ثقافته نحو الروم غلبا اقربيه من يوسانوس وهو
 على مقدمة للهانوس اختفى ، وأرسل بعض من معه الى الروم ، فآخذوا وأقر بعضهم على
 سايبر الثاني فأرسل يوسانوس اليه سرا يندره ، فارتحل سايبر الثاني الى عسكره
 وتحارب مع العرب والروم فانهز عسكره ، وقتل منهم مائة عظيمة ، وملك الروم مدينة
 طيفون وملكوا أيضا أموال سايبر وخزائنه " (٣)

ومن هذا العرض السريع للأحداث السياسية ندرت ادراكا لاجال للشعوب
 ان العرب احتكوا احتكاكا مباشرا بالفرس وخالطوهم وسكنوهم وحاربهم قبل ان تؤسس
 امارة الحيرة بزمير طيول .

امارة الحيرة :

تقع الحيرة شمال الكوفة على بعد ثلاثة ايام منها ، ويقال : " ان السدي
 بناها هو يختصر في القرن السابع قبل الميلاد للتجار العرب الذين كانوا يحضرون ههنا

(١) كتاب سني ملوك الأرض والأنبياء ٣٦

(٢) آرثر كريستينسن : ايران في عهد الساسانيين ٢٢٥

(٣) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ٢٣٠/١ وابن خلدون ١٢٤/٢ والطبري

أمرغزو والعرب في بلادهم ، وقد خربت بعد هلاك يختصر لتحول أهلها عنها إلى الأثيار وثلياً هناك لا يشيخون إلا عظم ولا تدن إلا عظم لهم . (١) .

وقد اجتمع في عهد ملوك الطوائف جماعة من قبائل العرب في البحرين ، فتحالفوا على التتخ وهو الخام وتعاقدوا على التآزر والتناصر ، فصاروا يدا واحدة على التناصر ، وشجع ضعف ملوك الطوائف وانحلالهم زعيم التتخ مالك بن فهم على السير إلى المرسى بمن معه ، فلما وصل إلى هناك تمكن من الاستيلاء على الثقة الواقعة بين الأثيار والحيرة وغدا مستقلاً لا يدين لأحد من الملوك (٢) .

فلما مات خلفه أخوه مروم صار على نهجه ، فلما هلك تولى الملك جذيمة الأبرش بن مالك الأزدي اثنتي عشرة سنة . (٣) .

وصار الملك بعد جذيمة لابن أخته مرو بن هدي بن نصر وهو أول من اتخذ الحيرة منزلاً من ملوك العرب فلم يزل ملكاً حتى مات ، وهو لمن مائة وخمسين سنة ، ومثل مائة وثمانين سنة منها أيام ملوك الطوائف خمسون تسعين سنة ، وأيام أردشير بن بابك أربع عشرة سنة وعشرة أشهر ، وأيام ابنه سابور ثمانين سنة وشهرين ، وكان منفرداً بملكه يخضع الفارس ولا يدين لملوك الطوائف إلى أن ملك أردشير بن بابك أهل فارس ، فأنعز له مرو بشرط مجاهدة باستئلال الحيرة ونزبه بابا العرب وشجعهم . (٤) .

وقال : أن أردشير بن بابك ٢٢٦ - ٢٤١ م " هو الذي أنشأ إمارة الحيرة لتحتضن إيران من غارات البدو الذين يقعون في الخيام ، ولتحتجز بين حدود الفرس وحدود الروم " (٥) .

(١) الطبري ٢٨/٢ ، ابن الأثير ١٩٥/١

(٢) الطبري ٢٨/٢ ، ابن الأثير ١٩٦/١ وابن خلدون ٢٥٩/٢

(٣) ابن خلدون ٢٥٩/٢ -

(٤) حمزة الاصفهاني ٦٥ ، وابن الأثير ٢٠٢/١ - ٢٠٣ ، والطبري ٥٩/٢ .

(٥) كريستينسن : إيران في عهد الساسانيين ١١٠ .

"وظهر أن كلمة الحيرة مهملية حرتا وحناها الحكر وقد ذكرت باسم
أشأ على أنها حينة طرية في كتب غلوكس ، وفي كتب سفايس التي تطل وقد نسبت
إلى بعض ملوكها فقبل : حيرة النصار .

كما نسبت بالحيرة الروحا في قول عاصم بن عمرو :

صبحنا الحيرة الروحا خيلا ورجلا فوق أبحاح الكلاب (١)

وسمت بالحيرة البهضا في قول الشريف الرضى :

بالحيرة البهضا حيث تقابلت شم العباد عريضة الأطنان (٢)

وقد قسم المؤرخون العرب سكان الحيرة إلى ثلاثة أقسام وهي كما يأتي :

التنوخ وهم أصحاب المظال ويوت الشعر ، ويترلون غنى الفرات فيما بين الحيرة والانهيار
فما فوقها وأما العباد فهم " قوم من النصارى من قبائل شق انفردوا من الناس في قصور
ابتكرها لأنفسهم ظاهر الحيرة ، وقد جاء في سبب تسميتهم بالعباد أنه لما قاتلهم مابور
الأكبر اتخذوا شعارا لهم يأل عباد الله نموا العباد ، وقيل : وقد نلى كسرى خمسة
نفر منهم وكانت أسماؤهم تسمى " بكلمة عبد وهم عبد المسيح وعبد ياليل وعبد ياموع وعبد الله
وعبد عمرو فقال كسرى : أنتم عباد كلتم نموا العباد " (٣) .

ولما الأخلاف " فهم الذين لحقوا بأهل الحيرة ، ونزلوا فيها ، ولم يكونوا قسرى

الأصل من التنوخ أو من العباد ، وسما بذلك لتحالفهم مع العباد " (٤)

" وكان في الحيرة جماعة من النبط يتكلمون العربية برطانة ظاهرة فتأثر بعض

سكان الحيرة بهذه الرطانة النبطية ، كما كان في الحيرة جماعة من الفرس واليهود (٥)

(١) البلاذرى : فتح البلدان ٢٧٧/٣ مطبعة الموسوعات القاهرة ١٩٠٨ م

(٢) ديوان الشريف الرضى ٩٨٥/٢ ط . القاهرة ١٩١٢ م

(٣) يوسف رضى الله عنه : الحيرة ١٦

(٤) الطبرى ٥٩/٢ ٥٩/٢

(٥) الدكتور جواد على الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ١٥/٤ .

ولما توفي مرو بن مرداس خلفه ابنه امرؤ القيس الأول في إمارة الحيرة • وكانت الأحوال السياسية ثلاثة له • فتكون من توسيع ملكه • فشملت نجر العرب من ربيعة وضر وسائر من بلاد العراق والحجاز والبحيرة • واستدت عدة حكمه التي مائة وأربع عشرة سنة • وسار على نهج أبيه فوضع لملوك الفرس العاصمين له • وهم سابور بن أردشير • هرمز بن سابور • وسهرام بن هرمز • وسهرام بن بهرام ^(١) • ونرس بن بهرام • وهرمز بن نرس • وسابور ذي الأكتاف ^(٢) •

وكان ملوك الحيرة يخضعون لملوك الفرس خضوعاً اسماً • وكان الفرس يحفظهم من الاتاوة لقاء حمايتهم للحدود من غيرون عليها • ومن أجل مساعدتهم لهم في حروبهم مع الروم على أنهم بلغوا من القوة أحياناً إلى حد المساواة بينهم وبين الفرس والروم فحاربوا الفرس حيناً وحاربوا الروم أحياناً منتصرين للفرس وموالين لهم •

ولو تتبعنا ملوك الحيرة واحداً إثر آخر لطال بنا الحديث • ولهذا نكتفي بذكر نبذة قصيرة من كان لهم دور بارز في العلاقات السياسية بين العرب والفرس •

ومن أعظم ملوكهم النعمان الأول بن امرؤ القيس الثاني • وكان أمم ملوك الحيرة نكابة في الأعداء • وأبعدهم خائراً • وقال عنه حمزة الأصفهاني : كان النعمان ملكاً قويا وقد أخذ إليه ملك فارس كتيبتين هما الشهباء وأهلها من الفرس ودوسر وأهلها من تنج فكان يغزوها الشام ومن لا يدين له من العرب ^(٣) •

وقد اشتهرت الدوسر ببطشها حتى قال العرب أبطش من دوسر وقال الشاعر
غربت دوسر فنه غربة أثبتت أوتاد ملك فاستقر ^(٤)

(١) الطبري ٦٥/٦٤/٢ • ابن الأثير ٢٢٧/١

(٢) حمزة الأصفهاني ص ٦٧ •

(٣) نفس المصدر السابق ص ٦٨ •

(٤) البدياني : مجمع الأشكال ٢٨/١ طبعة السنة المحمدية القاهرة ١٩٥٥ م

بستان النصارى شقة واحدة في بلاد فارس وكان عظم في قصر الكاخرة . فدفع
إليه يوزيد بن أبيه بصرام حيدر الرضاغة العربية في شهر الحيرة ، لأنه لم يكن
يعتبر له . وأمر بستان الخوري بمشاه (٢٩)

فقام النعمان بتربية بصرام حيدر ، واختار لرضاعه ثلاث نساء ذوات أجسام
صحيحة وأذهان ذكية ، وآداب مرضية من بنات الأشراف ضمن امرأتان من بنات
العرب وأمرأة من بنات الفرس (٣٠) وتناولن لرضاعه ثلاث سنوات ، وظن في الخامسة
لترابضة ، حتى إذا اكتمل له خمس سنين ، قال للنعمان : " اختر إلى مربيين
ذوي علم يدرسون بالتعليم ليحلموني الكتابة والرقي والقدح ، فأناؤه يرهط من قهها .
الفرس وحلي الرقي والقروية وحلي الكتابة وخصه ذوي الأدب وجمع لمتكلمة من
مارس والرقي ومحدثين من العرب ووقت لأصحاب كل مذهب من تلك المهن وقتا يأتونك
فيه وتقدر لهم قدرا يفيد منه ما قد علم . (٤١)

(١) الطبري ، ٢/٢٧٢ .

ذكر الخوري : قصر كان بظهر الحيرة وهو مغرب خورنكاه أي موضع الأكل والشرب ، وقد
بناه منظر الرقي فوألجاده في صنعه كل الإجابة ، فأعجب النعمان بهذا القصر
فخلع على من بناه الخلع الشقة فقال سطر : لو علمت أنك تشجيد هذا القصر كل
هذه الاستجادة وتغمرني ببعض إيمانائك على هذا الشوال لجعلت هذا القصر
يتبع سير الشمس فأثر هذا القول في النعمان ، فأمر بالتفاه من أعلى القصر فسي
ساه ، للتأبني لغيره قصر على هذا الشوال الذي قاله ، فقلت .
أردشير : الالتقاء للفارسية المموية ص ٨٦ الطبعة الكاثوليكية للأب المرمي
بيروت ١٩٠٨ م .

(٣٠) اختار له أربع نساء ذوات أجسام صحيحة وأنساب صريحة وأذهان زكية وآداب مرضية
اثنان ضمن من بنات أشراف العرب واثنان من بنات أكابر المعجم .

الفردوسي : الشاعنة - الترجمة العربية للبنداري وأكلها الدكتور عزام ٢٥/٢٥

(٤١) الطبري : الرسل والبلوك ٢/٢٥٠ .

ولما مات بعد جرد كان بهرام جرحاً عظيماً من بلاد يفتى أرقاء في بلاد
المرب منها كوما مؤلفه أشرف القوس وأحياتهم كن يفتلوا من كسوة بعد جرد الأسم
فاختاروا ملكاً من عترة أردشير بن بابته اسم كسرى مخالفاً بهرام إلى النذر الأول يطلب
نجدته . فجهز النذر عترة آلى رجل من فرسان المرب ووجههم مع ابنه إلى طهسئون وبها كسر
ومن أردشير ثم سار النذر معه . بهرام جرح ثلاثين ألف مقاتل من الحيرة حتى وصل إلى
طهسئون ، وتكن بهرام بمساعدة النذر من استرداد ملك أبيه ، وظل بهرام جرح يحترم
ملوك الحيرة ويطلبهم من أجل ذلك . (١) .

ومن الجدير بالذكر أن الطبري وابن الأثير وابن خلدون يمد أن ذكرها
أن النعمان الأول هو الذي تعهد بتربية بهرام جرح ، وأن النعمان حكم أربعة عشر عاماً
في عهد بهرام جرح رجسوا على حد تعبيرهم إلى قول للعلماء من القوس : بأن النذر الأول
ابن النعمان الأول هو الذي رعى بهرام جرح وعونه في استرجاع ملكه (٢) .

يقول الفردوسي أن بهرام جرح عهد بتربية ابنه بهرام إلى النذر فحط وانصرف
به . (٣) . وقول كلبان مؤلفه يورغل : يحتفل أن تكون سنة ٤١٨ م نهاية ملك
النعمان الأول (٤) ، ولما كان جلوس بهرام جرح سنة ٤٢٠ م فإن النعمان يكون النعمان
الأول حتماً ، أما الملك الذي طعن بهرام في استرداد عرشه فممكن ابنه النذر وقد نص
حسن بيرنيا على ذلك صريحاً : « بهرام جرح النعمان الأول ملك الحيرة في قصر
الخورتق ، وجلس على العرش بسادة النذر الأول بن النعمان » (٥) .

- (١) الطبري : الربيع والطول ٢٢/٢ ، ابن خلدون ٢٢٣/٢ .
(٢) الفردوسي الشاهنامه - ترجمة البنداري ٧٥/٢ .
(٣) نقله عن يوسف رفق الله خيمة هاشم ١٤٨ - ١٤٩ .
(٤) حسن بيرنيا : تاريخ إيران القديم : ترجمة الدكتور نير الدين عبد النعم والدكتور
المباي ٢٤٤ - القاهرة ١٩٢٨ م .

يضع لنا ما سبق أن النعمان الأول وأبنة النذر الأول كانا رجلين قوسين استطاع أحدهما بما له من قوة عسكرية أن يسطر نفوذه ليعني داخل إمارة النخيرة بحسب بل في أفاق أوسع وأرحب حيث تمكن من إرغام إيمان الفرس وإغراقهم ورجال دينهم على التراجع فيما اتخذوه من قرار خطير ألا وهو اختيار ملك عليهم ، وإجبارهم على تنصيب بهرام جور ملكا عليهم .

وكذلك عظمت مكانة الحيرة في عهد النذر الثالث بن أبري القيس ، لأنه كان تولى الشكبة يخوض غرات الحروب غير عياب ولا جمل ، فخلقى العرب في قلوب أعدائه ما جعل قبائل ملك الفرس يطلب إليه في سنة ٥١٩ م أن يحارب الروم ، لأنهم لم يدفعوا له الاثارة التي وأفقوا على دفعها في صلح سنة ٥٠٦ م .

فسار النذر الثالث بجهته نحو الروم ، وشكك من هزيمتهم ، وأمر قائدهم من قوادهم هما " ديموستراتوس " " صوحنا " ، عند ذلك أراد القصر جستينوس أن يعقد صلحا مع النذر ليؤكد أمر قائده ، ويضمن حياته إذا ما قوا الروم الفرس .

فأرسل إليه وقدما من ثلاثة رجال من عرفوا بالحكمة والخبرة وهم أبرهاسام وشحون الأرشاي وسرجيوس ، فوصلوا إلى النذر وهو في البادية في موضع يسمى الربطة وقد نجح الوفد في مهمته فأطلق النذر سراح القائدين الروميين وهادن الروم (١) .

ولكن كمل القصر جستينوس في الهدنة لم يدم طويلا ، فعمرعان طحاجام النذر بإيعاز من الفرس الحارث بن شم الغساني غابل الروم على الشام في سنة ٥٢٨ م وانتصر عليه ، " واحتاج سوريا وتقدم نحو أنطاكية فاستولى عليها ، وقدم للالهة المعزى أربعمائة راحب ضحية لها ، ونهب وسلب وألقى العرب في نفوس أهل الشام .

وبعد رجوع النذر من هذه الحرب منتصرا طلب إليه قبائل أن يدين بالنزكية فرفض ، فغضب عليه وسحب حمايته عنه ، مما جعل الحارث بن حجر أكل المرار .

(١) الدكتور جواد علي : الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٢/٢١١

يجرؤ على السير إلى الحيرة لمحاربة المنذر ، يتمكن في سنة ٥٢٩ م من طرده من
الحيرة ، يحتل عليها ، يهرب المنذر منها ، ويخفى حتى يهتد إلى الجرساء الكلسية ،
ويقيم عنده . (١)

وظل الحارث ملكاً على الحيرة حتى مات قبلاً وخله ابنه كبرى أنوشروان
على عرش إيران سنة ٥٣١ م ، فثار على مزك وقتله وقتل أتباعه ، وظهر البلاد منهم .
ولما علم كبرى أن الحارث الكندي يدين بالردة وحس الرتادة الذين قروا من بلاد
فارس أرسل إلى المنذر الثالث من أمخصة التمه تقواه برجال من الأساورة ، فسلم بهم
إلى الحيرة فلما علم الحارث بقدومه ، وكان يوشك في الأنهار ولج هارباً في صحابه وأولاده ،
وتبعهم المنذر بالفرسان من تلح ولباد ، ولحق الحارث بأرض كلب فجا فانتهب جيش
المنذر وأمواله وهجأته ، وقبضوا على ثمانية وأربعين من أتائه ، فأمر المنذر بقتلهم (٢) .

وعلى الرغم من الصلح الذي عقد سنة ٥٢٢ م بين الفرس والروم إلا أن النزاع
لم ينقطع بينهما ، فقد استاء أنوشروان من أخبار الانتصارات التي أحرزها الروم في أرمينية
وأيطالية ، فأوعز إلى عامله على الحيرة المنذر بن ماء الماء أن يخز عطل الروم على
الشام الحارث الجفقي ليسترد تلك المنطقة الروحية التي تقع جنوبي " تدمر " وادي كلاهما
ملكيتها . (٣)

ولما علم قيصر الروم بتخلف أنوشروان للمنذر سارح بإرسال رجل من ثقاة اليه
يُدعى " سومين " برسالة يخبره فيها بالمال والنفوذ إذا تخلى عن الفرس وانضم إليه .
وهذا ما علم أنوشروان بفحوى تلك الرسالة عاجز ومنج واتخذ منها ذريعة لحرب الروم ، فمسانم
اليهم سنة ٥٤٠ م وكلف المنذر مهاجمة بلاد الشام ، فمأز إليها وتوغل في شاطئ ناصية منها

- (١) مبرخوات : روضة الصفاني ، سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء ص ٢٩٠ الهيد بجای ١٢٦٦ هـ
- (٢) أبر الفرج الاصفهانى : الاغانى ٦٢/٨ طبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٢ م
- (٣) الدكتور جواد على : الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٢٢٢/٣
- (٤) المرجع السابق ٢٥٤/٣ .

أما الفهر جستان فلم يبق مكتوف اليدين بل صار للرافة الفرس وطلب الس
طاطة على الشام الحارث الجفنى أن يغزو العراق ليقتل من قاطبة جيش الخذر الثالث
” بعد معارك كثيرة انتهت الحرب في سنة ٥٤٥ م بهزيمة ساحقة للروم جعلت فيهمهم
جستان يضطر الى عقد صلح مع ملك الفرس والخذر الثالث يقبل فيه جميع شروط ملك
الفرس والخذر ومن أحسبها دفع نرومن من المال منها أولهما للملك كنو شروان وقدره ٣٠٠ ثلاثين
ألف قطعة من الذهب ، وآخرها دفع ألف قطعة من الذهب للخذر الثالث أمير الحيرة
وغل جستان يدفع هذين الفرومين لأنوشروان والخذر حتى قتل الخذر (١)

بعد عمرو الثالث بن الخذر الثالث بن شاهير ملوك الحيرة ، واشتهر باسم
أحمد فدعى عمرو بن هند موكلان محبا للأدب ، فأضحت الحيرة في أيامه شدى علم وأدب ، وقصد
الشعراء من مختلف القبائل ، وأقبلت إليه الوفود ، وحكمة العرب في أمورهم .

وفي سنة ٥٦٢ م جدد الفرس والروم معاهدة الصلح المعقودة بينهما سنة
٥٤٥ م ، وشهد امبراطور الروم يدفع الجيئة التي نصت عليها تلك المعاهدة السابقة
وقد لوها ٤٠ ثلاثين ألف قطعة من الذهب لملك الفرس ، وتجامل امبراطور الروم للجيئة
التي كان يدفعها لملك الحيرة وقدرها ألف قطعة ذهباً ، وامتنع عن دفعها لاعتقاده أنه
لا يخشى ملك الحيرة مادام الصلح قائما بينه وبين ملك الفرس .

وقد أثر ذلك المنع في نفوس ملك الحيرة عمرو بن هند هو طلب إلى ملك الفرس
أن يساعده في استعوار دفع تلك الجيئة ، ففعل كسرى كنو شروان على امبراطور الروم مرتين
مطالبها أباه بحق عمرو بن هند في تلك الجيئة ، فأجابه سفير الروم لم تدفع الروم لملك الحيرة
جيئة وإنما كانت تقدم له بعض الهدايا بصورة شقطة وليست مستمرة ، وليس هناك وعد يلزما
بتأديتها فأجابه من الأفضل أن تؤدوا لملك الحيرة ما تعودتم على أدائه فرفض الامبراطور
جستان ذلك رضا قاطعا .

(١) آذرتاثر آذرتوش : راهبای نغوز فارسد و فرهنك وزبان تازی (بيش از اسلام) ٦١٠ تهرآن
١٣٥٤ هـ

(٢) يوسف رقی الله نجبة الحيرة ١١٣ - ١٤٤

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تجاوز إلى أبعد من ذلك فقد رفض
الامبراطور جستنوس الثاني (٥٦٥ - ٥٧٥ م) دفع الجنية للفرس أنفسهم ، فأرسل
كسرى أنوشروان لامبراطور الروم سفيراً يطالبه بطلب الجنية منه وقد عيى من أسيرة
الحيرة ، وقد قبل جستنوس الثالث مقابلة السفير الفارسي ورفض مقابلة الوند العربي
فألح عليه السفير الفارسي أن يتقابل الوند العربي ، فقبل مقابلة رئيس الوند فقط
فلما دخل رئيس الوند العربي مع السفير الفارسي أعطى جستنوس الثاني القول لرئيس
الوند العربي الحيري وقال : " أنه من المخيبة أن تدفع الروم الجنية : للعرب الذين
يعدون من أكثر أعدائنا فلما وكرنا للجبل ولما عاد الوند العربي إلى الحيرة وأخبروا
ملكهم عما قال جستنوس الثاني أمر عروين هند أخاه قابوس أن يحتاج بسلاح
المنذرين الحارث النخاسي سنة ٥٥٦ م ثم جدد القارة في العام التالي " (١)

وقد حاول الامبراطور جستنوس أن يتخلص من الاتاة التي يدفعها لملك
الفرس فأعلن الحرب عليه سنة ٥٧٢ م واشتبك الجيشان الفارسي والرومي ، وتواترت
المعارك بين الطرفين حتى سنة ٥٧٩ م ، وقد اشترك عروين هند في هذه المعارك
مناصراً للفرس وأسفرت هذه الحرب عن هزيمة ساحقة للروم واضطر امبراطورهم ثيودوسيوس
الذي خلف جستنوس أن يعقد هدنة مع الفرس والعرب يدفع فدية كبيرة سنياً " (٢) لهما .

" وكان عروين هند قد أن تولى امرة الحيرة بذهب سنياً في وقت محدد
إلى الدائن عاصمة بلاد الفرس ليمثل ألم كسرى أنوشروان ليعرض عليه احتراجه وتعلقه
بالعرش الساساني " (٣) .

وبعد قتل عروين هند تولى امرة الحيرة أخوه قابوس في أعقاب أيام كسرى
أنوشروان ، وفي عهد قابوس حدثت قطيعة بين الفساسنة والروم ، لأن المنذرين الحارث

(١) الدكتور جواد علي - الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ٢٥٤/٣

(٢) Sykes: History of persia 1. p. 494, London. 1930

(٣) الطبري : الرسل والملوك ١١٢/٢ .

انضامى طلب الى الروم بعض المال ليعتصم به في اعداد جيش قوى يستطيع التوسيع
به في وجه الفرس وعرب الحيرة ، فرفض الامبراطور طلبه فذهب يأتباعه الى "الصحرى"
فلحقى بها .

فانتبهز قابوس هذه الفرصة ، وأغار على حدود الروم ، وتوغل في الأراضي
التابعة لهم ، ولم تنته هذه التحركات الا بعد مصالحة الروم للفرس
في الرصافة ، فجمع المنذر أتباعه وفاجأ قابوسا وجيشه بهجوم خاطف ، كابدت فيه
الحيرة مر الهزيمة ، فذهب تلبوس الى القرس يفتش العون والمدد فقتله في الطريق
رجل من بشكر وطلب أمواله . (١)

ومع سوته اختلف الدعيون فيما بينهم علىهم ، فلما رأى ملك الفرس
اختلافهم اختار رجلا فارسيا يدعى "سهراب" وعينه أميرا على الحيرة ، ولكن العرب
لم يتقبلوا ذلك الاختيار بشئ من الارتياح وانما بدأ الخلاف والافتقار يدب بينهم
ومن الفرس . (٢)

وأما المنذر فترجع بين المنذر وبين "الملك" فأراد أن يثار لأبيه من المساعدة
فصار المهم بجيش كبير المدد والعدة ، ولما علم الحارث بن أبي سمر القسبي بذلك
سار لملاقاته بجيش من أهل الشام ، والتقى الجيشان في مرج حليمه ، واشتد وطيس
القتال حتى ستر الفبار الشمس وانتهت الحرب بهزيمة جيش العراق واعلمية المنذر
بطعنة نافذة أيدت بحياته . (٣)

وفي أثناء اختصاره أوصى بأولاده الى اباس بن قبيضة الطائي ، وملكه غلبي
الحيرة ، الى أن يرى كسرى هرمز بن أنوشروان رأيهم مكث ملكا على الحيرة أشهر . (٤)

وتضح لنا مما سبق أن ملوك الفرس قد سيطروا على إمارة الحيرة سيطرة تامة
وتدخلوا تدخلا سافرا في سميم شؤون البيت المالك ، وشدوا الخناق عليهم ، واخضعوه .

(١) الدكتور جواد على : ٢٥١/٢

(٢) يوسف خبطة : الحيرة ١٦٨

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٢٢٣/١ - ٢٢٤

(٤) أبو الفرج الاصفهاني : الأغاني ١٠٥/٢

لنفوذهم .

ومن الجدير بالفكر أن التفرق كان ناشأ عن ولدا وقيل ثلاثة عن ولدا .
 ومنهم النعمان والأحمد هما لكبر أولاده . وكانوا يسمون الأشاهب من جمالهم بأعداد
 النعمان فكان أحمد أكبر من قصيرا ، وقد دفع النذر بآبته النعمان إلى عدى بن نهد
 مترجم كسرى لترتيب من الرضاة فما فوقها فرباه وعلّم الكتابه والعلم والأدب ، ودفع
 بآبته الأسود إلى عدى بن مرثا من أشراف الحيرة لترتيب وتعليمه سائر العلوم المحروقة
 في عصره .

"بدأ ملك الفرس هرمز بن كسرى أنوشروان (٥٢٩ - ٥٦٠) بفكر فنى
 تعيين ملك على الحيرة فأشدد على عدى بن نهد العبادى وكان مترجما فنى يلاطه ، وقال له :
 من بنى من بنى النذر ؟ وماهم ؟ وهل فهم خير ؟ فقال عدى : يتوشهم فنى ولد هذا
 البيت النذرين النذر ، وهم رجال ، فقال : أبعث إليهم ، كتب إليهم فقد روا عليه
 فأنتزلهم على عدى ، كان عدى يفضّل أخوة النعمان عليه فنى التزول وهو يريد أن لا يرجوه
 صخلوهم رجلا رجلا يقول لهم : إن سألكم الملك هرمز فكيفى العرب ؟ فقلوا نكفكم
 إلا النعمان ، وقال للنعمان : إن سألك الملك من أخوتك : قتل له : إن عجزت همهم
 فأنا من يمرهم أبجز ، وكان عدى بن مرثا الذى قام بتربية الأسود بن النذر يقول له :
 رغبى إليك أن تخالف عدى بن نهد فإنه والله لا ينص لك فكيفى كنت إلى قوله " (١) فلما
 أمر كسرى عدى بن نهد أن يدخلهم عليه جعل يدخلهم عليه رجلا رجلا ، والتزموا
 جميعا بشيخة عدى بن نهد ، فرضى كسرى بجواب النعمان وسره فملكه وكماه ، واليه
 تاجا فيه ستون ألف درهم وفيه اللؤلؤ والذهب (٢) ، فانصرف بذلك النعمان عن أخوته
 وسر عدى بن زيد يتولى ربيعة الملك .

(١) Olsary: Arabia before Muhammad London, 1927 p. 260

(٢) الطبرى : تاريخ الزمل والطوك ١٤٢/٢ .

وشعر عدي بن زيد بأشعار عدي بن مرثا لا خفاق الأسود في الملك ، فأعد
بأمان في البيعة ، وكُرسل إلى ابن مرثا أن أشتى بين أحييت فإن لم حاجة ، فأشى
في ناس فتعدوا في البيعة ، فقال عدي بن زيد لعدي بن مرثا : أتى معرفت أن صاحبك
الأسود بن الغد ركان أحب إليك أن يملك من صاحبي النعمان ، فلا تلحقني على شيء ،
كنت مثله ، ثم حلف عدي بن زيد في البيعة أن يصاني ابن مرثا ، أن لا يهجو ولا يؤذيه
وحلف ابن مرثا أن لا يزال يهجو أبدا ويغيبه القوائل ما بقى يخرج النعمان حتى نزل
منزله بالحيرة ، فقال عدي بن مرثا لعدي بن زيد .

ألا أبلغ عدي ياعن عدي	فلا تجزع وإن رشت ترواكا
هياكلنا تبر لغير قعر	لتعهد كهم به عشاكا
فإن تغفر فلم تغفر حبيدا	وإن تعطب فلا يبعد سواكا
ندمت ندامة الكعس لما	رأت عيناك ما صنعت يداكا

وقال عدي بن مرثا للأسود إذا لم تغفر فلا تعجز أن تطلب بشارك من هذا
المعدى الذي علمت ما فعل فقال ما تريد ؟ قال : أريد أن لا يأتيك فائدة من
مالك وأرضت إلا عرضتها على فعض ، وكان ابن مرثا كثير المال والضيعة ، فلم يملك
في الأرضهم إلا على باب النعمان هدية من ابن مرثا نصار من أكرم الناس عليه ، وكان
لا يقضي فيه ملكه شيئا إلا بأمر ابن مرثا ، وكان إذا ذكر عدي بن زيد هذه أحسن
عليه الشاء ، وذكر فضله وقال : لا يصلح المعدى إلا أن يكون فيه مكر وخديعة .

فلما رأى من يطيع بالنعمان منزلة ابن مرثا هذه لسزومه وتابعوه ، فجعل
يقول لمن يثق به من أصحابه إذا رأيتوني أذكر عدي بن زيد هذا الملك بخير فتولوا
أنه لكما تقول ، ولكنه لا يسلط عليه أحد ، وأنه لهقول : أن الملك يعني النعمان عالمه ،
وأنه ولاء ماؤلاه ، فلم يزالوا بذلك حتى أضعفوه عليه ، وكتبوا كتابا على لسان عدي
إلى قهرمان لعدي ، ثم دسوا له حتى أخذوا الكتاب ، ثم أتى به إلى النعمان فقرأه
فأغضب . (١)

فأرسل النعمان إلى عدي بن زيد مزمت عليك إلا زرتني فاني قد اشتقت إلى
رئيسك ، وهو عد كسرى الثاني يومئذ بن هرمز (٥٩٠ - ٦٢٧) فاستأذن كسرى
فأذن له ، فلما أتاه لم يثر إليه حتى حبه في حبس لا يدخل عليه أحد ثم
فجعل عدي بن زيد يقول الشعر وهو في السجن :

لست أحمى عن الهام وأتوسل بك بخير الأتباء عطف السؤال

فقال أنصارا وكان كلما قال عدي من الشعر بلغ النعمان وسعه ندم على
حبسه أباه ، فجعل يرسل إليه بعدد وسنه ويغني أن يرسله فيغنيه الفواضل فقال عدي

أرفت لك مهربات فيه بوارق برتقين رؤوس شبيب

فلما طال سجن عدي كتب إلى أخيه أبي وهو مع كسرى بشعر فقال :

أبلغ أبا على نأبسه	فهل ينفع العراء ما قد علم
بأن أخاك شقيق الفؤاد	دكت به والها صاعدا
لدى لك موش بالجد	أما بحق وأما علم
فلا أعرفك ككذب القلا	م مالم يجد عار ما يهتكم
فأرضك أرضك أن تأتينا	تم نومة ليس فيها حلم (١)

فلما قرأ أبياء وكتابه تلم كسرى بن هرمز فيه ، فكتب إلى النعمان وأرسل
رجلا في اطلاق عدي ، وتقدم أخو عدي إلى الرسول بالدخول إلى قبل النعمان
ففعل ، ودخل على عدي وأعلمه أنه أرسل لاطلاقه فقال له عدي : لا تخرج من عدي
وأعطني الكتاب حتى أرسله فانك إن خرجت من عدي تطلق ، فلم يفعل ، ودخل أعمد
عدي على النعمان ، فأعلمه الحال ، وخوفوه من اطلاقه ، فأرسلهم إليه فخنقوه
ثم دفنوه .

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ١٤٩/٢ .

"جاء الرسول فدخل على النعمان بالكتاب ، فقال : نعم وكرامة معك
 اليه بأريمة آثار فقال جارية ، وقال : اذا أصبحت فادخل عليه فخذ ، فلما أصبح
 الرسول دعا الى السجى فلم يرعها ، وقال له : الحرس : انه مات منذ ايام ، فرجع
 الى النعمان وأخبره أنه رأى بالأأس ولم يره اليوم ، فقال كذبت وزاده رشوة ، واستوثق
 منه ألا يخبر كسرى إلا أنه مات قبل وصوله الى النعمان .

وقدم النعمان على قنقه ، واجتراً اعداء عدى على النعمان وهابهم هيبة
 شديدة فخرج النعمان لى بعض صيده فزأى ابنا لعدى يقال له زيد فكله وفرح به
 فرحا شديدا واحذر اليه من أمر أبيه ، وسيره الى كسرى بن هرمز ، ووصفه له ، وطلب
 اليه أن يجعله مكان أبيه ففعل كسرى ، وكان يلى ما يكتب الى العرب خاصة (١) .

وسأله كسرى عن النعمان فأحسن الثناء عليه ، وأقام عد الملك سنوات بمنزله
 أبيه ، وكان يكثر الدخول على كسرى ، وكان لملوك المعجم صفة للنساء مكتوبة عدهم ،
 وكانوا يبعثون فى طلب من يكون على هذه الصفة ولا يقصدون العرب ، فقال له زيد
 ابن عدى : انى أعرف عد عدك النعمان من بناءه ينات مع أكثر من عشرين امرأة على
 هذه الصفة ، قال فنكتب فبهن قال : أياها الملك ان شر نى ، فى العرب وفى النعمان
 أنهم يتكلمون بأنفسهم عن المعجم ، فأنا أكره أن يعتذر ان قدمت أنا عليه لم يقدر على
 ذلك فابعتنى ، وابتعت نى لا رجلا يفقه العربية ، فبعث معه رجلا جلدا ، فخرجنا
 حتى بلغنا الحيرة ودخلا على النعمان فقال له زيد : ان الملك احتاج الى نساء لأخله
 وولده وأراد كرامتك فبعث اليك ، قال : وما هو ؟ النحوة قال : هذه صفتين قد
 جئنا بها ، وكانت الصفة أن العذراء أهدى أنوشروان جارية أصابها عد الغارة طمس
 الحارث بن أوى شعر العناني وكتب يعقبا بأنها معتدلة الخلق نقية اللون والثمر
 بيضا ، وطفا ، تحمرا ، وعجا ، . . . الخ فقبلها كسرى وأمر بإثبات هذه الصفة
 الى ايام كسرى بن هرمز فقرأ زيد هذه الصفة على النعمان فثنى لذلك عليه ، وقال

(١) ١ : التمهيد : الكامل فى التاريخ ٢٨٢/١

لزيد والرسول يسمع : فأتى عين السواد وفارس ما تهللون حاجكم فقال الرسول لزيد :
ما الحق ؟ قال : البقر ما تشبهنا يومئذ وكنت الى كسرى ان الذى طلب الملك
يسير حدى ، وكان لزيد اخذنى حدى . (١)

فلما عاد الى كسرى قال لزيد أين ما كنت أخبرتني ؟ قال قد قلت للملك
وعرفت بخلهم بنعمائهم على غيرهم ، وإن ذلك لشقائهم وسوء اختيارهم ، وصل هذا الرسول
عن الذى قال : فأتى أكبر الملك من ذلك بمسأل الرسول فقال : إن قال ما تى بقصر
السواد ما يلقوه حتى يطلب ما عهدنا نعرف الغضب فى وجهه ويوقع فى قلبه منه ما يوقض ،
ولكنه قد قال رب عبد قد أراد ما هو أشد من هذا فاصبر أمره الى الثياب وشاع هذا
اللام حتى بلغ النعمان ، وسكت كسرى على ذلك أمهرا .

وجعل النعمان يستعد ويتوقع حتى أتاه كتابه أن أقبل فان للملك اليك
حاجة ، فانطلق حين أتاه كتابه فحمل ملاحه وما قوى عليه ، ثم لحق بجبل على ، وكان
متزوجا اليهم ، وطلب منهم أن يسموه فأبوا عليه خفا من كسرى ، فأقبل وليس من
العرب أحد يصعد حتى نزل فى ذى قارى هو شيان سرا ، فلقى هاشم بن سمير
ابن عمرو الشيلاني ، وكان سيدا شيما من سادات ربيعة وعمر عليه أن يصعد ما يصعد
من أهله فتقبل فادبعه أهله وماله ونحو أربعائة درهم وقيل ثمانمائة درهم . (٢)

فتوجه النعمان الى كسرى فلقى زيد بن عدي على تنظرة ساباط ، فقال أنسى
نعيم ، فقال أنت يا زيد فعلت هذا ؟ أما والله من انفلت لأفعلن بك ما فعلت بأبيك
فقال زيد أضر نعيم ، فقد والله منعت لك أخيه لا يقطعها المهر الآن ، فلما بلغ
كسرى أنه بالباب بعث اليه من يقيد ، وبعث به الى خانقين حتى وقع الطامعون فمات
فيه ، وكان ذلك تبيل الاسلام بقليل ، وتيل : أنقاه تحت أرجل القيلة فوطته ، وقال

(١) الطبرى : الرسل والملوك ١٥٢/٢

(٢) ابن الأثير الكامل فى التاريخ ٢٨٨/١

هاني* بن محمود يرثي النعمان بهذا قتل كسرى اياه :

"ان ذا الطلح لا كباذك اضعى وذرى بيته نهر الفيل
ان كسرى دعا على الملك النعمان حتى سقاء كم الليل
قد عرفنا وقد رأينا لدى الحـيـرة قى السليمين خير قتيل (١)

وقد رثاه عدد من الشعراء منهم لبيد والأخى وغيرهما .

وانتقل ملك الحيرة بعد مقتل النعمان الى رجل غريب لم يكن من لحم اسمه
اياهم بن قبيصة الطائي ، وكانت له منزلة عظيمة عند كسرى يروى لما سبق أن قدم له من
خدمات منها تقديمه نرما وجزير الكسرى اثنا* نزاره من بهرام جوهين ، وساعده لكسرى
فى حربه مع الروم ، فقد تمكن من هزيمة الروم فى "ساندما" وقد كافاه كسرى على
ذلك بأن جعله عاملا على عين التمر وما والاها الى الحيرة ، وأطعمه ثلاثين قرصة
على شاطئ* الفرات ، ومع ثقة يروى باياض الا أنه لم يوله وحده على الحيرة بعد مقتل
النعمان بن الحنظل بل جعل الى جانبه رجلا فارسيا يسمى النخرحان (٢) وقد
وقعت اثنا* توليه الحكم وقعه ذى قار .

وذوقار ما* لكرين وائل بين الكوفة وواسط* ، والقرب منه مواضع منها جنودى قار
وتراثر سطحا* ذى قار والجبابات وقد وقعت فى هذه البقعة معركة كبيرة بين العرب
والفرس فيها انتصر العرب على الفرس انتصارا عظيما ، وسبب هذه المعركة مطالبة كسرى
برسر هاني* بن قبيصة بتعلم الرذائع التى أودعها النعمان اياه ، فلما أبى هاني*
تعليم ما أوتى عليه لغير أهله غضب كسرى ، وأظهر أنه يستأصل بكر بن وائل ، وكان
هــد ، يوشك النعمان بن زرقعة التغلبي ، وهو حبيب فلاك بكر بن وائل ، فقال لكسرى ياخير
البلوك أدلك على غرة بكر ، قال نعم ، قال : أهلهم حتى يقيظوا ويتساقطوا على ذى قار
تساقط الفراعن فى النار فتأخذهم كيف شئت ، نصبر كسرى حتى جاء ذى قار حنو قارسل

(١) ياقوت الحموى : معجم البلدان مادة يولحون القاهرة مطبعة السعادة ١٩٠٦ م

(٢) حمزة الاصفهاني : تاريخ سنى الطوك ٢٤ .

(٣) الطبرى : الرسل والطوك ١٥٢/٢

اليهم كسرى النعمان بن زريخيرهم واحدة من ثلاث اما أن يعطوا بأبيهم ، واسما
 أن يتوكيا هياهم ، ياما أن يحطوا خيلوا كسرى حنظلة بن ثعلبة العجلي ، فأرسل
 بالحرب فأذنوا المطع بالحرب فأرسل كسرى الياسر بن قبيصة الطائي أمير الجيوش
 وسعه مرأته الفرس والهامز النمر وغيره من العرب تغلب ولياد وقيس بن مسعود بن قيس
 ذي الجدين ، وكان على طاف صفوان فأرسل القبول - وكان قد بعث النبي صلى الله
 عليه وسلم - قسم هاني بن مسعود دوزخ النعمان وسلاحه في ذوي القوة والجلوس
 من قومه ، فلما دنت الفرس من بني قيسان قال هاني بن مسعود : يا معشر بكر لا تأتمنوا
 لكم في قتال كسرى فاركبوا إلى الغلاة ، فمارح الناس إلى ذلك ، فوثب حنظلة بن ثعلبة
 العجلي ، وقال : يا هاني ، أردت نجاشا فألقها في الهلكة ، فمد الناس وطع
 رشن اليهودج وهي حزم الرجال وضرب على نفسه وأقسم على نفسه أن لا يفر حتى
 تفر القبة فرجع الناس ، واستقوا ما صف مشر ، فأتتهم العجم فقاطبهم الجندود
 فانهزمت العجم خوفا من العطش إلى الجبابات فصبغهم بكر وعجل وأبليت يومئذ بسلا
 حنا ، اصطفت عليهم جنود العجم ، فقال الناس هلكت عجل ، ثم حلت بكسر
 فوجدت مجلا تقتل " ولمرأة منهم تقول :

ان تنظروا يحرقوا نهننا العزل
 أيها نداء لكم بني عجل .
 وتقول أيضا تخطف الناس :

ان تهزوا نعانق
 ان تهزوا نعانق
 فراق نيران وامشي (١)

فقاتلهم بالجبابات يوما ، ثم عذب العجم فقالوا إلى بطش ذي قار " فأرسلت
 أياد إلى بكر سرا وكانوا مع الفرس وقالوا لهم ان شئتم مرشنا الليلة ، وابن شئتم أمتنا
 ونفر حين ثلاثون الناس ، فقالوا : بل نقيمون وتهزبون اذا التقينا .

(١) الطبري : الرسل والعلوك ١٥٤/٢ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٢٩١/١ .

وقال يزيد بن حسان الشكري وكان حليفا لبني شيان اطيعوني واكثروا لهم
فعلوا ثم غاظوا وحرروا بعضهم بعضا عتالت بنت القيس الشيبانية :
ايها بني شيان مقلنا بعد نصف ان تهزموا يصير وقتنا اقل
نقطع سباعنا من بني شيان اتيتهم من حناكهم لتخف ايديهم لضرب
السيف فجالدوهم موارز " الهامز فبرز اليهم دين حارثة الشكري فقلته يرد " ثم
حطت حمزة بكر " وميضتها وخرج الكمين فشدوا على قلب الجيش وفيهم ايامهم
فبيصه الطائي " وولدت ابياد منهزة كما وعدتهم فانهزم الفرس وتبعهم بكر تحتل ولا تلحق
الى سلب وخروسة " وقد قال اشعرا " في رقة ذي ثار فاكثروا " ونذكر على سبيل
الثال لا الحصر بعض أبيات ما قاله اعشى بكر في هذه الرقة :

لما التفتنا كشفا عن جماجمنا	لعلوا ائنا بكر فهزموا
قالوا البقية والهندي يصد هم	ولا بقية الا النار فانكفوا
وجند كسرى غداة الخو صبحهم	منا كتاب تزجي العوت فانصروا
اذا اما لوا الى الشهاب ايديهم	لما بيض قتل الهام يختطف
وخيل بكر فما تشك تطحنهم	حتى تزلوا وكاد اليوم ينتصف
لو ان كد معد كانت تاركنا	في يوم ذي قار ما اخطاهم الشرف (١)

وقد كان لانصار العرب على العجم في هذا اليوم رنة سرور عظيمة فخير
وجبور " فقد نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : عند بلقه هذا الانتصار
هذا اول يوم اتصف فيه العرب على العجم " انتصروا " ونرى
الحقيقة ان هزيمة الفرس في هذه المعركة سهلت سبل الفتح على المجاهدين فليس

(١) الدكتور محمد حسين - ديوان الاعشى الكبير القصيدة رقم ٦٢ صفحة ٢٤٢

الطبعة الثانية بيروت

(٢) ابن الاثير الكامل في التاريخ : ٢٩٢/١ - ٢٩٣

وجنح كسرى عرجة بعد قتله النعمان أبي قابوس مؤمنة جهته في واقعة
ذى قار إلى سياسة فارسية بحثت في الحيرة نصين رجلا فارسيا طمها يد في أراد به — من
ما بيان الهذاني وظل حاكما للحيرة سبع عشرة سنة منها في زمن كسرى بن هرمز أربع
عشرة سنة وثانية أشهر ، وفي زمن شيريه بن كسرى ثمانية أشهر ، وفي زمن أردششير
ابن شيريه سنة وسبعة أشهر وفي زمن بيران دخت بنت كسرى شهرا .

وقد ساهمت هزيمة الفرس الساحقة أمام الروم والفتن الداخلية والثورات
القوية سامة فعالة في استعادة المشرق الخامس . بن النعمان أبي قابوس لطيف
الحيرة ، ولكن لم يطل الأمد طمها الكثيرين ثمانية أشهر حتى جاءه جحافل المسلمين
بقيادة خالد بن الوليد في خلافة أبي بكر بن الصديق في سنة ١٢هـ / ٦٣٢ م ، وكان
آخر من بقي من آل نصر وانقرض ملكهم مع انقراض ملك فارس ، فجمع ملوك آل نصر
فيها زم همام مشون ملكا ملكوا خمسائة واثنين وخمسين سنة وثلاثة أشهر .^(١)

اليمن وحلته بالفارس :

لما قتل "ذونواس" من أهل نجران عشرين ألفا أفلت رجل منهم يقال له :
"دوس ذو شلبان" الذي تمكن من الوصول إلى الحبشة ، وأخبر طمها بما حدث
فأرسل نجاشي الحبشة رسولا إلى تيمور الروم يخبره بما فعله ذونواس بنصاري نجران
ويطلب إليه أن يبعث بعض السفن لنقل طمها الجنود إلى اليمن ، فبعث إليه سفنا
كثيرة ، فأتاها النجاشي بالجنود الذين سخرها بها لبحر بقيادة "أرباط" إلى اليمن
وتكنوا من هزيمة ذى نواس والاستيلاء على اليمن ، وتتابع على حكم اليمن بعد أرباط
أبرهة وابناء يكسوم ومسروق ، وقد أذل الألباش أهل اليمن فتحكوا ناسهم وقتلوا
رجالهم ، واتخذوا أبنا أهم تراجمة بينهم وبين العرب .

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ١ / ٢٩٢ - ٢٩٣ الطبعة الثانية بيروت .

"ولما أشدّ الهلاك على أهل اليمن خرج صوفين ذى يمين الحميري ، وكان يكنى بأبي مرة حتى قدم على قصر الروم ، فشكا إليه ما هم فيه ، وطلب إليه أن يخلص الأبحاش من اليمن ، ويبيح لهم من يشاء من الروم ، ولم يجد عدداً ما يجب لموافقتهم ، والحيشة في الدين " (١) .

فخرج حتى قدم الحيرة على عمرو بن هند فشكا إليه ما هم فيه من الهلاك والذل ، فقال له عمرو : " أن لي على كسرى كئوسان وفادة في كل عام ، وقد اتترب بوعدها ، فأتهم هدى حتى يكون ذلك ، فأغرين بك بعض ، فلما حان موعدها خرج معه ، وبعدهما دخل عمرو على كسرى وخرق من حاجته ذكر له صوفين ذى يمين ، وما قدم له ، وسأل أن يأذن له عليه فقبل ، فلما دخل قال : أيها الملك ان لي هداك ميراثاً ، فبأبى كسرى ، وقال له : من أنت ؟ وما ميراثك ؟ قال له : أنا ابن الشيخ الهاشمي الذي وهب النصره فأت بيابك ففكك العدة حتى لي وميراث " (٢) . فبق كسرى له وقال : بعدت بلادك ها وقل خيرها ، والمملك الهيا ومر ، ولمست أغرب بجمي ، ثم أمر له فأكبوز بعشرة آلاف درهم ، وكساء كسوة حمضنة ، فخرج وجعل ينثر الدراهم ، فانتهبها الناس ، فلما سمع كسرى بذلك أمر بأحضاره فأحضر ، وسأله م حله على ذلك ؟ فقال : لم أتك للمال ، وإنما جئتك للرجال ، ولتضعني من الذل والهوان ، فأعجب كسرى بقوله فامتنان وفرا في توجيه الجند معه فقال له جندان جسد : أيها الملك ان لهذا الغلام حقاً بتزوجه اليك ، وموت أبيه يبابك ، وانتقدم من وعدك بالنصر ، وفي جيتك رجال ذوو نجدة وسأله فلما كان الملك وجهم معه ، فان أصابوا غفراً كان للملك ، وان هلكوا فقد استراح وأراح أهل مملكته منهم ، فأتى كسرى هذا الرأي ، فأمر بمن في السجن فأجسروا ، فكانوا ثمانمائة ، ففرد عليهم قائداً من أساوره يقال له رهز ، وقيل : بل كان من أهل المجون سخط عليه كسرى لحدث أحدهم فجسه ، وأمر بحمل الجنود في ثمان سفن ، فركبوا البحر ، ففرقت سفينتان ، وخرج الجنود بساحل حضرموت أو عدن (٣) ، ولحق يمين ذى يمين يشر

(١) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ١١٥/٢ .

(٢) ابن الأثير : الناس في التاريخ ٢٦٣/١ .

(٣) الطبري : تاريخ الرسل والملوك ٢١١/٢ .

كثير ، وسار اليهم سرى في جند كثير من الحبشة وحمير والاعراب ، وجعل وهرز
البحر روا ، ظهره ، وأحرق السفن لئلا يطعم أصحابه في الحاجة . (١) .

وسار وهرز والى جانبه سيف ومن خلفهما جنود الفرس وأتباع سيف من السكاسك
من كندة حتى اقتربوا من سرى الجيش وجيشه ، وقال وهرز ارفعوا لى حاجى وكانوا
قد سقطا على عينيه من الكبر ، فرفعوها له بحصاية ، ثم جعل النشابة في كبد فرسه ،
ثم رى سروتا فأصابه بسهم بين عينيه ، فقتل سرى ، والتف حوله الأحياء ، وحمل
الفرس وأتباع سيف على الجيش فمزجهم هزيمة شكرة ، وقال وهرز انتظروا الأحياء ولا تنظروا
العرب ، وسار حتى دخل صنعاء ، وأرسل الى كسرى يحمله بذلك ، فأمره كسرى
أن يملك سيف بن ذى بن اليمن ، ويغترض عليه لكسرى جنة وفراجا في كل عام ، ثم
تركه وذهب الى بلانده .

وقد ابتهج العرب بخلال اليمن من الحبشة فوجدت على سيف وفودهم تهشة
بطرد الجيش ونصها وقد حكة وطهيم عبد الطلب ، وأمة بن عبد شمس وخولد بن اسد
وأبو الصلت والد أمة ، وقد ارتجل عبد الحطب خطايا وأشد أبو الصلت قصيدة منها
هذه الأبيات :

لا يطلب الثار الا كابن ذى بزن	في البحر غيم للأمة أهوا
انى مرقل وقد شالت نعماته	فلم يجد عده التمر الذى سالا
ثم انتخى نحو كسرى بعد عاشرة	من الحنين يهين النفس والمالا
حتى أتى بينى الا درار يقدسهم	تخالهم تقي من الأرض كجبالا
من مثل كسرى مهتفاه الطول له	أو مثل وهرز يوم الجيش اذ عمالا
لله درهم من نفة صجروا	مائن رأيت لهم في الناس اشالا
يبني مرازيه غلب أساوره	أشد تريب في الفيضان اشبالا (٢)

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ٦٦٤/١ .

(٢) مرازية : جمع مزيان وهو مكون من مرز أحد البلاد صان حارس أى حارس الحدود
أو الحافظ وأساوره جمع أسوار وهو الرافى بالنباهم ، تريب : تريب ، الفيضان :
جمع فيضة وهي المكان المثلج بالماء .

أرسلت أسدا على سود الكلاب فقد
أشجى سرودهم في الأرض فلا (١)
فأمر بهنما طرد التاج يجمعان
في رأسه أن دارا ضحك
وأغل بالمت إذ خالته من
وأسل اليوم في برديت أجيالا
تلك الحارم لا تقبلان من لبن
نميا بها فعادا بعد أبوالا (٢)

وهو الأحرار الذين هاجم أبو الصلت في الأنبيات السابقة هم القوس الذين
قدماوا لنصرة سيف بن ذي يزن "يقى أبناؤهم حتى القرن الرابع الهجري يسمون بسنة
الأحرار بعنما" ، والأبناء باليمن ، والأخا مرة بالكوفة والامارة بالبصرة والسفارة
بالجزيرة ، والجراحمة بالشام (٣) .

وتلك سيف بن ذي يزن بالأحباش الباقين في بلاد ، وكان يقر بطون الجبال
من الحمل ، ولم يترك شهم إلا القليل اتخذهم جماعين يسمون بين يديه بالحراة فكثرت
غير كثير ، ثم أتته خيرة يوما والأحباش يسمون بين يديه يتراسهم فخرهم بها حتى قتلوه
فكان ملكه خمس عشرة سنة ، وشب بهم رجل من الحبشة قتل باليمن وأقصد ، فلما بلغ
كسرى ذلك بعث اليهم وشريفي أربعة آلاف فارس ، وأمره ألا يترك باليمن أسود ولا ولد
عبية من أسود ، ومن تركه فموت أسود تله ، وأقبل حتى دخل اليمن فنفذ أوامر كسرى
وكتب اليه يخبره بما صنع فأقره على ملك اليمن ، فكان يجيبها لكسرى حتى هلك ، فأمر
بعده كسرى ابنه العزبان حتى هلك ، ثم أمر بعده التيجان بن العزبان ، ثم أسمر
بعده ، حوحر بن التيجان ، ثم غلب كسرى عليه فعزل ، وبعث بأذان إلى اليمن
فلم يزل عليها حتى بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم (٤) .

(١) سود الكلاب : يقصد الأحباش ، الغلال : جمع قل وهو المهزوم .

(٢) ابن هشام : الميرة (٢٠/١) ، الطبري : الرجل والطوك ١٢٠/٢

(٣) أبو الفتح الأصفهاني : الأمان ٢٥/١٦

(٤) ابن الأثير الكامل في التاريخ ٢٦٥/١

في السنة السادسة من الهجرة دخل بأذان الاسلام ، وأعلم من كان معه من الفرس والايمناء (الفرس الذين ولدوا في اليمن) ، " وقد كُفَّاء الرسول صلى الله عليه وسلم حاكما على اليمن ، ولما تولى استعمل ابنه شهرين بأذان ملكه . (١)

بعد أن استعرضنا الصلات السياسية بين العرب والفرس وجدنا أن هذه الصلات بدأت تقريبا ببداية استقرار الفرس على هذه البقعة من الأرض التي لا يزالون يعيشون عليها حتى الآن ، وقد توثقت هذه الصلات في بعض الأحيان وإن كانت قد تشعبت في أحيان أخرى إلا أنها كانت ترجع بعد ذلك إلى سالف عهدا .

وقد احتك العرب بالفرس احتكاكا جاسرا في أماكن متعددة من أهمها الحضر والحيرة واليمن أما الحضر فقد أغار عليها يدي الضيق بجيشه على الحدود الغربية للدولة الفارسية في القرن الثالث الميلادي ، فصار سابور بن أردشير ملك الفرس بجيشه إلى هناك فتحصن الضيق بجيشه بالحضر فلم يتمكن الفرس من دخول الحضر والاستيلاء عليه إلا بخيانة الخبيثة بثت النسيئة كما نرى بعض الروايات .

أما إمارة الحيرة فكانت أول الدول العربية في ذلك الوقت سرا ، فقد استمرت حوالي ٥٢٣ ثلاث وخمسة مئة تقريبا ، وظلوا لظول هذه العدة فقد كانت تقاتلها بالفرس لانسير على وتيرة واحدة ، فقد يأمرك الفرس بقتل أميرها كما فعل كسرى يريز بالنعمان بن المنذر ، وقد يستعملون بجيشها في غزو الفساسنة أو الروم .

ومن الجدير بالذكر أن هذه الإمارة لم تدع لارادة الفرس في جميع الأوقات فكثيرا ما كان بجيشها يذهب مع الجيش الفارسي لغزو الروم ويشارك في الغنائم والجنحة إذا تمكن من احتراز النسيير .

(١) الطبري : الرسل والملوك ٢/٢٥٠ .

وقد تقوى شوكة الحيرة فنهض أميرها وهو المنذر الأول ابن امرئ القيس
الثاني سبواهم حينئذ جرد الأثيم ملكا على الفرس ثم أخذ الأشراف يرماح الكهنة
ومن يستطيع الشد أن يقيم بهذا العمل عالم يكن جيشه اقترونة من جيش الفرس.

ولم يلبث من غارة الفرس المادية والمعنوية إلا أن العرب كانوا يأنفون
منهم ولا يشرفون بحاضرتهم فها هو ذا النعمان بن المنذر يقرر أن ينجي أبنه لايس
كسرى بن يريز ، ويدفع حياته ثمن لهذا الرنق ، ويتجلى حرص العرب على الأمانة
في أسمى صورة في صنع هاني بن تبيعة الذي رفض الازد على لأمر كسرى في تسليم
مالا ومن عليه من مال النعمان بن المنذر وملاحه وولده ويضع حياته وحياة قبيلته
ثمن لوحد تطعمه على نفسه بمحض إرادته فها هو كسرى بجيشه ، لكن هاشما ورجالهم
ومن انضم اليهم من العرب يتكئون من عزيمة الفرس في معركة " ذى قار " التي حدثت في
بداية بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد كان لهذه المعركة اكبر الأثر في تشجيع
المسلمين في أول أمر خلافة أبي بكر وأوائل أماره عمر بن الخطاب رضي الله عنهما على
غزو الفرس وانتصار عليهم .

أما اليمن فقد استعان أحد أمراءه وهو سيف بن ذي يزن الحيمري بالفرس
ليخلصوا شعبه من ظلم الأحياس ، فلما جاء الفرس ، وساعدوا البسيتين على طرد
الأحياس ، غرضوا الجنة على سيف وشعبه ، فلما اغتيل سيف فقتل كسرى رجلا فارسيا
أميرا على اليمن .

ومن الجدير بالذكر أن جنود الفرس الذين ساعدوا في تحرير اليمن من
الأحياس ، استقروا هناك وتزوجوا بعض البشبات ، على الرغم من أن موارد اليمن أقل
من موارد فارس في ذلك الوقت ، وليس هناك تعليل لهذه الظاهرة في نظرنا إلا أن
هؤلاء الجنود فضلوا البقاء في اليمن مستعدين بحياتهم بعيدا عن الظلم الاجتماعي
الذي كان موجود في ذلك الوقت .

ولكننا نرى أن العلاقات الميادية بين العرب والفرس لم تمر على وثيرة واحدة ،
فقد قطع مرة وتصل مرة أخرى وذلك لأنهما شعبان شجاوران تتعارضان هالهما مسرة
وتلحق مرة أخرى .

المصادر والمراجع التي مررت بها حواشي البحث

أولاً : المصادر والمراجع العربية :

١ - آرثر كريستنسن : ايران في عهد الساسانيين ، ترجمة الدكتور يحيى الخشاب والدكتور
عبد الوهاب عزام لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٥٧م

٢ - ابن الأثير : (على بن محمد بن محمد الكشي بأبي الحسن والملقب بمنز الدين)
الكامل في التاريخ ، تحقيق عبد الوهاب النجار - دار الطباعة
الغربية القاهرة ١٣٤٨ هـ

٣ - ابن خلدون : (أبو زيد ولي الدين بن عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن جابر)
العبر ديوان المقداد والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن
عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، الطبعة الأخيرة ، القاهرة
١٣٢٨ هـ

٤ - ابن الجبيري : (غريغوريوس من أمراء الطائفة المرومية بأبن العبري والكشي
بأبي الفرج ، مختصر تاريخ الدولة ، بيروت مطبعة الآباء اليسوعيين
١٩٩٠ م

٥ - ابن هشام : (أبو محمد عبد الملك بن هشام) السيرة النبوية تحقيق مصطفى
الحقا وآخرين ، طبعة الباهي الحلبي مصر ١٩٣٦ م

٦ - أبو الفرج الأصفهاني : الأغانى ، طبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٢م .

٧ - أدري شمير : الألفاظ الفارسية المعربة ، الطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين
بيروت سنة ١٩٠٨ م

- ٨ - البلاذرى : (أحمد بن يحيى بن جابر بن داود) : فتح البلدان
القاهرة مطبعة الموعوظات ١٩٠١ .
- ٩ - جواد على : (دكتور) : الخصل في تاريخ العرب قبل الاسلام دار المعلم
للغلايين بيروت ١٩٧٦ م
- ١٠ - حسن بيرنبا : تاريخ ايران القديم ترجمة الدكتور تهر الدين محمد النعمان
والدكتور السباي القاهرة ١٩٧٨ م
- ١١ - حرة الاصغهانى : كتاب منى ملوك الارض والانبيا : طبعة كازيانى هيرلين
- ١٢ - الشريف الرضى : الديوان ط . القاهرة ١٩١٢ م
- ١٣ - الطبري : الرسل والملوك ط . دار المعارف ١٩٦٠ م
- ١٤ - هدى بن زبد : الديوان ط . القاهرة ١٩٣٠ م
- ١٥ - الفهرست : الشاهنامة : الترجمة العربية للبندارى اكملها الدكتور عزام
مطبعة دار الكتب الحرة ١٩٣٦ م
- ١٦ - محمد محمد حسن دكتور : ديوان الاعلى الكبير - الطبعة الثانية - بيروت
- ١٧ - البهائى : جمع الامثال ط . السنة المئوية القاهرة ١٩٥٥ م
- ١٨ - ياقوت الحموى : معجم البلدان - مطبعة السعادة - القاهرة ١٩٠٦
- ١٩ - يوسف رقى الله غيبة - الحيرة - المدينة والملكة العربية - مطبعة دكتور الحديثة
بغداد ١٩٣٦ م .

ثانيا : المراجع الفارسية :

- ١ - آذرتاش آذرشوي : راجعهای نفوذ فارس در فرهنگ و زبان تاري (مجله)
از اسلام شهران ١٣٥٤ هـ
- ٢ - ميرخواند : روضة الصفا في سيرة الانبياء والطوك والخلفاء الهند
بهاي ١٢٦٢ هـ

ثالثا : المراجع الأجنبية :

- Olsary: Arabia before Muhammed, London, 1927.
- Sykes: History of persia London, 1930.

نضارة اللغة العنوبية والخط العنوب قبالا اسلام

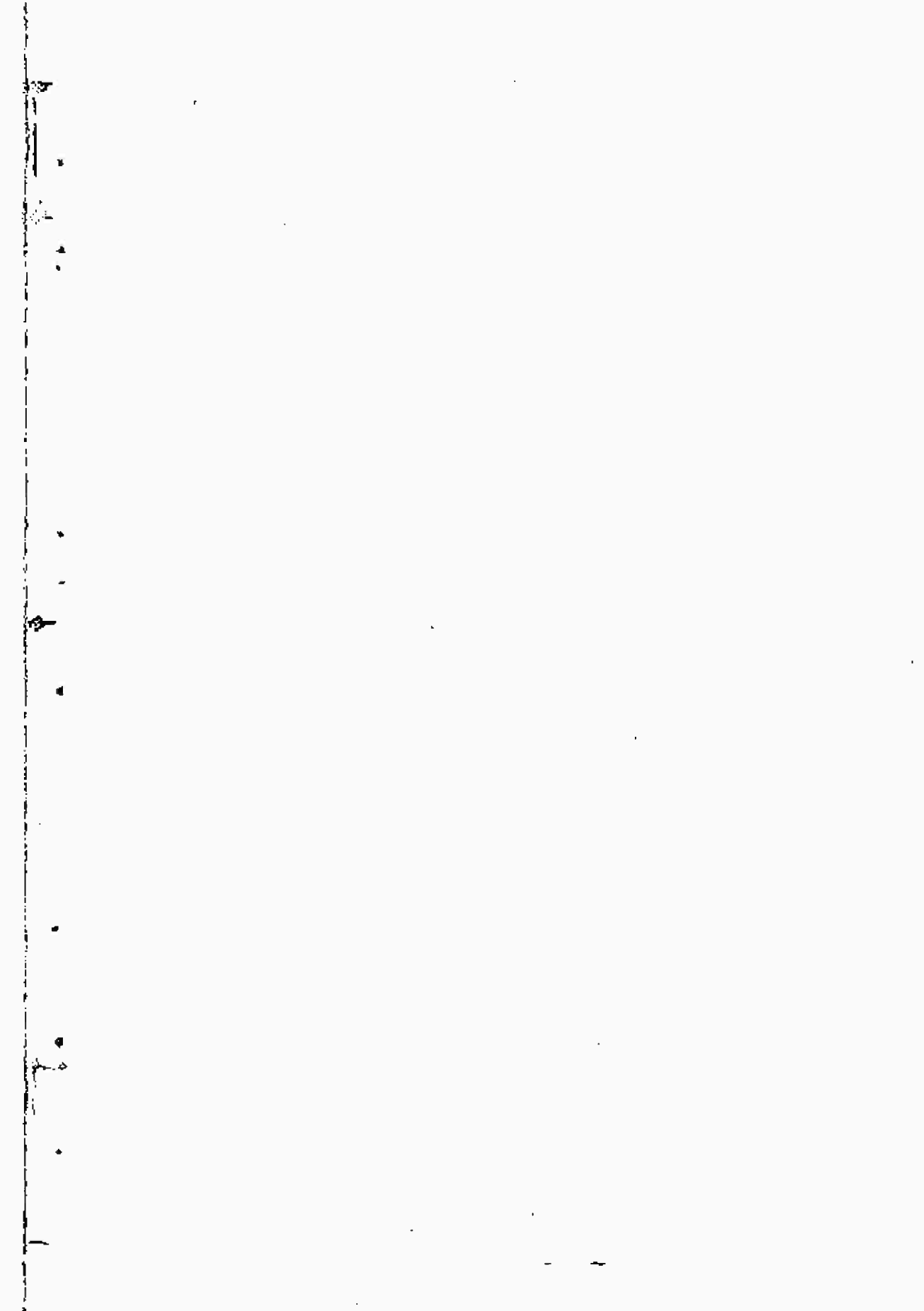
الدكتور

حسن عبد الباسم

قسم اللغة العربية واللغات الشرقية

كلية الآداب

جامعة الامكنديسة



نشأة اللغة العربية والخط العرس قبل الاسلام

ان نشأة اللغة العربية وخطها موضوع يتكون من أفكار رئيسية ، وأخرى فرعية ، ولو أردنا أن نتحدث عن الأفكار الرئيسية والفرعية لطالينا الحديث ، ولهذا نتكفى بالتركيز على الأفكار الرئيسية ، وهي كما يأتي :

- ١ - آراء العلماء العرب ونظرياتهم في نشأة اللغة العربية .
- ٢ - صلة اللغة العربية باللغات السامية .
- ٣ - نشأة اللغة العربية .
- ٤ - نشأة الخط العرس .

وها نحن أولا نستعرض آراء العلماء والدارسين في كل فكرة من الأفكار الرئيسية السابقة لنترى أيها أكثر قربا من الصواب .

آراء العلماء العرب ونظرياتهم في نشأة اللغة العربية :

اللغة أصوات خاصة ينقلها لفظها ما بدور في ذهنه من معان وأفكار .
وقد اختلف الباحثون واللغويون قديما وحديثا في نشأتها . وذهبوا في ذلك مذاهب
فثنى . ومنها نظريات متعددة منها التوقيف أو الإلهام . ومنها التواضع والانتساب .
ومنها محاللات أصوات الطبيعة . ومنها الفريضة الخاصة بالوحدة . ويحملنا أن نتناول
النظريات العابقة بشئ من التفصيل لنرى أيها أكثر قربا من المنطق والواقع .

١ - التوقيف أو الإلهام : يرى فلاسفة اليونان القدماء وعلى رأسهم هيراكليت
أن الله ألهم الإنسان اللغة وعلقه النطق وأعطاه الأشياء . وقد سار على نهجه بعض
الباحثين الغربيين ومن قدّمهم الأب لاس في كتابه من الكلام والفيلسوف دونا لفس
كتابته التثريب القديم . وقد أخذ هؤلاء القدماء والحدثون على ما ورد في سفر
التكوين " لأن الله خلق من الطين جميع حيوانات الحقل . وجميع طيور السماء . ثم
عرضها على آدم . ليرى كيف يسميها . ولجعل كل منها الاسم الذي يضعه له الإنسان .
فوضع آدم أسماء لجميع الحيوانات السائنة وطيور السماء ودواب الحقل " (٢) .

والنعم السابق لا يدل على شئ . ما يقوله أصحاب هذه النظرية بل يكاد يكون
حجة عليهم لا لهم .

وأما الغربيون والقبائل واللغويون العرب القدماء وعلى رأسهم ابن عباس والأنصري
وأحمد بن فارس وأبو علي الفارسي وابن جني قد قالوا لمعظمهم بالتوقيف . وقال بعضهم
الآخر بالتوقيف تارة . ثم عدل عنه تارة أخرى . ولهذا نجد أننا أن نتموضع أمثالهم .
ونتناولها بشئ من التحليل . لنرى ما أخذوا عليه من حجج وبراهين في اثبات تلك
الأنوال .

(١) الدكتور علي عبد الواحد وأنس : نشأة اللغة عند الإنسان والطفل ، ص ٢٢ .
ط - القاهرة ١٩٤٢ م .

(٢) نفس المؤلف : علم اللغة ص ١٠ ط - القاهرة ١٩٦٢ م .

أما ابن عباس قال : " علم الله عز وجل آدم عليه السلام أسماؤه وله انسانا انسانا والدواب قيل : هذا الحمار ، وهذا البغل ، وهذا الحصان ، وتعلمه تعالى دال على أنه الواضح بين البشر ، وأن وصولها بالرجس إلى آدم عليه السلام .^(١)

وأما الأعمري قد قال : أن لغة العرب توقيف ، والدليل ذلك قوله تعالى " وطم آدم الأسما كلها " وقال جماعة طه أسماؤ الثلاثة ، وقال آخرون طه أسماؤ ذريتهم^(٢) أجمعين .

وقال ابن فارس في موضع آخر " كان قال : أتقولون في قولنا سيف وحمام وضرب إلى غير ذلك من أوصافه : أنه توقيف حتى لا يكون شيء منه مصطلحا عليه ؟ قيل لا ، كذلك نقول ، والدليل على صحة ما ذهب إليه اجتمع العلماء على الاحتجاج بلفظ القوم فيها يختلفون أو يتفقون عليه ، ثم احتجوا بهم بأعصارهم ، ولو كانت اللغات مواضعة واصطلاحاً لم يكن أولئك في الاحتجاج بهم بأولى منا في الاحتجاج لو اصطلاحاً على لغة اليوم ولا فسق .^(٣)

إذا نظرنا إلى النعم السابق وجدناه ضعيفا لا يصلح أن يكون دليلا فيما طس توقيفا للغة ، لأن احتجاج العلماء بلغة العرب الأوائل بأعصارهم ، وعدم احتجاجهم بلغة اليوم مرجعه سلامة اللغة عند أولئك ، ونقاوتها واحتفاظها بأصولها ، وعدم اختلاطها بغيرها من اللغات ، وتأثيرها بها .

أما ابن جنى فله رأيان عن نشأة للغة أولها يقول فيه : وأضاف إلى ذلك وارد الأخبار العائنه بأنها من عند الله عز وجل ، وقوى في نفس اعتقاد كونها توقيفا من عند الله سبحانه وتعالى ، وأنها وحى .

(١) السيوطي : الاقتراح في علم أصول النحو ، ص ٦ ط . حيدرآباد ١٣٥٩ هـ .

(٢) ابن فارس : الصحاح في لغة اللغة ص ٥ ، ط . القاهرة ١٩٥٢ م .

(٣) نفس المصدر السابق ص ٦ .

(٤) ابن جنس : الخصائص ١/ ٤٧ ، ط . القاهرة ١٩٥٢ م .

والرأى الثانى يقول فيه : ان أبى على الفارس رحمه الله قال لى يوما هى من عند الله . واحتج بقوله سبحانه وتعالى " وعلم آدم الاسماء كلها " وهذا لا يتناول وضع الخلاف . وذلك أنه قد يجوز أن يكون تأويله : أتحدث آدم على أن واضع عليها . وهذا المعنى من عند الله سبحانه وتعالى لا محالة . فإذا كان هذا محتملا غير مستكبر فقط الاستدلال به . وقد كان أبو على رحمه الله قد قال به فى بعض كلامه على أنه لم ينسج قول من قال : انه تواضع منه على أنه قد فسر هذا بأن قيل : ان الله سبحانه وتعالى علم آدم أسماء جميع المخلوقات بجميع اللغات العربية والفارسية والسريانية والعبرانية والرومية وغير ذلك من سائر اللغات فكان آدم وولده يتكلمون بها ثم ان ولده تفرقوا فى الدنيا . وعلى كل منهم بلغة من تلك اللغات فقلبت عليه . وأضحل منه ما سواها ليعلم عهدهم بها .

إذا نظرنا الى رأى ابن جنس الاول نجد يعطل ذهنته . وسلم بالاخبار الباثرة التى نقلت اليه أن اللغة توقيف . ويشاركه أسناده أبو على الفارس فى هذا السرى الا انها فى رأيهم الاخيرين يحاولان ان يخرجوا الآية " وعلم آدم الاسماء " تخريجا يبعدها عن أن تكون دليلا قاطعا على توقيفية اللغة . ويجعلان معناها أن الله أتحدث آدم على الوضع أو أن ولد آدم لما كثر عددهم . وتفرقوا تركوا اللغة الموقوفة ووضعوا لسانهم التى عرفت قبا بعد .

بعد أن استعرضنا كل الآراء التى قيلت فى توقيف الله عند الغربيين واحتج العرب وجدنا أن أدلتهم القليلة بعضها يحتل التأويل . وبعضها يكاد يكون دليلا عليهم لا لهم . لانهم يصدرون آراءهم عن تدوين وثيقة فى أن يكون الله موجد كل شئ . وسبب جميع الظواهر . وخافى الناس والمنتهم وطباعهم .

(١) عمده الراجحى : فقه اللغة فى الكتب العربية ، ص ٩٧ ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت ١٩٢٤ م .

٢ - التواضع والافتقار : يرى أصحاب هذه النظرية من خلاصة البيان القديم^(١) وعلى رأسهم "ديوكريت" أن اللغة ابتدعت ، واستحدثت بالتواضع عليها فوارتجال الفاظها .

وقد أيد هذه النظرية وسار على نهجها بعض علماء المسلمين ، ومنهم الأخفش وابن جنى وابن خلدون وغيرهم ، أما الأخفش فيقول " أن اللغة لم توضع كلها في وقت واحد بل وضعت خلاقة متعاقبة " .^(٢)

وهذه العبارة ليست صريحة في القول بالتواضع والاصطلاح فحسب بل هي أبعد من ذلك وبما يطبقه اللغة التي نغض بأننا وللهمة حاجة اجتماعية ضرورية .

وأما ابن جنى فيقول " يرى أكثر أهل النظر أن أصل اللغة تواضع واصطلاح لا وحى وتوقيف كان يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعدا فيحتاجون إلى الإبانة عن الأشياء المعلومات فيضمون لكل واحد منها صفة ولفظ إذا ذكر عرف به سواء ابتاز به من غيره وليغنى بذكره من أحضاره إلى مرآة العين ، فيكون ذلك اقرب وأخف وأسهل من تكلف أحضاره ليلسخ الفرض من إبانة حاله " .^(٣)

وإذا نظرنا إلى الكلام السابق وجدناه لا يتفق مع التفكير العلمي السليم ، لأن التواضع على التسمية يتوقف في كثير من مظاهره على لغة صوتية يتظاهرها المتواضعون إذن فما يجعل علمائهم جنساً للغة يتوقف هو نفسه على وجودها من قبل .

وأما ابن خلدون فيقول وهو يتحدث عن لغة التخاطب " وهي مع ذلك تختلف باختلاف لغة الأوصار في اصطلاحاتهم فلهذا أهل المشرق ماينة بعض الشيء لغة أهل

(١) علي عبد الواحد وافي ، نشأة اللغة عند الإنسان والطفل ، ص ٢٤ ، ط ٠ القاهرة ١٩٤٢ م .

(٢) السيوطي : الاقتراح في علم أصول النحو ، ص ٨ ، محبدر آباد ١٣٥٩ هـ .

(٣) ابن جنى : الخصائص (١/ ٤٤) ، ط ٠ القاهرة ١٩٥٢ .

الغريب ، وكذا أهل الاندلس لم يسموها ، وكل ضمتها ترجل بلفظه الى تأدية قصود ،
والألمنة ما في لغة " ضمارة " (من اصطلحاتهم) تعنى هنا استعمالهم
والاستعمالات هنا من وضع الأضمار ، وهو على هذا النحو مماثل لما لا اصطلاح او التواضع
فى اللغة .

وكان لهذه النظرية دعة فى العصر الحديث من الفلاسفة والباحثين الغربيين
نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر " آدم سميت ورايد " ، ودوجلد وشتيروات " .

يتضح لنا ما سبق أن هذه النظرية تنحصر الى سند قلى قبول ، أو حقيقة
تاريخية معتمدة ، وهى فى حيزها تعارض القوانين العامة التى تصدر عليها النظم
الاجتماعية ، وهذه النظم لا تنفك من المبدء ولا ترتجل ارتجالا بل تتدرج فى وجودها
شيئا فشيئا من تلقا نفسها حتى تستوى نظاما ناجعا مكتملا .

٣ - محاكاة أصوات الطبيعة : ذهب بعض فلاسفة اليونان القدماء الى أن اللغة
نشأت من تقليد أصوات الطبيعة ، وأصوات الحيوانات حيث ظهرت هذه المحاكاة بتطور
قل الانسان وحضارته ، وحاجاته واستوى على شكل لغة يستخدمها فى أغراضه المختلفة .

وقد سار على هذه النظرية بعض اللغويين العرب القدماء والمحدثين فمن القدماء
الخطيب بن أحمد ، وابن جنى ومن المحدثين الرافضى وروانى ، أما الخطيب بن أحمد
الفراهيدى فقد ذكر ذلك فى كتاب العين ، وأما ابن جنى فقد قال فى الخصائص :
" ذهب بعضهم الى أن أصل اللغات كلها انما هو من الاصوات السوطة كدوى الريح ،
وخير المساء ، ونهيق الحمار ، ونميق الغراب ، وصهيل الفرس ، ونحو ذلك ثم ولدت
اللغات من ذلك فبما بعد ، وهذا هذى وجه صالح وذهب بمقابل .

وأما مصطفى صادق الرافضى فيقول : وأقرب ما يصح فى الذهن أن الأصوات الحيوانية
هى المثال المحتذى لى لغة الانسان ، لانها محيطة به تغلب على سمعه كلما سمع .

(١) ابن خلدون : المقدمة ، ٤٩٢ ط . القاهرة ١٩٣٠ م .
(٢) جورج زيدان : الفلسفة اللغوية ١٣١ ط . القاهرة ١٩٤٠ .
(٣) ابن جنى : الخصائص ٤٦/١ .

خصصا بالإنسان في أول اجتماعه خطر الرقبة من قبل الحيوان فهو بهذا الاضطراب يتدبر اختلاف هيئات الصوت الواحد . ومعنى ما فيه من التبرر . ودليله في ذلك أن أعمال الحيوانات التي تؤدي معنى هذا الاختلاف من نحو الغضب والاله والذعر . يوازي الواضح شرح وجهه نظره فتبها الى قوله : وهذه الحالة كانت بدءا لاجتماع اللغة فلما بدأ الاجتماع برز معنى نسبة أحوال الناس بدأ الاختراع الخفي في اللغة .^(١)

وأما الدكتور على عبد الواحد واني قد وقف في بداية أمره من هذه النظرية موقفا محايدا حيث أعلن أنه " لم يبق أي دليل يقين على خطئها وكذلك لم يبق أي دليل يقين على صحتها " وكل ما يذكر لتأييدها لا يقطع بصحتها . وانا بقرب تدورها ويرجع الأخذ بها .^(٢)

ثم نراه بعد ذلك متساقا الى الأخذ بهذه النظرية وإقامة الأدلة على صحتها . فيقول : ومن أهم أدلتها أن المراحل التي يمرها بعدد اللغة الانسانية تتفق فسي كثير من وجوها مع مراحل الارتقاء اللغوي عند الطفل . فالطفل في المرحلة السابقة لمرحلة الكلام يلجأ في تعبيره الارادي الى مكاتات أصوات الطبيعة . ومن أدلتها كذلك أن ما يمر به بعدد خطئها للغة الانسانية في مراحلها الأولى يتفق مع ما نعرفه من خصائص اللغات في الامم الأولى . فمن هذه اللغات تكثر المفردات التي تتشبه أصواتها أصوات ما عدل طبيعه .

بعد أن استعرضت كل الآراء السابقة لهذه النظرية يتضح لنا أنها تجمع على أن اللغة نشأت من غلبه الاصوات الطبيعية . وقد حاول الدكتور واني أن يقيم الأدلة على صحة رأيه الثاني . وآراء سابقه فأرجع لنا ذلك الى دليلين الأول لنفسه الطفل . والثاني لغة الامم الأولى .

(١) الرانسي : تاريخ آداب الحرب (٨/١) ط . القاهرة ١٩٤٠ م .

(٢) واني : علم اللغة ص ٩٦ .

(٣) الدكتور على عبد الواحد واني : علم اللغة ص ٩٧ .

أما لغة الطفل فلا يمكن أن تخارن بلغة الانسان الأولى ولأختلاف الظروف والوسائل صحيح أن الطفل ينطق أولاً ينطق بأصوات مبهمة تبين شيئاً فشيئاً كلما نمت مداركه إلا أنه يقلد منذ الصوت الأولى لغة موجودة حوله غير أن الانسان الأولى لم يكن كذلك فالتصوير الذي حصل بعد الأصوات الأولى تطور بمرور الزمن بحيث هي التقليد . وذلك لعدم وجود لغة أخرى يقلدها .

وأما لغة الام الأولى فمهما كثر فيها الفردات التي تشبه أصواتها أصوات ما تدل عليه إلا أنها لا تزيد على نسبة ضئيلة بالقياس إلى مجموع مفردات تلك اللغة . وإذا شئنا أن نطبق ذلك على اللغة العربية مثلاً فلا نجد غير خريز وشقي وشقي وخجج وكلمات أخرى لا يمكن أن تصدر عن أصل نشأة اللغة .

وإذا نظرنا إلى موقف ابن جنى من النظريات الثلاث السابقة وجدناه متردداً نفس الاخذ بواحدة منها ومتقلداً بينها . فبعد أن قال بنظرية التوقيف والالهام في موضع عدل عنها في موضع آخر . ثم قال بالتواضع والانتق . ثم رجع إلى محاكاة أصوات الطبيعة وانتبه به الأمر إلى عدم الاخذ بواحدة من النظريات الثلاث . وأثر القول بحسن تأليه العجة القوية التي تجره إلى الاخذ بذهب من مذاهب نشأة اللغة .

٢ - الفريضة الخاصة الموحدة : يقرر أصحاب هذه النظرية أن اللغة نشأت بفضل فريضة خاصة كانت موجودة عند جميع الافراد منذ بدء الخليقة . وهي التي حملتهم على التعبير عن مداركهم الحسية والمعنوية بالالفاظ الخاصة . ولهذا توحدت المفردات اللغوية الأولى . وشابهت طرائق التعبير . وتماثلت الجعاعات . وبعد أن تجمعت اللغات المختلفة أهل الانسان هذه الفريضة فانقرضت فيه كما انقرضت غرائز أخرى .

ولا نجد عند اللغويين العرب القدماء مثل ابن على الفارسي وابن جنى والافندي والسيوطي نصاً صريحاً يشير إلى هذه النظرية إلا ما يمكن أن يستشف من تفسيرهم لقوله تعالى " وطم آدم الاسم كلها " .

أما ابن جنى وأستاذاه أبو على الفارسي فقد قالوا : " ان الله أنذر آدم على أن واضع عليها " (١)

وأما ابن فارس : " أن اللغة لم تأت جلفة واحدة ، وإنما أوقف الله عز وجل آدم عليه السلام على ما شاء أن يعلمه أي : ما احتج أن يعلمه في زمانه ، واستمر من ذلك ما شاء الله ، ثم علم بعد آدم عليه السلام من عرب الأنبياء صلوات الله عليهم نبياً ما شاء أن يعلمه حتى انتهى الأمر إلى نبي محمد صلى الله عليه وسلم فأفاد الله من ذلك ما لم يروته أحد قبله تماماً على ما أحسنه من اللغة الضمنية ، ثم قرأ من الأمر قرأه ، فلا تعلم لغة من بعده حدثت فإن تعلم اليوم متعلوكة من نقاد العلم من يشبه ويرد " (١) .

وأما الأخفش قال : " أن لغات العرب وضع منها شيء أولاً ، ثم تتابع الوضع وتلاحق " (٢) .

وأما السيوطي فيقول : وأختلف على هذا هل يصل إلينا علمها بالوحى إلى بنى من أنبيائه ، أو يخلق أصوات من بعض الاجسام بتدل عليها واسماؤها لمن عرفها ، ونقلها أو يخلق العلم الضروري في بعض العباد بها " (٣) .

وإذا نظرنا إلى النص السابق افصح لنا أن السيوطي قد أشار إلى هذه النظرية إشارة صريحة عندما قال يخلق الأصوات من بعض الاجسام ، وكذلك يخلق العلم الضروري في بعض العباد ، لأن أصحاب هذه النظرية يرون أن هذه الفريضة كانت تحمل كل فرد على التعبير فكان كل فرد مزوداً بعلم التعبير والكلام . (٤)

وقد شاعت هذه النظرية بين المحدثين القريين وعلى رأسهم مكس مولر الذى يقول في تأييدها : " أنى أحدث على أدلة مستمدة من البحث في أصول الكلمات في اللغات الهندية الأوروبية ، وظهر لى أن مفردات هذه اللغات جميعها ترجع إلى خمسة أصل مشترك ، وأن هذه الأصول مثل اللغات الانسانية في أقدم عهودها " .

(١) ابن فارس : الصحاح ص ٦

(٢) ابن جنى : الخواص ص ٤٠

(٣) السيوطي : الاقتراح ص ٦ - ٧

(٤) على عبد الواحد وأنى : نشأة اللغة عند الانسان والطفل ص ٢٦ .

وتبين أن من تحليل هذه الأصول لنا تدل على معان كلية ، وأنه لا تشابه مطلقا بين أصواتها ، وما تدل عليه من فعل وحال .

ولو أمعنا النظر في الآراء التي ذكرها العلماء والفقيهون لانبثقت هذه النظرية لوجدناها تضمها من ناحية ، وتبعدنا عن سنة التشو والارتقاء من ناحية أخرى . أما أضماها فيمثل في قولهم بوجود هذه الغريزة التي تنطق الانسان بلفظ ما ، والواقع أن الانسان ليس في حاجة خاصة الى هذه الغريزة التي تمكنه من النطق ، لأنه خلق مزجعا بلعضا ، تنطق منذ بدء الخليقة ، ولما ابعادها عن سنة التشو والارتقاء فهمسدوا واضحا فيما يذكره بعض مؤلفي أن الأصول الخمسة تمثل اللغة الانسانية الاولى ، وأنها تدل على معان كلية ، والواضح أن المعاني الكلية لا تنتمي للانسان في طور التشو والارتقاء ، وإنما ادراكها يحتاج الى درجة عقلية وهيبة .

بعد أن استعرضنا كلا الآراء والنظريات التي قبلت في نشأة اللغة لم نجد فيها نظرية تعتمد على التفسير العلمي الذي يعتمد على المعرفة الدقيقة لسنن الظواهر الاجتماعية وكيفية نشأتها وتطورها ، لأن اللغة ظاهرة اجتماعية تنشأ كما ينشأ غيرها من تلك الظواهر ، فالانسان لم يفكر كيف يتكلم كما لم يفكر كيف يعيش او كيف يأكل ، وإنما انطلق في محاولة هذه الأمور تلقائيا بدون مقدمات ، لأن حاجته النظرية الى الاجتماع بخيره والنظام وتباعد الآراء والافتكار هي التي أوجدت هذه اللغة ، وحركت لسانه بأصواتها الأولى .

أذن فاللغة تنشأ أصواتا بسيطة يتكون كل صوت منها من مقطع واحد طويل ، ومسرور الزمن يتطور الصوت الى قطعين يستطيع الانسان أن يعبر بهما عن بعض حاجاته . وبعد أن يحضر الانسان وتتشعب حاجاته يتطور الصوت الى ثلاثة مقاطع ، وهذا التطور تأخذ اللغة الانسانية شكلها النهائي .

(١) ميرغواند : روضة العاني في سيره الانبياء واللوكة والخلفاء ٢٦٦ الهند .

وقد ما يكثر هذه الناس ، ويضيق عليهم موطنهم الاصلى يهضون في الارض طولا وعرضا ، وينقسمون انما ذلك الى جماعات تستقر في بيئات متباينة .

وقد تفرض هذه البيئات على لغة هذه الجماعات نوعا من التغيير الذي يتواءم مع الزمان حتى يجعل لكل جماعة لغة خاصة بهم ، الا أن هذا التغيير لن يقطع صلة هذه الجماعات بلفتهم الانسانية الاولى ، وذلك تكون المجموعات اللغوية وهي السامية والحامية والهندية الاوروبية والطورانية وغيرها . وقد تشعبت كل مجموعة منها الى لغات ولهجات يخفى الطريقة التي تشعبت بها اللغة الانسانية الاولى .

صلة اللغة العربية باللغات السامية :

في أوائل القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي أطلق عالم يهودى يدعى يهودا ابن قريش على العرب والاحباش واليهود والاشوريين والكنعانيين والاراميين اسم الشعوب السامية ، وقد أخذ في هذه التسمية على ما ورد في سفر التكوين (١١) " أن أشور وأرام وطبعا ... الخ كانوا جميعا من ابنا سام بن نوح عليه السلام " .

ولم تنتشر هذه التسمية على نطاق واسع الا في نهاية القرن التاسع عشر الهجري الثامن الميلادي ، عندما أخذ يرددها العالم النمساوى اوجست لودنجر August Ludwig Schloetzer في تحقيقاته عن الامم الغابرة ، وأخذ أشهرون Richborn هذه التسمية ، وصح في تعميمها بين العلماء على الشعوب المذكورة آنفا .

ومن الجدير بالذكر أن لغات هذه الامم تتشابه في اكثر من نقطة رئيسية ، فالالفاظ المتداولة بينها تشابه ضخمة في ثروتها اللغوية ، وسياج الحروف التي تتميز هذه العائلة ولا توجد في غيرها ، وصيغ الصرف التي تنفرع بها الكلمات من المادة الواحدة تجري في كل هذه اللغات على خطة لا تختلف في جوهرها ، وهو أمر ان دل على شيء فانما يدل على أن وراء هذه اللغات التي تسمى سامية لغة واحدة

استندت من المصور السابقة على التاريخ .

ولما كانت نظرية الاسر اللغوية تفترض وحدة الاصل العربي للام الناطقة
بالمن من أسرة واحدة تسمى العلماء من الموطن الاصل لهذا الشعب السامي
الاول الذي سميت به الشعوب السامية .

وقد ذهب العلماء في الجواب على هذا السؤال الى مذاهب شتى ، وراوا آراء
متعددة ، فذهب نفر منهم الى أن افريقية هي الموطن الاصل للساميين ، ورأى جماعة
أنه سوريا ، وقال فريق : انه مرتفعات كردستان ، وزعم رهبانه اقليم بابل ، بينما
يجع قوم آخرون الجزيرة العربية واحدها اول موطن للساميين .

ويجدر بنا أن تناقش كل رأى من الآراء السابقة ، لنرى أيها اكثر احاطا على
الوثائق التاريخية الصحيحة .

أما اصحاب الرأى الاول فطابقوا على أن افريقية كانت مهدا للساميين ، ومنها
رأيهم على وجود تشابه في اللامح كأخضر القدمين ، وشعر الرأس الصوف ، وكبر
الفكين بين الساميين والهاميين ، وعلى وجود تشابه بين اللغات السامية والهامية
في بعض الاسماء والاتعال .

لكنهم اختلفوا في تعيين المكان الذي نشأ فيه الساميون اول مرة في افريقية
واختلفوا كذلك في الطريق الذي سلكوه الى الاماكن التي استقروا فيها بعد ذلك .

فذهب بارتون (١) وجريلاند (٢) الى أنه
حضر وشمال افريقيا ، ورأى برنتن (٣) أنه شمال غرب افريقية .

(1) Barton (C.A.) Semitic and Hamitic Origins, Social and Religious, London, 1634.

(2) Enc. of Relig. and Ethics, Vol. 11, p. 350.

(3) Brinton: Cradle of the Semitic, Philadelphia, 1690.

(١) يرجع فليب حتى الحشة وشبوتى افريقية موطنا للسامين .

وقد رجعنا الى آراء اكثر المؤرخين الذين أدرخوا لهذه الحقبة فلم نجد فيها رأيا صريحا عين لنا أن السامين قد هاجروا من افريقية الى شبه الجزيرة العربية ولكن وجدنا آراء تاريخية كثيرة تعلن أن جلاء تام من هجرات متواترة قام بها السامين من شبه الجزيرة العربية الى كل من مصر وشالي افريقية وشرقها .

أما هجرة السامين الى مصر فكانت متواترة منذ الالف الثاني قبل الميلاد فطأخت فرعونهم تترى على مصر من طريق شبه جزيرة سيناء * همون أنهم المبرانيين والمكسوس (٢) الذين حكموا مصر حتى منتصف الالف الثاني قبل الميلاد .

وأما هجرة السامين الى شمال افريقية فكانت متتابعة منذ القرن التاسع قبل الميلاد من طريق قبرص والبحر الابيض المتوسط * فأخذ الفينيقيون بهاجرون الساس الساحل الشمالي لافريقية ويكونون مدنا ومستعمرات من أهمها المستعمرة البونيقية واسمها قرطاجنة (٣) .

(١) فليب حتى : تاريخ العرب تعريب الدكتور جبرائيل جبر ط . دار الكشاف بيروت ١٩٦١ م .

(٢) أطلق عليهم المصريون اسم " حقا وخاسوت " بمعنى حكام البراري * ثم حسم للاعرق هذا الاسم الى مكسوس أى طوبى للوطنة * وكان معظمهم من الأموريين السامين * ونشئهم من الاربين * وقد تمكن أحدهم من طردهم في سنة ١٥٨٠ ق م تقريباً .

(٣) كانت قرطاجنة اكبر المستعمرات الفينيقية * وجدت منذ القرن السادس قبل الميلاد امبراطورية واسعة امتدت من حدود ليبيا حتى جبل طارق * وقد نازمت روما السيادة على البحر الابيض المتوسط * واستمرت الحرب بينها حتى انتهت بتدمير قرطاجنة واهارتها على يد الرومان سنة ١٤٦ ق م .

* الدكتور محمد أبو السامح عنون : معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم من ٢٨٠ دار النهضة العربية بيروت الطبعة الثالثة .

وأما هجرة الساميين إلى شرقى أفريقية فكانت متواترة منذ القرن السادس قبل الميلاد من طرف بوناز باب السندب • وكان من بين من هاجر إلى هناك جماعة يسمون أنقبسم بالحيشات • وقد تغلبوا على الكوشيين السكان الأصليين • وسما البلاد بأسمهم فسميت بالحيشة • وكونوا دولة أكموم التي كانت تتكلم باللغة الجعزية السامية •

وهكذا طار الساميون الساميين من أفريقية • واختلطوا بهم • مما هروهم • وقد نتج من هذا الاختلاط • وتلك الصاهرة تناسلها من الللاح والعنات الخلفية ككثير القكين • وشمع الرأس الموض • وأخص القديين • وقرابة بين بعض اللغات السامية واللغة المصرية القديمة • وبين اللغة الفينيقية واللغة البربرية • وقضاء اللغة المصرية الجعزية على لغة الكوشيين في شرقى أفريقية •

ويتضح لنا ما سبق أن معظم الأدلة التي استند عليها أصحاب هذا الرأي أدلة ضعيفة لا سند لها من آراء تاريخية صحيحة • وقد ظهر لنا بوضوح أن التشابه في الللاح واللغة نتج عن هجرة الساميين إلى أفريقية لا عن نشأة الساميين في أفريقية •

وأما أصحاب الرأي الثاني ومن أشهرهم المستشرق الامريكى كلاي (1) Clay

والمستشرقان الفرنسيان موريه وجورج كونتينو فيرين أن سوريا كانت الوطن الأصلي للساميين • وقد بنوا رأيهم على أن الأسرة الهابلية الأولى كانت أقدم موجبة طمية خرجت من سورية • وأن الآخرين هم أصل الشعوب السامية • وطاولوا أن يدعوا رأيهم بالتشابه الموجود في بعض الأماط بين الأفرادات اللغوية بين الهابليين الأولوالاموريين •

وقد رجعنا إلى آراء معظم علماء التاريخ المهتمين بدراسة هذه القضية فلم نجد بينها الرأي الذي اتحد عليه هؤلاء المستشرقون بل على العكس من ذلك وجدنا آراء كثيرة ترى أن الاموريين ليسوا أصلا للشعوب السامية • وإنما هم فرع منهم هاجروا من الجزيرة

(1) Clay (A.T) : Amurru, The Home of the Northern Semites, Philadelphia 1909.

(٢) المصريون هم الذين سماوا الاموريين بهذا الاسم أي أهل المغرب •

الخرسانية في منتصف الألف الثالث قبل الميلاد . (١)

ووجدنا أيضا أن الاقليم السوري كان يعيش فيه مكانه الاصليون قبل وصول الاموريين اليهم بالآلاف السنين ، وكانت لهم علاقات تجارية مع المصريين القدماء ، فكيف ما كانت تشبه الحروب بينهما .

ورأينا التاريخ أيضا أن البابليين الاولين لم يأتوا أقدم جماعة سامية هاجرت الى العراق ، فقد سبقهم اليه الاكديون بخصاصة سنة عشرين ، وأن أحد ملوكهم الأول قد كتب عن أصله بأنه نزح الى العراق من شرق الجزيرة العربية .

أما التشابه في الاساطير وفردات اللغة فلا سبيل الى إنكاره ، وهو يرجع الى أن الاموريين والبابليين الاولين كانوا في بداية أمرهم شعبة واحدة تعيش في سوريا لها اساطيرها المشتركة ، ولغتها الواحدة قبل أن تنقسم الى قسمين .

وهكذا يتضح لنا ما سبق أن أصحاب هذا الرأي لم يعتمدوا فيما ذهبوا اليه على آراء علماء التاريخ ولهذا فإن سوريا لا يمكن اعتبارها موطننا للساميين الاول .

وأما أصحاب الرأي الثالث فيرون أن حفيظة نوح عليه السلام قد رست بعد الطوفان على الجودي من مرتفعات كردستان في شمال العراق ، ونزل منها نوح وأبناءؤه الثلاثة سام وحام وشيث ، أما حام فطرد ، والده من هذا المكان لخطيئته فعلها ، وأما يافث فقد ترك هذه البقعة باختياره ، وهاجر الى بلاد بعيدة ليكون شعبا كبيرا العسود والعدة ، وأما سام فاستقاه والده الى جانبه على الجودي ، لأنه كان الابن الاثني عشر ابن قلمه .

وهذا الرأي مأخوذ برشته من سفر التكوين ، ومؤلف هذا السفر استقى معلوماته من أفواه الرواة ، وكثيرا ما كان ينقل الرواية ونقيضها دون أن يرجع أحداها على الأخرى ،

(١) الدكتور عبد العزيز صالح ، الشرق الادنى القديم ، ٢٥٦ طبعة ثالثة ١٩٧٩ - مكتبة الانجلو المصرية .

كما حدث في رواية التي نحن بصدد ها فقد رأينا يذكّر في موضع آخر أن الموطن الأصلي للساميين هو أرض بابل . وإذا كنا نتفق على معلومتنا من هذا السفر فهناك الروايتين نأخذ ؟ .

ومن الجدير بالذكر أن روايات الرواة عن الطوفان مختلفة من نسج خيالهم ، فلا نستطيع أن نتخيل أن ذكرات الشعوب تستطيع أن تحتفظ بأساطير البلاد التي اعتنق فيها أجدادهم الأول منذ آلاف السنين .

ومن هذا المنطلق نستطيع أن نقول : أن هذا الرأي ضعيف للغاية . ولا يمكن الاعتماد عليه بأية حال من الأحوال ، لافتقاره إلى الأدلة اليقينية التي تعضده ، وتشدّ أزره .

وأما أصحاب الرأي الرابع فقد اتفقوا على أن إقليم بابل هو الموطن الحضاري الأول بينما اختلفوا في المكان الذي يوجد فيه الساميين لأول مرة .

وها نحن أولاء نستعرض آراءهم ، لنرى أوجه اتفاقهم ومواطن اختلافهم :

أراد العالم الألماني فون كريبز Von Krieger سنة ١٨٧٥م أن يعرف الموطن الأصلي للشعوب السامية ، فأخذ يفتش ، وينقب في اللغات السامية على يجد لفظاً مشتركاً بينها ، وبعد إجراء العديد من الدراسات والقارنات بين تلك اللغات وجد أن كلمة جمل موحدة في جميع اللغات السامية ، ثم أخذ يبحث عن البيئة التي كانت موطناً للجمل عند القدماء ، فوجد أن أنسب البيئات له هي الهضبة المركزية الآسيوية القريبة من منابع نهري سيحون وجيحون .

ثم أخذ يدرس تاريخ الساميين والمائل التي كانوا يستقيمون بها في معاشهم ، فوجد أن الجمل كان يلزمهم منذ فجر تاريخهم ، وأن اسمه ختم باسمهم ، عند ذلك قرر أن كلمة جمل من بقايا اللغة السامية الأم ، وأن موطن الساميين الأصلي هو تلك الهضبة المذكورة آنفاً .

Ignazio Guidi

رواق المستشرق الإيطالي اجنازيو جويدي

في سنة ١٨٧٩ م كون كريمر على أن الجبل كان يوافق الساميين منذ أقدم العصور ، وأن الكلمة موجودة في جميع اللغات السامية ، لكن خالفه في الوطن الاصل للساميين والجبل ، وجعله جنوبي بحر تيريدس بحسب حقيقة .

واتفق جويدي مع كريمر على أن الساميين قد هاجروا منذ أقدم العصور إلى أرض بابل ، واعتقدوا هناك ، وأقاموا أول موطن لحضارة سامية عرفها التاريخ ، وفي بابل عرفوا النهر وقد استخدمت هذه الكلمة فيها بعد في جميع اللغات السامية ثمها .

Fritz Hommel

وفي نفس السنة كتب المستشرق الألماني فريتز هومبل

رسالة أيد فيها رأي كريمر وجويدي في كون بابل الموطن الحضاري الأول للساميين .

وبعد أن أقام الساميون في بابل زمنا طويلا وأسسوا فيها حضارتهم الأولى موضعت بهم الأرض ، أخذوا يرحلون عنها في أحاج متواترة في عصور ما قبل التاريخ فبعين في ذلك طرفين مختلفين أولهما نحو الخليج العربي ، ثم بلاد المرب ، ومن هناك عبروا بفخاز باب السند إلى شرق أفريقيا وأما الطريق الثاني فأتجه إلى الغرب شالا وجنبا حيث دخل الساميون سوريا وكثمان .

وأنا نظرتنا إلى أوجه نظر أصحاب هذا الرأي وجددناها منية على أساس لدوي ، وإن الباحث الدقيق لا يستطيع أن يقتنع بأوجه نظره ، وذلك للأسباب الآتية :

أولا : ليست هناك أدلة علمية يقينية تكفلنا في جلاء تام عن الوطن الاصل للجبل منذ أقدم العصور ، وقد رأينا كيف اختلف أصحاب الرأي الواحد في موطنه .

ثانيا : اعتبر جويدي أن معرفة معظم الشعوب السامية لكلمة نهر أساسا لرأيه في كون بابل أول موطن لحضارة الساميين الأولى ، كما انه جعل كلمة نهر بصورة على نهري دجلة والفرات ، ولو أحسن النظر في طبيعة الجزيرة العربية منذ العصر الجليدي لمصر أن بها أنهارا تثل في طولها وعرضا دجلة والفرات أو تزيد عنها .

(١) الدكتور جواد علي : المصطلح في تاريخ المرب قبل الاسلام ١ / ٢٦٠ ، مكتبة النهضة - بغداد ، ١٩٧٦ م .

ثالثاً : من الممكن أن نجعل بعض اللفاظ العامة في بعض اللغات السامية ،
ولا تحقق فرداً لها في أشياء وحدت في البلاد التي كانت في زعمهم موطناً
للساميين الأول ، وكانت موطناً لحضارتهم .

وأما : تعرضي قدر ما حدت حتى أن يجزم بأن هناك لفظ عامة مشتركة
بين جميع اللغات السامية ، لأن علماء النحو القارئ للغات السامية لم يحتجوا
حتى الآن أن يخصصوا أحداً دقيقاً جميع مفردات اللغات السامية ، وذلك لأن بعض
هذه اللغات انقرضت انقراضاً تاماً ، وبعضها الآخر انقرضت شبه اللفاظ كبيرة .

هناك اللفاظ موجودة عند جميع الساميين منذ أقدم العصور مثل جمل وخيم
ومش وشيح . . الخ ومع ذلك فليس لكل منها اسماً عاماً مشتركاً في جميع اللغات
السامية .

خاصة : كيف تصور انتقال الساميين من أرض بابل الزراعية ذات الأنهار إلى
وادي الجزيرة العممية وصحراؤها ، واستبدالهم حياة خشنة بحياة زراعية ؟ إن مثل
هذا التصور يخالف الحقائق والنظم الاجتماعية المتعارف عليها .

مادام : إن تاريخ الملقى قبل تنوع الساميين إلى حروف من طريق الوثائق
السومرية التي ثبت بها لا يدع مجالاً للشك أن هذا الشعب لم يكن سامياً ، وأنه
الشعب الأصلي في الملقى ، وهو يختلف كل الاختلاف في العادات والتقاليد والزي
عن الساميين .

بعد أن استعرضنا أوجه نظر أصحاب الرأي الرابع وثاقبناها مناقشة علمية
دقيقة اتضح لنا أن اتليم بابل لم يكن الموطن الحضاري الأول للساميين الأول .

وأما أصحاب الرأي الأخير ومن أشهرهم شبرنجر A. Sprenger وصابلك Sayce
وكارل بروكلمان Carl Brockelmann وكيثاني Castani والويس
موسل A. Lois Musil فيرون أن مهد الساميين الأول هو شبه الجزيرة
العربية وقد بنوا رأيهم على أدلة تاريخية كبيرة نذكر منها ما يأتي :

١ - يحدد معظم دارسى التاريخ موعد وصول الاكدين والهابليين والاشوريين الى العراق والاموريين والاراميين والكنعانيين والعمونييين الى بلاد الشام ، والاحباش الى شرق افريقية ، ولكنهم لم يذكروا حتى الان من وصل الساحل الى الجزيرة العربية يجعلها موطن لهم ؟

٢ - يذكر التاريخ أن الاكديين عندما ذهبوا الى العراق أخضعوا لسلطانهم للموريين سكانه الاصليين ، وأن الاموريين لما ذهبوا الى سوريا أخضعوا سكانها ، وكذلك الاحباش عندما هربوا بفواز باب النديب الى شرق افريقية سيطروا على الكوشيين هناك بينما لم يذكر لنا التاريخ اسم الشعب الذى كان يعيش فى الجزيرة العربية قبل وصول الساميين اليها .

٣ - ذكر الموريون على احد نقوشهم أن بلادهم كانت فى خطر دائم من جراء غارات القبائل السامية .

٤ - كتب مرجون الاول الاكدي من أصله فى نقش مشهور انه وحشيته نزحوا الى العراق من فيه جزيرة العرب .

٥ - ان الاحداث التاريخية المتواترة تذكر أن سكان الصحارى والجمال الجديبة هم الذين يغلبون دائما على سكان السهول والبلاد المتحضرة رغبة منهم فى التضرع والاستماع بخيرات تلك السهول ، ولم ترد حادثة تاريخية واحدة يفهم منها أن سكان السهول والحدن المتحضرة كلنا ينظفون الى المادية أو مهاجرين الى الصحراء ليصبحوا بدوا ورطة أبسل .

وإذا نظرنا الى هذه الادلة التاريخية السابقة وجدناها أثرب الى الحقيقة لا مغز فيها ولا طعن ، وتتم بالقوة وتتفق مع النطق السليم .

ومن الجدير بالذكر أن سام بن نوح عاش مع أبيه على الجودي الذى رست عليه السفينة ، وعاش أولاده معه وبعد وفاته فى هذا المكان أيضا ، وظلوا فيه جيلا

بعد جيل حتى ضاق بهم لكثرة عددهم ، فأخذوا يبحثون عن مكان تتوفر فيه وسائل
الحياة ، فبعثوا رجولهم نحو أقصى البلاد في تقديم ، فوجدوا سهل الخصيب ، مرقق
والشام) مأهولا بالسكان ، فتركوه ، وبأصلاب سيرهم حتى انتهوا إلى شبه الجزيرة
العربية ، فوجدوها غير المعمورة ، فخلت من السكان ، وتفرق فيها رعاة البعير ،
من أرض خصبة يكثر فيها الكلب ، وآبارهم تنثر في شتى ربوعها ، وأحجار فزيرة
تساقط على شتى أرجائها في جميع فصول السنة ، وأنهار كثيرة تجري في وديانها .

نأقأوا فيها قرونا طويلة ودهورا عديدة ينعمون بخيراتها الكثيرة ، ويستمتعون
بجوها الرائع ، ثم أخذ هذا الجو يتغير تغيرا تدريجيا ابتداء من الألف العاشر قبل
الميلاد ، فبرأ أن هذا التغير لم يظهر بوضوح على طبيعة الجزيرة العربية إلا فسي
الألف الخامس قبل الميلاد .

وقد أدى هذا التغير إلى تحركات داخلية من منطقة إلى أخرى ، وهجرات خارجية
إلى مناطق الهلال الخصيب .

أما دوافع التحركات الداخلية فتختلف في كل بلد ، وتغير مناطق الكلا ،
وتسابق القبائل والمشار إلى استغلال هذه الموارد ، وأعطت هذه المناطق ، وبخاصة
التحكم فيها ، كلها استطاعت إلى ذلك سبيلا ، وحرم اقواها بأسا وأكثرها عددا على
توسيع مناطق نفوذها وحرمانها وأزلقها على حاصي غيرها ، وقد تعدت لها قبائل
أخرى عداوة من موارد الطائفة وشريتها الرمية فحشيت بينهم معارك وحروب ، كانت تنتهي
عادة بهزيمة القبائل الضعيفة التي تغطر إلى ترك مواطنها المحلية باحثين عن مواطن أخرى
عليها تجد فيها الأمان والاستقرار .

ونجم عن هذه المعارك وتلك الحروب تباعد مواطن بعض القبائل عن بعضها الآخر ،
واختلاف حالها الخاصة ، ومضارب حرية كل قبيلة مع حريات القبائل الأخرى ، وقد
أدى ذلك إلى شل أبدي رؤساء القبائل عن توحيد كل قسم داخل وحدات سياسية متفردة
تستطيع أن ترعى حقوق الحضارة الثابتة وتطورها وتنميتها .

ولم تقتصر مظاهر التحركات الداخلية على وسط الجزيرة العربية وفروعها وشاليتها ،
وإنما امتدت سببانها كذلك إلى بعض المناطق البعيدة للاستقرار في الجنوب والشرق ،

كثيرا ما ألفت سارقات الأموال الدلمونيين والجربهاثيين والبيشين القدامى إلى استهلاك قوى مدنيهم وأثرتهم ، ويخصرأهـا وتشتيت بعض أهلها إلى مواطن أخرى بالحجاز وما وراءه ، أو إلى نجد على الرغم من قسوة بيئتها .

أما ما يخص الهجرات الخارجية فلعلنا فيها رأينا ، أحدها يخله العالم الإيطالي كيتاني ، والثاني يخله المستشرق الروسي مومل .

يرى كيتاني أن شبه جزيرة العرب كانت في العصر الجليدي تشبه الجنة قس نفاستها وسهولتها ، غير أن الطبيعة قست عليها قسوما بالغة ، فاستبدلت لها بالاراضي الخصبة رمالا وصحارى بالأنهار والبحيون والابار جفافا وقحطا ، فضاقت مواردها ، ولم تعد كافية بحاجات سكانها ، فأخذ بعضهم يجهون الصحارى والقيان بحثا عن مواطن أخرى قد يتوفر فيها الخصب والنبات ، وبعد مزيد من السعي والترحال تمكنوا من الوصول إلى الهلال الخصيب (العراق والشام) عند ذلك أخذت هجراتهم تنزى إلى هناك على حذب متعده قد يفصل بين الواحدة والاخرى الفداعم عليها .

بينما يرجع الروسي مومل الهجرات السامية من شبه الجزيرة العربية إلى الهلال الخصيب إلى طلبهم محا الضعف السياسي ، وتغير الطبق التجارية ، وقد أدى الضعف السياسي إلى الفتره بين القبائل ، وكثرة التنازع والتأخر فيها موشيع الفتن واقتلاطين صفوف أفرادها ، فانصرفوا عن مواصلة مشاريع التنمية وأهملوا مواردهم التي فطرت الأرض ، ومع القفر ، قلت الاموات ، فثمر بعض السكان أن الأرض قد ضاقت عليهم على الرغم من سعنتها .

وقد أثر تحول الطرق التجارية تأثيرا بالغيا على سكان المدن الواقعة على امتدادها ، فأصبحت بالكساد ومها القفر وانتشرت فيها المجاعات ، وشعر سكانها أن الأرض قد ضاقت بهم لحوار تجارتهم وضيق أرواقتهم .

(1) Caetani, Studi della Historia Oriental, Vol, 1

وأشداد تأثير أحد العاملين السابقين أو كلاهما قد دفع جماعات كبيرة من السكان إلى ترك مواطنهم . والهجرة إلى مناطق أخرى يكثر فيها التآكل فيحيا وجوههم شطر الهلال الخصيب في هجرات متعاقبة .

ويرى الدكتور سليمان حزين أن رأى جويل كل لرأى كيتاني ولا يتعارض معه ، لان النزاع بين الاتام وشيوخ الفتن والقبائل من الافراد يشتد بعد ظهور القحط وجفاف الانهر ، وبار الارض ، وكذلك الهجرات لا تبدأ عادة الا من المناطق المروعة للجفاف .

نحن نؤيد رأى الدكتور سليمان حزين ، لان الناس في أى بقعة من بقاع العالم اذا عاشوا في رخاء قلت بينهم الفتن ، واحتمت الاضطرابات ، فاذا حل الجفاف واشتد القحط قلت الارزاق وازدادت الفتن فيفكر كثير من الناس في الهجرة الى اماكن بعيدة عليهم يجدون فيها الأمن والرزق الوفير .

بعد أن استعرضنا دوافع الهجرات الخارجية وأسبابها ينبغي علينا أن نذكر نبذة قصيرة عن تحركات القبائل السامية وانغالها من مكان إلى آخر حتى وصولها الهلال الخصيب .

لقد دفعت عوامل الجفاف والقحط والنزاع والاضطرابات جماعات قبلية صغيرة الس التحرك في هجرات عجيبة مخططة من الجزيرة العربية إلى بوايا الهلال الخصيب ، وقد أقر بعضهم على التحرك على تلك البوايا ، واتخذوا منها وطناً لهم برضى سكانها الأصليين .

(1) Alois Musil, Northern Negd, 308, New York 1928.

(2) Huzayyin, (S.A), Arabia and the Far East, Cairo, 1942, 3 F.

بينما لم يتمكن بعضها الاخر من الاقامة في أي بقعة من تلك الهوادي الا بعد
تفليسهم على سكانها الاصليين وقهرهم ، وقد شجع نجاح هذه القبائل المهاجرة نفس
الاقامة في موطنها الجديدة بعض القبائل السامية الاخرى فأخذت تنترى على تلك
الناطق بين حقبة وأخرى .

وأخذت هذه القبائل السامية تنحرف في أماكنها الجديدة ، وتعتمد في معيشتها
على الرعي أزمنة طويلة ودورا عديدة ، وفي أثناء ذلك تعلمت بعض حثائرهم أساليب
الزراعة من جاورهم من سكان تلك الهوادي .

وظلت تلك القبائل حبا طويلة تعيش حياة رعيه زراعية حتى ازدياد نسلهم ، وكثر
عددهم ، فكونوا اتحادات أصبح لبعضها سرور الزمن زعما قويا يشبهون - الى حد
ما - ملوك بعض أقاليم الهلال الخصيب .

ثم أخذ هؤلاء الزعما يتطلعون الى بعض أقاليم الهلال الخصيب ، ليعيشوا
مع سكانها حياة رعيه طيبة بالخير والفن ، فشروعوا ينتهزون القرم للاستيلاء على
بعضها ، فأغاروا عليها ، وتمكنوا من الاستيلاء عليها ، وأقاموا على أرضها حكومات
نوية .

ومن الجدير بالذكر أن تذكر رأي بعض المؤرخين في الهجرات السامية ، فقد
ثاب عنهم : أن هذه الهجرات خرجت من الجزيرة العربية كبقعة شاسعة ، وأنها انخرقت
في الهلال الخصيب ، وعطت بالزراعة .

وقد رجوعنا الى آراء معظم علماء التاريخ وجدناها ترجع أن القبائل السامية
كانت تعيش في الجزيرة العربية متفرقة متناثرة تجوبها الصحراء بحثا عن الماء والكلاء ،
لا تدا ما غنى البري من هبتها .

أذن كيف خرج شاسعة كبقعة وهي لا تترك هذه الكثافة ولا ذلك التماسك على
أرضها الأصلية في الجزيرة العربية بعد انجفاف ؟ كيف عملت الزراعة بين سنة وأخرى
وتغير عرق معيشتها وشجر البري الذي تعبدت عليه آلاف السنين ؟

يتضح لنا ما سبق أن الجزيرة العربية هي الموطن الاصلى للساميين جميعا ، وأن بعضهم قد هاجروا منها بعد أن أصابها القحط والجفاف وانتشرت فيها القسوة والاضطرابات الى العراق والشام ، واستقروا هناك ، وكونوا دولا وأقاليم حكومات .

وبناء على ما تقدم نستطيع ان نقول : ان اللغة العربية الفصحى أقدم صورة حية من اللغة السامية الام ، وأقرب اليها من جميع اللغات التي تفرعت منها .

نشأة اللغة العربية :

اللغة العربية هي إحدى اللغات السامية ، ويراد بالغات السامية تلك اللغات التي كان يتفاهم بها أبناء سام بن نوح عليه السلام ، وهم الذين كانوا يعيشون في القسم الجنوبي من قريش آميا ، ومن أشهر هذه اللغات العربية والسريانية والآرامية (البابلية والاشورية) والعبرية والآرامية والفينيقية (الكنعانية) والأكادية (البابلية والاشورية) ولم يبق منها حتى الآن هذا الا الحبشية ، والسريانية والعبرية والعربية التي تعد أرقاها جميعا .

وقد انفصلت اللغات السامية عن أم مفقودة ، وكانت هذه اللغات في بدايتها أمرها متشابهة ثم أخذت تتفرع وتتباين حتى قلت وجوه التشابه بينها الا ما يكون منها مشتركا فيحمل الدلالة التاريخية على وحدة الاصل .

ولم يتصد أحد للبحث عن اللغة العربية وآدابها قبل ظهورها على مسرح التاريخ المحدث ، وذلك لقلة المواد المساعدة على ذلك ، وللاعتقاد أن العرب كانوا حتى في جاهليتهم الثانية يعيشون في عزلة صحراوية .

على أن الدراسات اللغوية القارئة قد أثبتت بما لا يدع حرجا أن اللغة العربية ترجع الى أصول مفترقة في القدم والأصالة فهي تعود الى زمان أبعد قدما من زمان اللغة الأكادية أي كان لها وجود حقيقي قبل الميلاد الثالث قبل الميلاد .

واللغة مرآة غول أصحابها ومستودع آدابهم ، ولا يمكن أن يكون أصحابها قد دخلوا المدنية منذ قرنين فقط قبل الميلاد ، لا يأتى بعض لغات الهند الحيين

أن تنبع من مستوى متدن ما بلغت اللغة العربية من خلال وصلها من ألقابها
ومحتجياتها وأساليبها إلا يتوالى القرون والدهور .

ونظرا لاتصاع شبه الجزيرة العربية ، ونراى أطرافها قد تمايزت لهجات سكانها
فى المصور المحيطة تمايزا كبيرا إلا أنها لا تخرج فى جوهرها عن نوعين رئيسيين .
أحدهما فرع الجنوب والآخر فرع الوسط والشمال .

فأما فرع الجنوب فيقصد به لهجات سكان جنوب شبه الجزيرة العربية وقد كان
للكلايم لهجة * ومن أشهرها المسند لهجة اليمن ، والزبور لهجة حضرموت ،
والرشق لهجة عدن ، والحويل لهجة مهرة ، والزفرقة لهجة الأشعرين (١) .

وقد كان لقيام الدولة الميعينية والسبئية والحيمرية الأولى والثانية فى اليمن
أثر فعال فى نشر لهجة اليمن * بين سكان ساحل أقاليم الجنوب الذين أقبلوا
على تعلم المسند ليرتقوا علاقاتهم بتلك الدول حتى بنالوا منها الحماية والرعاية
والأمن .

ولم يكتف الميعينيون والسبئيون والحيمريون بذلك بل أخذوا ينشرون المسند فى
وسط شبه الجزيرة وشمالها ، وذلك عندما أخذوا يحكون بعضا لطوائف البنية فى
الغارات التى بنوها على امتداد الطرق التجارية التى تفتق الجزيرة العربية
من جنوبها حتى شمالها ، فاختلط سكان المناطق التى بين يديهم من عربى وسط وشبه
الجزيرة وشمالها ، فنشروا بينهم المسند ، وقد أقبل الأعراب على تعلمه حتى تمنح
لهم الفرصة للاشتغال بالتجارة مع اليمنيين .

(١) Nicholson: A literary History of the Arabs Vol, 1 P 66
London, 1907.

(١) الدولة الميعينية ١٣٠٠ ق م - ٦٥٠ ق م

(٢) الدولة السبئية ٨٥٠ ق م - ١١٥ ق م

(٣) الدولة الحيمرية الأولى ١١٥ ق م - ٣٠٠ ق م

(٤) الدولة الحيمرية الثانية ٣٠٠ ق م - ٥٢٥ ق م

" فلما ضعفت الدولة الحميرية الثانية واستعمر الاحباش البيزن ثم تلاهم الفرس من
أخذ السند ينحصر من وسط شبه الجزيرة وشمالها شيئا فشيئا حتى زال قبل الاسلام
بقليل ، ولم يبق منه الا بعض الغردات القليلة التي دخلت في لهجات الاعراب وجرت
على لسانهم " .^(١)

وأما فرع وسط الجزيرة وشمالها فيقع به لهجات ضريرها وقد أجمع علماء
اللغة على أن اساعيل - عليه السلام - كان أصل هذا الفرع ، وقد أشار الى ذلك صاحب
المصراع قال : انما صارت لغة أهل الحجاز الأصل ، لان العربية أصلها اساعيل الذي
أضاف لهجة جميع النخبة الى لهجة قومه ، فانطلق لسانه في مذهب أوسع منحنى وأوضح
دلالة .^(٢)

وبناء على هذا الرأي يتكون أول تهذيب حقيق في لغة هذا الاقليم يرجع الى
اساعيل ، وفي هذا دليل على عراقة هذه اللغة ، لان اساعيل يرجع تاريخه حسب
تقدير بعض الباحثين الى بداية الالف الثاني قبل الميلاد ، وهذا بالإضافة الى أن تنحج
اللغة على يد اساعيل قومه كان يمثل مرحلة من مراحل اللغة العربية قبل نشأتها من مراحل
أخرى ، وللتصديق حقيقة اللغة العربية لابد اننا قد تم على درجات من النشوء التدرج ،
وإن كان من المتعذر الآن ان نحدد هذه المراحل الاولى للغة العربية بأي وجه من
الوجه .

ولما كثر أولاد اساعيل ، وتكونت منهم القبائل في وسط شبه الجزيرة تعددت طيات
الوضع في اللغة بطول المدة وسعة الاستعمال وتغليب الكلام على وجوهه .

(١) الدكتور جواد علي : الفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ٢٠٨/١ م ، مكتبة
النهضة ببيروت ، ١٩٧٦ م .

(٢) ابن سيده : المخصص ٨٨/١ المطبعة الاميرية ١٣١٦ هـ ، القاهرة .

ومن أشهر القبائل التي كانت تعيش في وسط شبه الجزيرة شمر في نجد ،
وضطان وسليم وغيرها في نجد ، وأقحفة تعيش في مكة ، ومن اقحطانية في
نجد ، ومذجع في أطراف الحجاز ، وربيعة في يابسة العراق ، وكان لهذه القبائل
لهجات يختلف بعضها عن بعض في معاني الالفاظ ونطقها ، وفي أساليب التركيب ،
ولهذا لا يختلفون فيها ، وسأكتبها .

وكان لقرش دور كبير في تهذيب اللغة ، لأنها تنزل في مكة وتعرف على الكعبة
التي فدت قبل الاسلام فزعموا فيها موضع قد يحلحظ العرب الذين كانوا يحجون
اليها فيؤمنون فيها أصنامهم ، ويقدمون القرابين لها ، وكان القرشيون يسمون لهجات
هذما قبائل ، وأخذوا ما يستحسنونها فيديون به ألسنتهم ويجرون على قياسيها .

وكان لهم رحلتان كل عام للتجارة أحدهما رحلة الشتاء الى اليمن ، والاخرى
رحلة الصيف الى الشام ، وكانوا يهبطون في الارض الى فارس والحشة فيسمعون مناطق
الناس ، ويتأولون كثيرا من الفاظ تلك الامم ، فدخل لهجتهم كثير من الالفاظ الفارسية
والحشية والبرمية والبنية (السند) ، وقد أدى ذلك كله الى وفي لغتهم حتى صاروا
في آخر أمرهم أجود العرب انقاء للأصح من الالفاظ .

" ولم يكن قرشيون بذلك بل أنابوا سقيا في عكاظ وهي نخل في واد بين مكة
والطائف في سنة ٤٠ هـ بعد عام الفيل خمس عشرة سنة ، وكانت القبائل تتجمع في
هذه السوق ، وتجوز منها الى الكعبة الحج والطواف ، وفي هذه السوق لأن الشعراء
يتبارون في انشاد أشعارهم فكانت فصولهم كل يوم وفيه ، والخطباء يتفنون في
القاء خطبهم ، كما صنع فريز بن ساعدة الأيادي وغيره " .

وكان للنفد في هذه السوق دور هام في تجويد الخطب وتنقيح الأشعار ، فهذا
هو ذا النابغة يهزب لنفسه فيه من أدب ليجلس فيها ويستمع الى الشعراء ليفاضل
بينهم كما صنع مع الأخي وحسان بن ثابت والخنساء وغيرهم .

(١) سعيد الانعماني : أموي العرب في الجاهلية والاسلام ١٢٥٦ المكتبة البهائية
بدمشق ١٩٢٦ م .

ومن الجدير بالذكر ان الشعراء والخطباء كانوا يلقون نصائدهم وخطبهم بلهجة قرشي ، وكان الحاضرون في هذه السوق يتعلمون بانكثة السارة ، والنصير المرسله لنا ركب في طبائعهم من الفخر وحب المحمدي وما انصرفوا اليه من العاهة بالفصاحة وقوة المناقضة ، وقرب ما بين اللسان والقلوب .

وهكذا أصبحت لهجة فريخ نواة اللغة العربية الفصحى وظل اقرشيون يدأوبين على اثرها لغتهم ونشرها حتى أصبحوا مجمعا لغويا يقد آزر اللغة ، ورفع شأنها ، وزيد ثروتها حتى بلغت أوج كمالها عند ما جاء الاسلام ونزل القرآن الكريم بها .

نشأة الخط العربي :

اختلف بعض الباحثين واللغويين والاختصاصيين العرب في نشأة الخط العربي ، وذهبوا في ذلك مذاهب شتى ، ومنها نظريات متعددة منها التوفيقية والحصرية والعبرية والنبطية ، ويجدر بنا أن نتناول هذه النظريات بشئ من التحليل ونرى أيها أكثر صحة ، وأقرب حوردا الى الواقع من غيرها :

١ - النظرية التوفيقية : يرى معظم اللغويين والاختصاصيين العرب مثل ابن فارس (١) وابن النديم (٢) والصولي (٣) وابن عبد ربه (٤) والقلشندي وغيرهم أن الخط العربي نشأ من توفيق من الله سبحانه وتعالى ، واستشهدون بقوله عز وجل " الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم " ، ويرون أن القصد بكلمة انسان هو آدم عليه السلام ، وأن المسمى بالقلم هو الخط العربي .

أما ابن خلدون فله رأى شاذير لما ذهب اليه بعض العلماء العرب السابقين حيث يقول : " اننا نجد اكثر البدو أميين لا يكتبون ولا يقرأون ومن قرأ منهم أو كتب فيكون خطه قاصرا أو قرا ، غير نافذة " ، وتجد تعليم الخط في الايام الخار عن انبائها

(١) ابن فارس : المعجم في لغة من ٨٢

(٢) ابن النديم : الفهرست ، ص ١٢-١٣ ، الطبعة التجارية الكبرى بمصر .

(٣) الصولي : أدب الكاتب ٢٨/١ ط - القاهرة ١٩٢٢ م .

(٤) ابن عبد ربه : العقد الفريد ٢١٢/٤ - الطبعة الثانية - ١٩٥٢ م .

(٥) القلشندي : صبح الايضي في صناعة الانشاء ٧/٣ ط - القاهرة .

عن الحد أبلغ وأحسن وأسهل لاستحكام الصفة فيها (١)

إذا نظرنا إلى النص السابق وجدنا أن ابن خلدون يربط بين الخط والخدم الحضاري ، فكما كان الشعب يمانح كانت الامية متفشية فيه وكان عدد الكاتبين قليلاً ، وخطوطهم إلى الرماح أحمل ، أما المدن التي بلغت شأواً في الحضارة فإن نسبة الكاتبين فيها كبيرة ، وخطوطهم تلي إلى الجودة .

بعد أن استعرضنا الآراء التي قبلت في نظرية التوثيق نجد أنها آراء لا تقوم على حقيقة علمية ثابتة بل تقوم على التأويل والرايات الاخبارية التي كانت شائعة فليس ذلك إلا لأن موطن التخمين الذي يعتبر أن الخط من الأمور الجبارة التي لا يمكن أن يتكررها انسان مهما أوتي من إقوة ، ولهذا أرجعوهما إلى الله سبحانه وتعالى .

٢- النظرية العميرية : كان لهذه النظرية أنصار من الباحثين القدماء والحدثين فأما القدماء فعلى رأسهم ابن خلدون وأما الحدثون ففي مقدمتهم حنفي ناصف وتاجي زين الدين ، وجذربنا أن نقول آراءهم وما استندوا عليه من حجج وناقشها مناقشة علمية طرأ عليها أكثرها من الأدلة العلمية الثابتة .

أما ابن خلدون فيقول : * أن الخط العربي العميري كان بالغا جالفة من الاحكام والاعمال والجودة في دولة التبايع ، لما بلغت من الحضارة والترف ، وأن الحضارة انحلت من اليمن ، وفي الحيرة تعلم سفيان بن أمية هذا الخط من أسلم بن سعد (٢) .

وإذا أضفنا النظر في النص السابق وجدنا أن ابن خلدون كما دلت دائماً يرجع كل شيء إلى التحضر والتخضر ، وقد رأى الدول التي تابعت على اليمن من معينة وسبابة وحبرية ، وعرف حضارة اليمن ، وما وصلت إليه من ازدهار في ظل هذه الدول

(١) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤١٨ ، ط : القاهرة ١٩٣٠ م .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤١٨ طبعة القاهرة ١٩٣٠ م .

نرجح أن المسند (الخط) الحيمري انتقل إلى الحيرة مع القبائل اليمنية التي كانت تنزل عليها بعد انهيار سد مأرب ، وقد ساهمت هذه القبائل صاهمة فعالة في تكوين دولة الناذرة اللخيين في الحيرة ، وأسست مركزا حضاريا مرحقا في العراق ، من أجل ذلك اعتبرها مركزا ثانيا للخط الحيمري في انتقائه إلى وسطية الجزيرة العربية عامة والعجاز خاصة الذي كان يراء أقل حضارة من اليمن والحيرة .

ولقد نس ابن خلدون أو تلاميذ أن العجاز كان مركزا حضاريا لا بأس به في ذلك الوقت فاشتغال بعض سكانه بالتجارة بين اليمن والشام ، وقد ورد ذكر ذلك في القرآن الكريم حيث يقول الله تعالى : لا يلف قريشا يلفهم رحلة الشتاء والصيف فكانت رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى الشام فمنهم من تعلم أن التجارة تحتاج إلى معرفة ودراية بالمكائات والمعاملات والاتصالات ، وهذه الأمور تجعلنا نرجح أن بعض القرشيين كانوا على علم بالقراءة والكتابة .

أذن فاشتغال بعضهم بالتجارة ومعرفة ثمرتهم القراءة والكتابة تجعلنا نرى أنهم كانوا على قدر من الحضارة لا بأس بها .

كذلك لاحظنا أن ابن خلدون يرى أن العجائزين أخذوا المسند الحيمري من طريق الحيرة مع أنهم كانوا أقرب لليمن من الحيرة ، واصلتهم التجارة باليمن كانت أولى من صلهم التجارية بالحيرة ، فلو جازوا ابن خلدون فيما ذهب إليه لرأينا أن العجائزين أخذوا المسند الحيمري عن طريق اليمن مباشرة دون وساطة الحيريين أو غيرهم .

أما حفص ناصف فيقول : " أن النمط خالطوا البعثيين وجاوروهم ، كل جاوروا بعض طوائف الأرام ، ودخلوا تحت حكم البعثيين في بعض العصور ، وكان لهم فسي أيام دولتهم علاقات تجارية مع أهل اليمن فتنحى حادثة الكتابة بين الفريقين ، كما كان لليمنيين حضارة تمتدح الاقتباس فيحد مع كل هذا أن يترك النمط خط البعثيين بالنسبة ، ويقتصر على الأخذ من الأرام وحدهم ، ثم ينهي كلامه قائلا : أن الروايات المتضاربة والكلية المتفقة هي أن الخط جاء العجاز من اليمن فطرد كل هذه الروايات ، والذهاب إلى أنه لم يجرى إلى العجاز إلا من بعض طوائف الأرام دون أهل

الذين حادوا للتاريخ ، ووجود للاجماع ولا يجد النقطة لم يدعه قل (١) .

وإذا نظرنا الى كلام حفنى ناصف وجد تلمبستل على ناحيتين الاولى ارجاع الخط الحجازى الى الخط النبطى ، والثلى ارجاع الخط النبطى الى السند البنى . أما ارجاع الخط الحجازى الى الخط النبطى فهو يتفق مع ما رأى بعض العلماء والباحثين المحدثين ، وسوف نتحدث عنه بالتفصيل بعد حديثنا عن النظرة النبطية ان شاء الله .

أما ارجاع الخط النبطى الى السند الحميرى فهو رأى يعوزه الدليل العلمى الذى يدعه ويشد أزره بل لقد اثبتت معظم الدراسات العلمية الفارغة ما يتنافى من هذا الرأى ، ويدفع ببطلانه ، وما أثبت ان حروف السند كلها منفصلة بينما معظم الحروف النبطية متصلة ، ومنه ايضا أن حروف السند تكتب من أعلى الى أسفل ، أو بطريقة حلزونية فى حين أن الحروف النبطية تكتب من اليمين الى اليسار ، ومنه كذلك ان حروف السند ليس بينها وبين حروف الخط النبطى أدنى تشابه .

أما ناجى زين الدين فيقول : " من الواضح أن وجود هذه الكتابات فى الانحاء الناطقة للعراق لما قدم أقبالا للعرب فى خطهم الجزم الذى قيل : انه مجزوم فمن قلم السند بتحويل رسوم حروفه الفردة او تسميتها وصلها وفصلها كما جاء فى أسماى الكتب العربية التى أجمعت على أن حروفه من مرة ومنه التفسير ، وأما أسلم فصل وصل فذلك لان المشابهة موجودة فى أربعة عشر حرفا من حروف السند " .

إذا نظرنا الى النص السابق وجدنا أن زين الدين يشير عددا من القضايا لنا عليها وجهات نظر ومنها ما يأتى :

(١) حفنى ناصف : حياة اللغة العربية ، ص ٢٠ ، طبعة مصر ١٩١٠ م .

(٢) ناجى زين الدين : صور الخط العربى ٢٦٨ ، ط : بيروت الثانية ١٩٢٤ م .

١ - وجود كتابات في الاساطير الناطقة للمعراق • بالمرجوع إلى ختم زبد
الناظم للمعراق وجدناه غشا يحل كل الخصائص النطقية ويتعد تماما عن الخط الحبيرى •
وسوف نتحدث عن ذلك بالتفصيل عند حديثنا عن النظرية الحبيرية •

٢ - الخط الجزم مجزوم من قلم السند • وهما من ذى الصادر يجر أن الخط
الجزم خط اسلامى نشأ بعد تأسيس الكوفة في عهد عمر بن الخطاب هولىس خطا
جاهليا •

٣ - أجمعت الكتب العربية على أن مرار من مرة وضع الصور • ولما أسلم فصل
ووصل • ان الكتب التي ذكرت فيها هذه الرواية هي كتب الرواة والاخباريين • واصحابها
يجعلون حرفة القنوط السابقة على الخط العربى الحجازى • ولا يعرفون الادلة
العلمية الصحيحة • ولهذا اوردوا الروايات الضعيفة وسرفناش ذلك بالتفصيل عند
حديثنا عن النظرية الحبيرية •

٤ - الشابهة الموجودة في الائمة حرفة بين الخط العربى والسند
ليجربها عند من وقع في يدها • وهما نحن لولا تضع بين يدي القارى صور بعض حروف
السند والخط العربى ليحكم بنسبتهما وقرر ان كانت هناك شابهة أم لا •

السند الحبيرى	ك	ق	ز	ح	م	ع	ف	ص
الخط العربى	أ	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح

ان الناظر لحروف هذين الخطين يرى أنها لا تشابه قط •

بعد ان استعرضنا كل الاراء التي قيلت في الدعة لهذه النظرية وتأيد هـا
وناقشناها خاتمة علمية مستفيضه لنا بما لا يدع للشك أن هذه النظرية ضعيفة •
ولا تعتمد على أدلة علمية صحيحة • أو وثائق تاريخية يعتمد هـا من فالخط العربى
الحجازى لم يؤخذ من السند الحبيرى بأي وجه من الوجوه •

٣ - شجرة الحيرة : يرى الاخباريون العرب القدح^(١) وهي أسهم الصولس^(٢) والبلادوى^(٣) ابن النديم^(٤) وابن عديم^(٥) والسجستاني^(٦) والقليشندى^(٧) أنه اجتمع ثلاثة نفر من طي^(٨) بيقه وهم مراهر بن مرة ، وأسلم بن حذرة ، وهما امرئ جندرة فوضعوا الخط ، وقاسوا هجا^(٩) العربية على هجا^(١٠) السريانية ، وأن طهر بن جبلة^(١١) وضع الاعجام ، فتعلم منهم قوم من أهل الانبار^(١٢) وكان (أبوتيس) بن هذخاف^(١٣) أو بشر بن عبد الملك أخو أكيدر بن عبد الملك صاحب دولة الجندل يأتي الحيرة فيقيم فيها الحين ، وكان نصرانيا فتعلم بشر الخط من أهل الحيرة ، ثم أتى مكة فبعض شانه فقرأه سفيلان بن أمية بن هذخش^(١٤) (أبوتيس بن هذخاف) ، فسأله أن يعلمه الهجا ، فأراهها الخط فكتبها ثم فارقها بشر ، ونسب إلى ديار مصر فتعلم الخط منه هذخاف بن هذخش^(١٥) وهو الكاتب ، ثم أتى بشر الشام فتعلم الخط منه^(١٦) ناس هناك .

وواصل هؤلاء الاخباريون حديثهم عن نشأة الخط العربي فأوردوا رواية أخرى قالوا فيها : ان أول من وضع الكتاب العربي قوم من الاوائل نزحوا في عدنان بن أد وأسأوهم أبجد وهوز وحطى وكلكن وسعصع وفرفت فوضعوا الكتاب العربي على أساسهم ووجدوا حروفا ليست من أساسهم وهي التاء^(١٧) والفاء^(١٨) والذال والظاء^(١٩) والغين^(٢٠) فصوروا بالروادف ، وهو^(٢١) ملوك مدين وكان مهلكهم يوم الظلة في زمن شعيب عليه السلام .

-
- (١) المدون : أدب الكاتب ٣٠/١ ط : القاهرة : ١٩٢٢ م .
 (٢) البلادوى : فتح البلدان ٥٢٩/٣ ط : دار النهضة المصرية .
 (٣) ابن النديم : الفهرست ص ١٢ مطبعة التجارية الكبرى بصرى .
 (٤) ابن عديم : العقد الفريد ٢١٢/٤ ط : القاهرة ١٩٥٢ م .
 (٥) السجستاني : كتاب الصحاح ص ٥ ط : القاهرة ١٩٣٦ م .
 (٦) القليشندى : صحيح الاغص ١/٣ ط : القاهرة .
 (٧) بيقه : موضع بالقرب من الحيرة فتح البلدان ٧٠٢/١ .
 (٨) الانبار : موضع بالقرب من الحيرة أيضا فتح البلدان ٥٣٠/١ .
 (٩) انورد ابن ، التديم دين غيره من الاخباريين يذكر ابن قيس بدلا من بشر اما يقتضهم فذكروه مع^(١٠) قيان بن أمية ناظرا الخط عن بشر بن عبد الملك .
 (١١) فتح مدين : ابن بحر انقلزهم حازية لتبوك ههها البشر الشاسقى منها موسى مائش شعيب .
 (١٢) شعيب بنى : ان الانبياء كان يعيش ما بين القرنين السادس عشر والخامس عشر م .

وأما الباحثون المحققون فممنهم جاري الاخباريين العرب القدماء فيهم
اليه ، ومنهم الدكتور السيد عبد العزيز سالم^(١) والدكتور علي حسن الخروب طلس
والاستاذ نجوى زين الدين ، وأعلنوا أن الخط المسمى الحجازي شتى من الخط الحجازي
ومنهم الآخر غرض هو^(٢) الاخباريين العرب فيا ذهبوا اليه ، ومنهم الدكتور خليل
يحيى ناص ، والدكتور ابراهيم جمعة والدكتور جواد علي وغيرهم ، وتناولوا الرواية
السابقة التي أوردها هو^(٣) الاخباريون بالتقد والتحليل مستخدمين في ذلك قواعد
البحث العلمي القائمة على دراسة النقوش وتحليل خطوطها ، وبعد قراعتهم من تلك
الدراسة أعلنوا رفضهم لتلك النظرية وشوا ذلك الرض على عدد من الاسباب تذكر أهمها
فيما يأتي :

١ - ان قبيلة طي لم تكن القبيلة الوحيدة المستقرة في العراق في ذلك الوقت ،
وانما كانت مثل غيرها من سائر القبائل تنتقل حيث الكلا والباء فاختيارها لهذا الدور
ليس منيا على أساس على صحيح .

٢ - قصر عدد الاشخاص الذين اختيروا لهذه المهمة على ثلاثة نفر في نوع
من الاغراب ، فكيف يقوم هو^(٤) الاشخاص الثلاثة بمهمة شاقة ، وهو تعليم الخط
العربي في شتى ارجاء الجزيرة العربية ؟

٣ - جعل الاسماء هو^(٥) انفر على هذا الوزن وتلك الثقافية بشر نوعا من التماثل
" هل حدث هذا صدقة أم اتفاقا أم صيغت هذه الاسماء على هذا النحو ليحسن وقعها
على الاسماع فتظهر بظهور الحقيقة ؟ " ^(٦)

٤ - لم يشر هو^(٧) الاخباريين الى التاريخ الذي بدأ فيه هو^(٨) انفر في تعليم
الخط العربي لبعض سكان الجزيرة العربية ، فترك هذا التاريخ يضعف هذه الرواية

(١) الدكتور السيد عبد العزيز سالم : تاريخ العرب قبل الاسلام ص ١٩١ - ١٩٢ ،
ط ١٠ ، الاسكندرية ١٩٧٢ .

(٢) الدكتور خليل يحيى ناص : أصل الخط العربي - مجلة كلية الاداب ، المجلد
الثالث ج ١ ص ٤ ، ١٩٦٥ م .

ومعطينا دليلا قويا على أنها لم تعتمد على جانب من جانبي الواقعة (١) .

٥ - تذكر هذه الرواية أن طمر بن جذرة قد قام بوضع الاعظم ٥ وقد ثبت بالدليل الملمس الذي لا ينطبق اليه القول أن الاعظم لم يبدأ الا في العصر الاسلامي (٢).

٦ - جمعت هذه الرواية من يشر بن عبد الملك بطلا أسطوريا قام بتعليم الخط العربى لهن أمية وضر والشام ٥ وهل في وسع رجل - مها كانت قوته - أن يقوم بمثل هذا العمل الشاق في طول شبه الجزيرة العربية ومعرضها ٥ وخاصة انا علنا أن يشرأ كان أميرا ٥ والآخر ٥ عادة يكتفون فيهم أداء الاعمال الشاقة ٥ ويكتفون هم بالاعسراف والتوجيه .

٧ - وما يزيد هذه الرواية ضعفا أن الاخباريين لم يجمعوا على شخصية بشره قد اختار ابن النديم شخصية أخرى " هن : أبو قيس بن عبد مناف وجعله مكان بشره قائما بدوره ٥ أما بقية الرواة فجمعوا أبا قيس نازلا عن بشر وليس يد بلا عنه (٣) .

٨ - يقول هو "الرواية ان يشرأ علم صفوان بن حرب وصهر بن زوارة الخط ٥ وهذا معناه - في زعمهم - أن تعليم الخط في الحجاز بدأ في لآخر القرن الخامس الميلادي (٤) . مع أن النقوش النبطية أقدم من ذلك بكثير فربما نشأت عن ذلك بالتفصيل قد حدثت ما من النظرية النبطية .

أما الرواية الثانية التي أورد ها هو "الاخباريين العرب القدماء قالوا فيها : ان واضع الخط العربى هم أبجد وهوز وحط ٥٥٥ . فهي رواية هشة لا تعتمد على دليل على أو على شيء آخرها ٥ لان هو "الاخباريين لم يكتفوا بأن جعلوا التركيب

(١) احمد احمد يوسف : الخط العربى وأصله في خدمة الحياة العامة ص ٦٨ طه القاهرة : ١٩٦٨ .

(٢) خليل يحيى ناس : أصل الخط العربى ٥ ص ٤ .

(٣) ابن النديم : الفهرست ص ١٣ .

(٤) عبدالصبور شاهين : تاريخ القرآن الكريم ص ٦٤ ، طبعة دار الكتاب العربى ، بالقاهرة ١٩٦٢ م .

الاجدى الذى كان حيويا به عند السريان واليهود والعرب فى صدر الاسلام أساسا
لاسط بعض الملوك بل جعلوا هؤلاء الملوك يقومون بمهمة علمية فى الجزيرة العربية
وهى تعليم الناس اقراءه والكتابة ، مع أن الملوك فى كل عصر ومن يهتمون فممن
النظم الاولى بالسياحة وتدعيم أو اصر الملك . وما يزيد هذه الرواية ضعفا اعتمادها
على التقييد نيا ورد فيها من أساطير ، والتقييد لم يظهر الا فى العصر الاسلامي .

ومن الجدير بالذكر فى مثل هذا الغام أن الباحثين والتقيين من الآثار والنقوش
الكتابية لم يعثروا حتى الآن على أى نموذج من الخط العبري أو السرياني فى الحجاز
أو فى أى مكان قريب منه يؤيد اشتقاق الخط العربى الحجازى من الخط العبري
السرياني .

بعد أن استعرضنا روائى الاخباريين العرب القديما ، وبناشئة بعض علماء
النقوش الكتابية لهما مناقشة تفصيلية دقيقة نعتقد ما ورد فيها من مزاعم ، فليس فى
وسمنا الا أن نعلم بما علم به هؤلاء العلماء ، وهو رفض اشتقاق الخط العربى
الحجازى من الخط العبري السرياني .

٤ - النظرية النبطية : لم يقتنع بعض الباحثين الحديثين بوحدة من النظريات
الثلاث السابقة فأخذوا يبحثون عن بدائل لها يؤمنون فيها من الحقيقة ، وفى أثناء بحثهم
تشعبت بهم الطرق ، وتعددت بهم المسالك ، وتشعبوا إلى شعب تجمعت بعد
حين فى فريقين رئيسيين ، أما الفريق الأول فأخذوا يبحثون فى المصادر التاريخية
الموثوقة بها ، ويحفرّون صفحاتها طمّ يجدون بين جنباتها رأيا يشغى غلبهم ،
وأما الفريق الآخر فيسألون وجوههم شذلو النقوش الكتابية التى تمكن النقبون من الآثار
من اكتشافها ، وحاول علماء الآثار قراءتها ، فأخذوا يقرّونها بإحسان وتريث ،
ويقارنون بين نقوشها طمّ يجدون فيها ضالهم المنشودة .

" وقد تمكن كلا الفريقين من الوصول الى رأس ساهمت مساهمة فعالة فمسي
الوصول الى نتيجة تقترب من الصواب وتندرج من الخفية . وهي أن الخطأ العرسي
الحجازي ينشئ من الخطأ النبطي . وهذا نحن أولا نستعرضه الا اننا نوجه اليها
كلا الفريقين لنرى الى أي مدى لا تتصل همتها سببا رئيسيا في الوصول الى تلك
النتيجة . أما الفريق الاول فغرضنا نصيب أمينهم المصادر التي تعتمد على الوثائق
والاثر اكثر من اعتمادها على الرواية والرواة معد قوائمها ونحيطها وجدوا
أن الانباط قوم من جيلة العرب هاجروا من قلب الجزيرة العربية الى مشارف العراق
وظلوا فترة من الزمن يعتمدون في حياتهم على الرعي ثم أخذوا يميلون الى
الاستقرار . ويتعلمون الزراعة تدريجيا من سكان تلك الشارف . وما أن تم لهم ذلك
حتى انقلبوا في بداية القرن السابع قبل الميلاد على ما جاورهم من الاراضي الزراعية
وزاحوا سكانها فيها . " وحذتوا الزراعة حتى لتتوا انظار الاشوريين اليهم فبعد
أن كانوا يسمونهم الاعراب سموهم الانباط لاستنباطهم ما يخرج من باطن الارض .

" وفي منتصف القرن الخامس قبل الميلاد هاجر الانباط من العراق الى جنوب
بلاد الشام . وسواحل البحر الاحمر الشمالية والشرقية . واستقروا هناك بعد أن
تمكنوا من القضاء على دولة الادوميين .

ثم أقارروا على الاراميين . ونحضرنا بحضارتهم . " وأن كانوا قد تعلموا اللغة
الارامية والخط الارامي واستعملوها في كتاباتهم المحسوبة الا أنهم ظلوا يتكلمون اللغة
العربية . ويحتفلونها في أحاديثهم اليومية .

" وقد اتسعت دولتهم فشملت حوران والبتراء^(١) وبعان في الشام وتبوك والعللا
والحجر (مدائن صالح) في شمال الحجاز . "

-
- (١) المهداني : الاكليل ط ليدن ٢٤/١ .
(٢) أذرتاش أذرتوش : راهبهاى نفوذ فارس ودرقتهك وزيان تازى (پيش از اسلام)
تهران ١٣٥٤ .
(٣) جواد على : المصطلح تاريخ العرب قبل الاسلام ١٠٤/١ .
(٤) خليل ناس : أصل الخط العرسي ص ٧ .
(٥) ابراهيم جعة : دراسة في تطور الكتابات الكوفية ص ١٧ القاهرة ١٩٦٩ م .

وان كان الرباط قد تشكل في سنة ٢٧٢ م من القضاء على نفوذ الانباط السياسي
الا أنهم لم يتكبدوا من القضاء على نفوذهم الثقافي ، فظلت لغتهم تتو وتطوّر ،
وخطهم يتحوّل نحو الكلاسيكية حتى انتهى الخط العربي منه .

ومن الجدير بالذكر أن الانباط اختلطوا بعرب الحجاز اختلاطا ينادى بكون
كاملًا ، وكونوا معهم علاقات تجارية واجتماعية ودينية أما العلاقات التجارية فكان للانباط
في المدينة الصّورة صور يقدون اليها فيبيعون فيها حاصلاتهم ، ويشترّون منها ما
يحتاجون اليه ، وكان الحجازيون يذهبون الى بلاد الانباط وهم في عرقهم الساس
الشام فيبيعون لهم ويشترّون منهم .

وكذلك طرق التجارة المستد من اليمن جنبا حتى سواحل البحر الابيض المتوسط
عسلا والذي يربطه ويشرب والملا والحجر (مدائن صالح) وبلغ كان أقرب الطرق
واسهلها ، ولذلك كثرت تباد الحجازيين له نحو الشمال وتحوّل الانباط فيه نحو
الجنوب ما أزداد العلاقات التجارية وغيرها توثيقا بينها .

وأما العلاقات الاجتماعية فتبدو واضحة جلية قليا بينها من تشابه في العادات
والعقائد والاسماء وقد تمكن بعض الباحثين من استخراج أسماء كثيرة من الكتابات
النبطية يتفق والاسماء العربية ، مثل : أسد وأوس وكر وحنظلة وخارثة وجذيمة
وأمرو القيس وغيرها وأكثرها وجدت في عربية القرآن الكريم ، ومشاركة الانباط لفهجة
العرب في هذه الاسماء ليس من قبيل الصدقة او الجوار فحسب بل من قبيل وحدة
العرق والاشتراك العنصري في كثير من الخصائص .

وأما العلاقات الدينية فتظهر بوضوح في اشتراك الانباط والحجازيين في
عبادة آلهة معينة ، مثل : ذو الشرى ، واللات ، ومناة ، وهبل ، والعزى وغيرها .

-
- (١) ابراهيم جعنة : دراسة في تطور الكتابات الكوفية ، ص ١٢ ، القاهرة ١٩٦٩ .
(٢) اسرائيل ولفسون : تاريخ الشعوب السامية ، ص ١٣٥ ، القاهرة ١٩٥٠ م .
(٣) خليل ناصي : اصل الخط العربي ص ١٠٥ .

ثم ازدادت هذه العلاقات توثيقاً في القرن الخامس الميلادي عندما انتقلت السيادة
الروحية إلى مكة وأصبح لها نفوذ ديني على عظم القبائل العربية في شتى أرجاء
الجزيرة العربية وأحارها مثل الانباط وغيرهم " فأخذت عظم القبائل العربية
ومنها الانباط يهجون الحركة لطوائف حول كعبتها " التمسح بأصنامها والاقامة
بين جنباتها والاختلاط بسكانها فغاص هذا كله في أعينهم فمالوا في توثيق عمري
المحبة والصداقة والوادة بين عرب الانباط وعرب الحجاز (١)

يتضح لنا مما سبق أن الانباط عرب خالص لم تنقطع صلتهم بأخوانهم في الجزيرة
العربية ، وخاصة بعد أن استقروا في جنوب بلاد الشام وكبروا دولة هناك اشتغلت
على الجزء الشمالي من الحجاز ، وارتبطوا بأخوانهم الحجازيين بروابط اجتماعية
ودينية وتجارية لأن لها أبعد أثر في احتفاظهم بلغتهم العربية .

أما الفريق الآخر فنبعوا وجوههم شطر النقوش الكتابية ، وأخذوا يشجون عنها
في التأخر العربي واللاتينية ومدد جهدهم وجمع حثيث لم يجدوا إلا أرمية
نقوش وهي كما يأتي :

١ - نقش أم الجصال ، وهي من أعمال حوران إحدى مدن الانباط ، والنقش
غير مؤرخ ولهذا قدر المستشرق دي فوجيه De Vogüe تاريخه بسنة ٢٢٠ م .

٢ - نقش النارة وهي من أعمال حوران أيضاً ، وقد أרך الكاتب النبطي
النقش سنة ٢٢٣ من التاريخ السلمي الذي بدأ بسنة ١٠٥ ميلادية وهي تاريخ
سقوط دولة الانباط على يد الرومان ، ولهذا يرجع تاريخ النقش إلى سنة ٢٢٨ م .

٣ - نقش زيد وهي مكان محراب قرب قنسرين ونهر الفرات ، ويرجع تاريخ النقش
إلى سنة ٥١١ م وهو مكتوب بثلاث لغات هي اليونانية والسريانية والعربية .

(١) خليل نامي : أصول الخط العربي ١٠٤

٤ - نقش حمران وقد وجد مكتوبا على باب كعبة بطلك المدينة * وهو جمع في النسخة الشامية من جبل الدين * والنقش مكتوب باليونانية والعربية وهو مسوَّج سنة ٦٦٢ من التاريخ السلعي الذي يوافق ٥٦٨ م * .^(١)

ثم انقسم أفراد هذا الفريق الى شعبتين احدهما في علم الخط القناري * والاخرى في علم اللغة القاري * ، اما علماء الشعبة الاولى فآخذوا بحثوث عن أصل الخط النبطي ثم بدأوا يتعمقون خطوط تلك النقوش ، ليروا مدى التقدم الذي حدث فيها * ، واما علماء الشعبة الاخرى فقد آخذوا يدققون النظر في كل كلمة من كلمات تلك النقوش ليجري اللغة الرئيسية التي كتب بها والكلمات الاجنبية الموجودة فيها * ومدى تطوُّر تلك اللغة الرئيسية من نقش الى نقش * وما بها من ظواهر اعرابية والتزام كتابتها بقواعد النحو والصرف * .

وجد علماء الخط القاري أن عمال الفيروز في شبه جزيرة صينا^(٢) كانوا في منتصف القرن التاسع عشر قبل الميلاد يأخذون من اللغة الهيروغليفية المصرية الرمز الذي يدل شكله على رأس ثور مخض، انظر ما يعنى رأس الثور في اللغة الهيروغليفية المصرية - وأطلقوا عليه اسم " الف " ثم استعملوا هذا الرمز ليدل على الصوت " ف " وفي قواعد الاكرونية التي تخص باعطاء الرمز قيمة صوتية لأول حرف يلتقطه من اسمه ، مما يخفِّق نفسها أطلقوا على الرمز الذي يدل على " البيت " حرف " با " واستعملوا للدلالة على الصوت " ب " وهكذا في بقية الحروف^(٣) .

ثم انتقل هذا الخط الى المعينيين في جنوب شبه الجزيرة العربية وإلى الفينيقيين في شمال الشام * فأما المعينيين فآخذوا هذا الخط من الصينائيين عندما كونوا معهم علاقات تجارية * ثم شكوا في القرن الثاني حرق قبل الميلاد من اشتقاق المسند منه

(١) بهار : ص ٦٦٨ من تلويح غفران ١٢/١ چاپ چهارم ٢٥٣٥ شاهنشاهی .

(٢) كان المصريون في أول أمرهم يحتضمون الكتابة الصورية ، ثم اخترعوها وأولدوا منها الكتابة الهيروغليفية .

(3) Encyclopaedia Britannica Vol. 1, p. 282, London.

والذى تألف من ٢٦ تسعة وحسين حرفا كلها خصله ليس عليها حركات مثل الفتحه والنصه والكسرة والتشديد لضبط الكلمات بالشكل ، وكانت كتابتهم تتبع طريقة حلزونية من كثير من الأحيان فيهدون الكتابة من اليمين الى اليسار أو بالعكس ، ثم يستمر الكتابة من كتابته دون انقطاع من البداية حتى النهاية أو من أعلى الى أسفل .

وقد نشر المعينون والسهيون والحميريون السند في شبه الجزيرة العربية وتطور على أيدي قبائل يمنية هاجرت الى الشمال الى مجموعة من الخطوط منها الخط اللحياس والخط النجدي والخط الصفوي وتطور كذلك في الساحل الاغريقى القابيل لليمن الى الخط الحميرى العجى ، وعندما ضعف الحميريون أخذ السند ينحصر من شمال شبه الجزيرة وسطها لارتباطه بالتفرد السياسى لدول الجنوب ، ولصعوبة استخدامه من الناحية العملية وانحلال حروفه في الكتابة .

وأما الفينيقيون فقد أخذوا الخط من المينائيين في بداية القرن الخامس عشر قبل الميلاد عندما كنوا علاقات تجارية معهم ، وطوروا هذا الخط حتى غدا مستقلا نظريا وجعلوه اثنين وحسين حرفا .

ثم أخذ الآراميون عن الفينيقين ذلك الخط في القرن التاسع قبل الميلاد ، وطوروه ايضا ثم أخذوه عن الاراميين بقية الشعوب السامية مثل الانباط والسريانييين والعميرانيين وغيرهم .

والذى يهتما في هذا المجال هو الخط النبطى ، فقد أخذ الانباط الخط الارامى في بداية القرن الثاني قبل الميلاد ، ثم أخذوا يطورونه منذ القرن الاول قبل الميلاد حتى غدا في القرنين الثاني والثالث الميلاديين خطا نهطية مسحة (١) آرامية .

(١) خليل ناس : أصل الخط العربى من ٦٩ .

* ثم تحول هذا الخط في مطلع القرن الرابع الميلادي الى الخط النبطي الذي هو الذي ظهر في الكتابة النبطية التي استطعت في تحت النجارة المورخ بعام ٢٢٨ م^(١).

ثم أخذ الخط النبطي ينمو ويتطور خلال القرنين الخامس والساد من الميلاديين حتى نعدنا شجر الخصائص التي تميز بها الذي نقش في سنة ٥١١ م * والذي يمكننا على ضوءه أن نحل مشكلة نشأة الخط العربي خاصة وأن هذا النقش كان في عهد ليس ببعيد من ظهور الاسلام^(٢).

وأما النقش الرابع والآخر فكان أكثر النقوش السابقة قربا الى الخط العربي لأن الناظر اليه يرى حروفه قد ارتبط كل حرف منها بالآخر في الكلمة الواحدة ما عدا الحروف التي لا ترتبط بها بعدها مثلا الدال والذال والراء والزاي والواو وغيرها وكذلك طلست تاء التانيث المتطرفة مفتوحة دائما *

بعد أن استعرضنا آراء شعبة علم الخط القارن وضع لنا بجلاء تام أن خطوط هذه النقوش أخذت تتطور من قرن الى قرن حتى بلغت مرحلة الكمال في النقش الرابع والآخر * وأن الناظر اليه يدرك ادراكا كاملا أنه لا يفتقر في شيء عن الخط العربي الذي يشله مصحف عثمان رضي الله عنه باعتباره أقدم الخطوط العربية التي وصلت اليه حتى الآن *

وأما علماء الشعبة الأخرى قد أخذوا ينظرون بدقة وإمعان الى كل كلمة من كلمات هذه النقوش فوجدوا لكل كلماتها باللغة الآرامية أو غيرها * ومعظم كلماتها بلغة الانباط العربية التي يشبه أكثر كلماتها كلمات لغة الحجاز * ففيها ما يدل على أسماء الملوك والزعماء مثل جذبة ويري الكيس * ومنها ما يشير الى أسماء القبائل مثل نزار ومعد وأسد ومذجع * ومنها ما يدل على أسماء الأماكن مثل : خير ونجران وغيرها *

(١) خليل تانر: أصل الخط العربي ٧١

(٢) إسرائيل ولفسون : تاريخ اللغات السامية ص ١٩٢ *

(٣) جواد علي : المصنف في تاريخ العرب قبل الاسلام ٢٩٢/٢ *

ونها لما يتناول ^(١) نواحي الحياة مثل : جاء ، ورهن ، باع ، وكل ، وقبر وساج
وسنة وهنم جبرا .

وقد وجد هؤلاء العلماء أن كلا اللغتين تتفقان في كثير من أبنائها ^(٢)
فمنها الأسماء الموصولة مثل : " جاء " من يعلم ، ومنها الضمائر ^(٣) إضافة إلى مثل نيم الله ،
ومنها الأسماء الموصولة من المرفوع مثل : عمرو وعمر " ، ومنها التعريف
به " ال " التي جاءت في العربية الفصحى ولم يعثر عليها في اللهجات العربية الأخرى
مثل الشد بفتح الشين ^(٤) واللحانية ^(٥) والمستند حيث كانت جميعها تستخدم الياء ^(٦) وأداة
للتعريف مثل الاسدين " ، ومنها القاء للترتيب مع التعقيب ، مثل : جاء بنوه فبناته .

إذا نظرنا إلى الآراء التي ذكرها علماء هذه الشجيرة وجدناها آراء عديدة أما هذه
اللائم من أشياء كثيرة لم يمكن الباحثون السابقون من اكتشافها فقد أوضحت
لنا مدى التشابه الموجود في اللغة والنحو بين اللغتين النبطية والعجازية .

بعد أن ذكرنا آراء العلماء والباحثين واللغويين في النظرية النبطية وجدنا
أنهم اعتقدوا اتحاد كلياً على المصدر الأصلية الجنية على الرثامي والتقرش التي
استخرجت من باطن الأرضي تكون آرائهم التي توصلوا بها في النهاية إلى هذه النتيجة
الحاسمة وهي أن الخط العربي العجزي مشتق من الخط النبطي ، وهذه النظرية
أرجع النظريات الأربع التي قسيتها ^(٧) لأنها تشير على أصح المنهج العلمي الحديث
العلم على الاستقراء للوصول إلى النتائج .

(١) فليب حتى : تاريخ العرب المطول ٢/١٠٧ مطبعة دار الكاف بيروت ١٩٦١م .

(٢) صالح أحمد العلي : محاضرات في تاريخ العرب ص ٤٤ بغداد ١٩٦٠ .

(٣) سيد حنفى حنين : الشعر الجاهلي مراحله وتطور اتجاهاته ص ١٥ الهيئة
المصرية العامة للتأليف والنشر والترجمة ، ١٩٦١م .

(٤) خليل نامي : أصل الخط العربي ص ٩ .

بعد أن استعرضنا الأفكار الرئيسية لشدة اللغة العربية والخط العربي ،
 وذكرنا آراء العلماء وأبي حنين والمؤرخين في كل فكرة منها ، والنشائج التي توصلوا
 إليها ظهر لنا أن اللغة العربية ظاهرة اجتماعية نشأت عن حاجة الإنسان إلى
 الاجتماع بغيره للنظام وتبادل الآراء ، وأنها تقدم صورة حية من اللغة العالمية الأم
 التي نخرعت منها ، وأن لهجة قريش كانت النواة الأولى للغة العربية الفصحى ، وأن
 هذه اللهجة قد بلغت أوج كمالها عندما نزل القرآن الكريم بها ، وأن الخط العربي
 الحجازي مشتق من الخط النبطي ، لأن عرب الحجاز وعرب الأنباط كانت تربط
 بينهما صلات كبيرة .

نبت بأهم المصادر والمراجع

أولاً : المصادر والمراجع العربية :

- (١) إبراهيم جعنة (دكتور) : دراسة في شعر الكتابات الكوفية على الأحجار
في مصر من القرون الخمسة الأولى للهجرة - طبعة دار الفكر العربي
القاهرة ١٩٦٩ م
- (٢) ابن جنس . (أبو القاسم عثمان بن جنس) الخصائص تحقيق محمد طي النجار
دار الكتب المصرية مط - القاهرة ١٩٥٦ م
- (٣) ابن خلدون (أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد) : المقدمة .
ط - القاهرة ١٩٢٠ م
- (٤) ابن سيدة : المختصر - الطبعة الأخيرة بالقاهرة ١٣١٦ هـ .
- (٥) ابن عديم (أحمد بن محمد الأندلسي) العقد الفريد - تحقيق محمد سعيد
الريان - الطبعة الثانية القاهرة ١٩٥٢ م
- (٦) ابن فارس (أحمد بن فارس) الصحاح في لغة العرب في كلامها .
الطبعة السلفية بالقاهرة ١٩٥٢ م
- (٧) ابن التميمي (أحمد بن إسحق) للفهرست - المطبعة التجريبية الكبرى بحمص
- (٨) البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر) فتح البلقان - تحقيق صلاح الدين
النجدي - طبعة دار النهضة المصرية بالقاهرة .
- (٩) أحمد أحمد يوسف : الخط العربي وأساليبه في خدمة الحياة العامة - طبعة
دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٨ م
- (١٠) إسرائيل بن إسماعيل (دكتور) : تاريخ اللغات السامية - ط - القاهرة ١٩٥٠ م
- (١١) جواد طي (دكتور) الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام - مكتبة النهضة
بيقناد ١٩٧٦ م

- (١٢) جورجى زيدان : الفلسفة اللغوية والالفاظ العربية ط٠ القاهرة ١٩٤٠ م.
- (١٣) حنفى ناصف : حياة اللغة العربية ط٠ مصر ١٩١٠ م.
- (١٤) خليل يحيى تلى (دكتور) : اصول الخط العربي وطريق تعليمه الى ط قبل
الاسلام ، مجلة كلية الاداب ، جامعة فؤاد الاول ، الجلد
الثالث ، الجزء الاول مايو ١٩٣٥ م.
- (١٥) الرافضى : (مصطفى صادق) : تاريخ آداب العرب ط٠ القاهرة
١٩٤٠ م.
- (١٦) السجستاني (ابو بكر عبد الله بن محمد) : كتاب الصحاف ، الطبعة
الرحمانية بالقاهرة ١٩٣٦ م.
- (١٧) سعيد الافغانى : اسوان العرب في الجاهلية والاسلام ، المكتبة
الهاشمية بدمشق ١٩٣٦ م.
- (١٨) سيد حنفى حنين (دكتور) : الشعر الجاهلى مراحل واتجاهاته الفنية
الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٢١ م.
- (١٩) السيوطى (عبد الرحمن بن الكمال اللقب بجلال الدين والمكنى بأبى الفضل) :
الاعتلاج في طلب اصول النحو ط٠ حيد رآباد ١٣٥٩ هـ .
- (٢٠) صالح احمد المولى (دكتور) : محاضرات في تاريخ العرب ، الطبعة السادسة
بغداد ١٩٦٠ م.
- (٢١) المولى (ابو بكر محمد بن يحيى) : أدب الكاتب ، الطبعة الحادية
بالقاهرة : ١٩٦٢ م.
- (٢٢) عبد الصبور شاهين (دكتور) : تاريخ القرآن الكريم ، طبعة دار الكتاب العربى
القاهرة ١٩٦٢ م.
- (٢٣) عبد العزيز سالم (دكتور السيد) : تاريخ العرب قبل الاسلام ، مطبعة مؤسسة
الثقافة الجامعية بالاسكندرية ١٩٧٣ م.

- (٢٤) عبد العزيز صالح (دكتور) : الشرق الأدنى القديم ، الطبعة الثالثة
مكتبة الانجلو المصرية ١٩٧١ م.
- (٢٥) عبد الرزاق (دكتور) : لغة العرب في الكتب العربية مدار النهضة
العربية للطباعة والنشر بيروت ١٩٧٤ م.
- (٢٦) صفور (دكتور محمد أبو الحسن) : عالم تاريخ الشرق الأدنى القديم
دار النهضة العربية الطبعة الثالثة بيروت .
- (٢٧) فليبي حن : تاريخ العرب ترجمة الدكتور جبرائيل جبر عيطبة دار الكتاب
بيروت ١٩٦٦ م.
- (٢٨) اقله شندى (أبو العباس أحمد بن علي : صحيح الاخشى مطبعة النجاة
المطبعة الاميرية : القاهرة : ١٩٤٦ م.
- (٢٩) تاج الدين الدين : حوز الخط العربي مطبعة بيروت الثانية ١٩٣٤ م .
- (٣٠) الهذلي (أبو محمد الحسن بن أحمد) الاكليل ط . لندن .
- (٣١) وافي (دكتور علي محمد الواحد وافي) : نشأة اللغة عند الانسان والطفله
ط . القاهرة ١٩٤٢ م.
- (٣٢) نفس المؤلف : علم اللغة ط . القاهرة ١٩٦٢ م.
- (٣٣) سفر التكوين .

ثانيا : المراجع الفارسية

- (١) آذر تاثر آذر نيش : واهبای نفوذ فارسی در فرهنگ زبان فارسی (ريش از
اسلام) تهران ١٣٥٤ م.

- (٢) بهار : سینه شعله‌ای تصور شیدا و سوط جبار ٢٥٣٥ شاه شاهان .

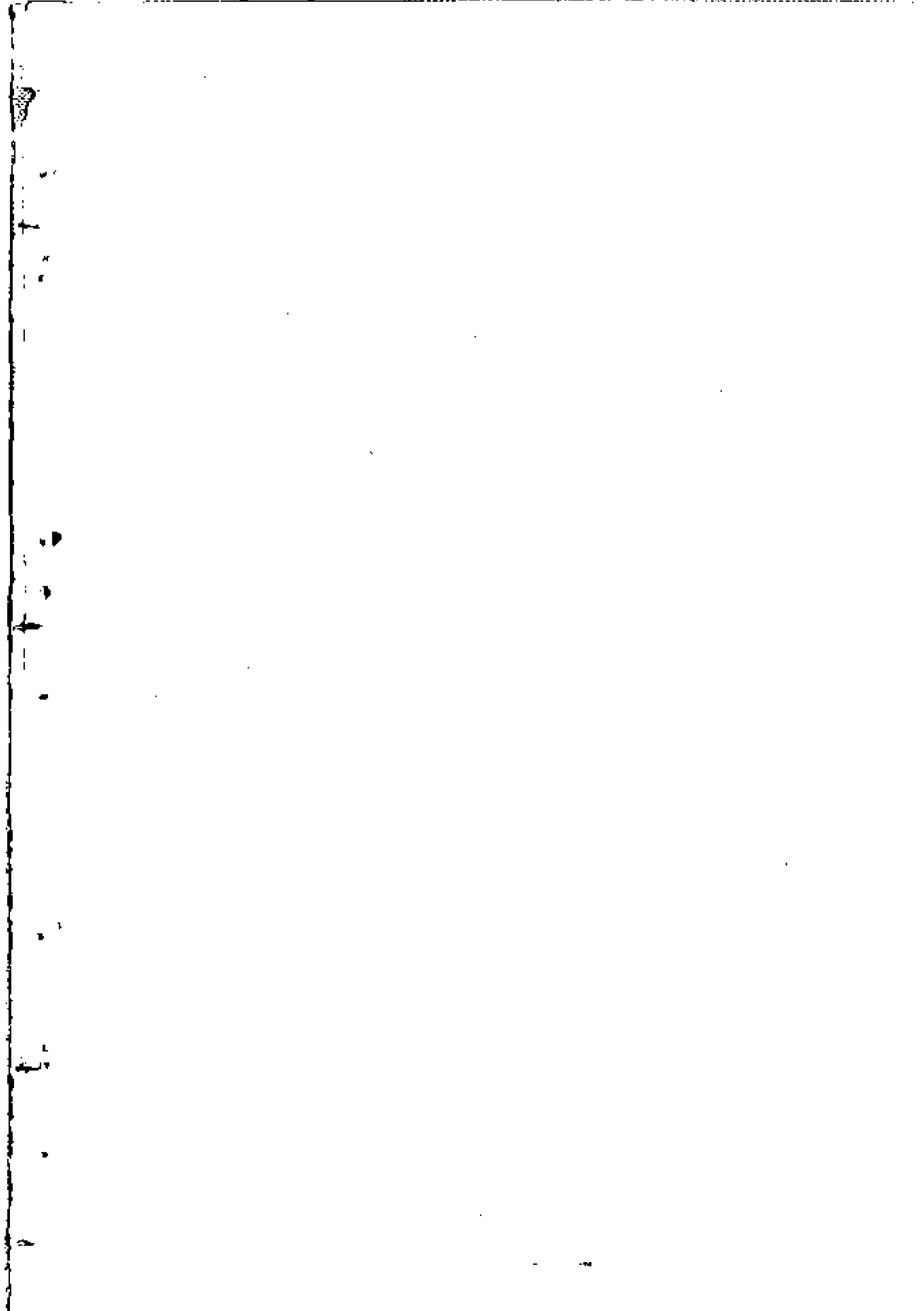
- (٣) مير خاوند : رحمة الله في سيرة الانبياء والطوك والخفا الهند جاساي

تالک : المراجع الاجنبية :

- (1) Alois Musil: Northern Negd, New York 1928.
- (2) Barton, (C.A): Semitic and Hamitic Origins, Social and Religions? London, 1634.
- (3) Brinton, Crazel of the semitic, Philadelphia 1890.
- (4) Clay, (A.T): Amurru, The Home of the Earthern Semites, Philadelphia 1909.
- (5) Husayyin, (S.A), Arabia and the Far East, Cairo, 1942.
- (6) Nicholson: Altitarezy History of the Arabs Vol I London 1907.
- (7) Balylonian Expedition, Vol. III, Philadelphia 1905.
- (8) Encyclopaedia Britanica Vol, I, London.
- (9) Encyclopaedia of Religion and Ethics, Vol II, London, 1920.

الحجاج المصطفى
في
الغصن الواسع

دكتور جابر سلامة المصطفى
المدرس بكلية التربية



" وَأَذِّنْ لِلنَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ
يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ "

سورة الحج ٢٧

تجتمع مصر بموقع ممتاز تفردت به بين أقطار الأرض ،
فهي ملتقى قارتين من أكبر قارات العالم القديم هــمـبـا
أفريقيا وأسيا ، فكانت مصر بمثابة القلب في العالم القديم
وحلقة اتصال بين الشرق والغرب والشمال والجنوب .

وفي ظل الاملاام أحتلت مصر مكانة فريدة بين الجنـاحـيـن
الاميوى والافريقى للعالم الاسلامى .

وقد قدر لمصر أن تقوم بدورها بارزا في اطار الدولة
الاسلامية الكبرى كحلقة اتصال بين الجناحين الكيريين
لتلك الدولة من ناحية ، ومركز عبور هام من ناحية أخرى
سواء للحج أو التجارة .

والحج ركن كبير وهام من أركان الاسلام . يقول الله
تعالى " ولله علي الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا" (١)

ومن أجل هذا أعتنى المسلمون وحكامهم بالحج منذ فجر
الاسلام فاهتموا بعمارة المسجد الحرام بمكة المكرمة ومسجد
الرسول بالمدينة المنورة وحفروا الابار والعيون علي الطرق
المؤدية الى الاراضى الحجازية وأنفقوا المال الكثير .
وتحتل مظاهر ذلك الاهتمام في عصر ملاطين المماليك عندما حج
السلطان الناصر محمد سنة ٧١٩هـ / ١٣١٩م فانعم علي أمير خـليـفـيـه
(٢)

(١) سورة آل عمران ٩٧

(٢) خـليـفـيـه : حصن ما بين مكة والمدينة

ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٦٠ هامش ١
ويقول المقرئى : وفي سنة ٧٢٠ هـ السلطان من الحجاز
بعدها ببر بـخـليـفـيـه وقد جرى الماء فيها ، وكان قد ذكر له
وهو بمكة أن العادة كانت جارية يحمل مال الى خـليـفـيـه
ليجرى الماء من عين بها الى بركة يردها الحاج ، وقد
انقطع ذلك منذ سنين وصار الحاج يجد شدة من قلة الماء
بـخـليـفـيـه ، فرسم بمبلغ خمسة آلاف درهم لاجراء الماء من العين
الى البركة وجعلها مقررة في كل سنة لصاحب خـليـفـيـه ، فأجرى
صاحب خـليـفـيـه الماء قبل وصول السلطان اليها واستمر جملة
المال يرسل اليه في كل سنة ووجد الماء في البركة دائما .
المقرئى : الذهب المسبوك ص ١٠٤ هامش ٢

آلاف درهم برسم عمارة عين خليس ، وكان لها عدة منى قد
انقطعت ، وجعل ذلك مقررا في كل سنة برسم عمارتها .

وفي سنة ١٢٢٨ هـ / ١٢٢٨ م أجرى الملك الناصر محمد
عينا الى مكة لتوصيل الماء الى الحجاج . وفي سنة ٧٤٤ هـ /
١٢٤٢ م أجرى نائب السلطنة بمصر عينا من منى الى بركة
المسلم وذلك عن طريق منى . وكذلك فعل الملك الاشرف قايتباي
فأمر بتعمير عين مكة وعين عرفات سنة ٨٧٥ هـ / ١٤٧٠ م ، وكذلك
عمر عين حنين^(١) حتى وصلت مياهها الى مكة وعمر أيضا
عين خليس وأجرى الماء بها .

وفي سنة ٩١٦ هـ / ١٥١٠ م عمر قنصوه الفوري أخـ
ملوك الجراكمة بمصر عين حنين حتى جرت وملاش بركة الهملس
وماجنى في درب الثيمن بأفـل مكة .^(٢)

(١) منبع هذا العين في ذيل جبل شامق يقال له " طاد " في
طريق الطائف من مكة ، وكانت تسمى هذه البقعة حائط
حنين وهو موضع غزا فيه النبي صلى الله عليه وسلم
غزوة حنين .

ابراهيم رفعت : امرأة الحرمين ج ١ ص ٢١١
(٢) ابراهيم رفعت : امرأة الحرمين ج ١ ص ٢١٦ / ٢١٧

موكب الحجاج والعناية به

ومن مظاهر الاحتفال بالحج والاهتمام والعناية به في مصر ، تلك الاستعدادات التي تحق مواكب وقوافل الحجاج .
وتمدنا المصادر بوصف رائع لتلك الاستعدادات التي تسبق مواكب حج الملوك والسلاطين في عصر المماليك - والذي هم عادة محل اهتمام المؤرخين القدماء والحديثين - فعندما تتحرك الرغبة لدى هؤلاء لحج بيت الله الحرام تخرج أطلاب^(١) السلطان من أرجاء المملكة وفيها الخيل والهنج^(٢) باكو^(٣) الذهب واللال من الذهب والفضة وجميع المقاول^(٤) والمخاطم^(٥) والآلات من الحرير الملون المحكم الصنع ، وتصنع القدور من الذهب والفضة والنحاس تحمل على البخات^(٦) ليطبخ فيها ، ويقوم الخولة^(٧) بعمل مياقل ورياحين ومشمومات في أحواض

(١) طلب والجمع أطلاب : لفظ كردي كان معناه الأمير الذي يقود مائتي فارس في ميدان القتال ، ويطلق أيضا على قائد المائة ، وكان أول من استعمل هذا اللفظ بمصر والثام أيام السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ثم عدل مدلوله فأصبح يطلق على الكتيبة في الجيش .
المقريزي : السلوك ج ١ ص ٢٤٨ هامش ٢
د. سعيد عاشور : العصر المماليكي في مصر والثام ص ٤٣٣

Dozy : Supp : Dic : Ar

- (٢) الهجن : جمع هجين وهو من الخيل الذي ولدته الفرس من حصان عربي .
(٣) أكوار جمع كور : وهو الرجل يوضع على ظهر الخيل أو الأبل ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٥٨ هامش ١
المقريزي : الذهب المسبوك ص ١٠٠ هامش ٣
(٤) المقاول جمع مقود : وهو الحبل الذي يشد في الزمام أو اللجام تقاد به الدابة .
(٥) المخاطم جمع خطام : وهو الحبل الذي يقاد به البعير .
(٦) البخات : جمال طوال الأعناق .
(٧) الخولة : المراد العبيد والخدم .

خشب تحمل على الجمال فتسير مزروعه وتسقى على طول الطريق بواسطة هؤلاء الخوله ، ويؤخذ منها كل يوم ما تدعو الحاجة اليه من البقل والكرات والكسبرة والنعناع والريحان وأنواع المشومات . وإلى جانب ذلك يتم تجهيز الأفسران وقلائى الجبن وصناع الكماج^(١) وغيره ، ويحمل القربان الشعير والتسميد والبشماط^(٢) . ومن أطراف الدولة بالشام تحمل الحلوى المصنوعة من السكر النقى والسكر داناك^(٣) والفواكة والحريرمان واللوز ، وما يحتاج اليه من أصناف البطيخ كطيور الاوز والدجاج بكميات هائلة . ويجهز مركبين فسى البحر الى ميناء ينبع وآخران الى جدة ، ويكتسب أوراق تكاليف الغليق من الشعير للأبل والهجى والخيل باسماء اثنين وخمسين أميرا ، منهم من له فى اليوم مائة عليقة ومنهم من له خمسون وأقلهم من له عشرون عليقة . فكانت جملة الشعير المحمولة مائة وثلاثين ألف أردب ، وهذا الرقم يوضح لنا العدد الكبير للأبل وغيرها المصاحب للقافلة .

ويتفتن الغلمان ويبدون من صنائعهم العجائب والغرائب فى حين ترتيب الموكب ، فيعدون عشرين قطارا^(٤) من الهجن

(١) الكماج : مقردها كماجة ، كلمة فارسية معناها خبسن

بخير خميرة من الدقيق الأبيض الخالص ويخير على الرماد .

المقريزى : الذهب المسبوك ص ١٠١ هامش ٢

ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٥٨ هامش ٣

(٢) البشماط : البشماط

المقريزى : الذهب المسبوك ص ٩٠ هامش ٤

(٣) السكردان : لفظ فارسى معناه الوعاء المستعمل لحفظ الحلوى

المقريزى : الذهب المسبوك ص ١٠٢ هامش ١

(٤) القطار : أن تقطر الأبل بعضها الى بعض على نسق واحد

وبعدد معين .

بقماش من ذهب أكوارها وعرفياتها^(١) وحطما^(٢) حرير مزركش وخمسة عشر قطارا يعنى حرير ، وقطار بقماش أبيض برسم الاحرام ، ومائة قرص عليها من السروج والكنافيش^(٣) وكجاوشين^(٤) ومحفات^(٥) الحرير مزركش ، وستة وأربعين جملا محابر^(٦) بأغشية الحرير ، وخزانة المال على عشرين جملا .

وهذا الموكب يتم تجهيزه فى رىاقوس^(٧) ويتولاه ناظر الخاص^(٨) وعندما يتحرك هذا الموكب يتقدمه السلطان وأكابر

- (١) عرفياتها : عرف الديك والفرس والندابة وغيرها ، منبت الشعر والريش من العنق .
- (٢) حطما : ربما قصد بها الدروع أو الكوة .
- المقرىزى : السلوك ج ٣ ص ٢٧٢ هامش ٣
- (٣) كنفوش وجمعة كنافيش ، وهو خمار لتغطية الوجه ، وأطلق اللفظ أحيانا على البردعة توضع تحت سرج الفرس ، وقد حرف اللفظ أيضا الى كنفوش وكنافيش .
- المقرىزى : الذهب المصبوك ص ١١٩ هامش ٦
- د. سعيد عاشور : العصر للمماليكى فى مصر والشام ص ٤٤٥
- (٤) الكجاوة : كلمة فارسية معناها هودج النساء
- المقرىزى : السلوك ج ٣ ص ٢٧٣ هامش ١
- (٥) المحطة : هى كرىمان من الخشب اذا فُما الى ظهر الجمل جلس فيهما راكبان على حشال جلوسهما على الكراسى ووجههما الى رأس الجمل .
- البتحوش : الرحلة الحجازية ص ٢٠٧ هامش ١
- (٦) محابر : جمع حبره وهى ماكان من البرود منقطا .
- ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ٢ ص ٢٨٢ هامش ١
- (٧) رىاقوس : قرية مصرية قديمة ، وهى الآن من قرى مركز شين القناطر بمديرية القليوبية وتقع على الشاطئ الشرقى لشرعة الاسماعيلية شمال القاهرة وعلى بعد ١٨ كيلومترا منها ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٧٩ هامش ١
- (٨) الناظر وجمه نظار : وهم كبار الموظفين ورؤساء الدواوين وناظر الخاص ينظر فى خاص أموال السلطان .
- د. سعيد عاشور : العصر للمماليكى فى مصر والشام ص ٤٥٨

الامراء وقضاة القضاء وقاضى العسكر والنظار وكاتب السنين وعده من أجناد الطقة ومماليك السلطان حيث ينزلوا ببركة الحاج^(١) ومنها يتخذون طريقهم الى الاراضى الحجازية .

وعندما يدخل الموكب مكة يظهر السلاطين من التواضع والذلة أمرا رائدا ويسجدون سجود العبد الخاضع ويصيرون كآحاد الناس لا يحجبهم أحد ولا يحرهم الا الله ، ويصير منفردا يطوف ويسعى وحده فلا يعرفه الا من يعرفه ، ويكون بين جميع الناس على اختلاف طبقاتهم وتباين أجناسهم .

ويروى عن السلطان الناصر محمد عندما حج فى سنة ١٣١٩/٥٧١٩ م وأستقبل الكعبة ألتفت الى أحد أمراءه وقال " لا زلت أعظم نفسى حتى رأيت البيت فذكرت تقبيل الناس الارضلى ، فدخل قلبى مهابة عظيمة لم تنزل حتى سجدت لله تعالى شكرا " وغسل السلطان الكعبة بنفسه وصار يأخذ أرز احرام الحجاج ويفلها لهم داخل البيت بنفسه ثم يدفعها لهم ، وتقدم اليه قاضى القضاء وحسن الله أن يطوف راكبا فان النبى صلى الله عليه وسلم طاف راكبا فقال " يا قاضى ومن أنا حتى أشبه بالنبى ؟ والله لا طفت الا كما يطوف الناس ، فطاف من غير أن يكون معه أحد ممن

(١) بركة الحاج أو بركة الجب : متنته بظاهر القاهرة من بحريها ، وكان ملاح الدين الايوبى يبرز اليها للصيد ، ويقام فيها الايام وفعل ذلك الملوك قبله وبعده ويسمى العامة فى زمن المقريزى - القرن الثامن للهجرة - بركة الحاج لنزول الحجاج بها بعد سيرهم من القاهرة ونزولهم اليها عند العودة ومنها يدخلون الى القاهرة ، ومن الناس من يقولون جب يوسف وهو خط ، وانما هى أرض جب عميره وعميره هذا هو ابن تميم بن جزء التجيبى نسبت اليه هذه الأرض فقليل لها أرض جب عميره . المقريزى : الخط ج ٢ ص ٢٨٢ الملوك ج ١ ص ٥٨ هامش ٢ الذهب المسبوك ص ٩٧ هامش ١

الحجاب . فصار الناس يزاحمونهم ويزاحمهم كواحد منهم حتى
قضى طوافه وسعيه . وكان قد بلغه أن جماعة من المفلـول
من حج قد أخفقى خوفا منه ، فأحضرهم وأنعم عليهم وبالسـ
في أكرامهم ، وفرق في أهل مكة مالا عظيما وأفاض التشاريـف
على أمرائها وأرباب وظائفها وأمير ينبع وأمير خـليص ،
وأجتمع عند السلطان من العربان ما لم يجتمع لملك قبلـة ،
وأمرأء مكة والمدينة وأشـرافها .

وجرى العربان على عاداتهم العربية من غير مراعاة
الآداب الملوكية وهو يحتملهم بحيث أن أحدهم وهو موسى
بن مهنا قال للسلطان " يا أبا على بـحياة هذه - ومد يده الى
لحية السلطان ومسكها - الا أعطيتنى الضيعة الفلانيـة ؟
فصرخ فيه الفخرناظر الجيش وقال " ارفع يدك قطع الله يـدك ،
والك تمديدك الى السلطان " فتبسم السلطان وقال " يا قاضي
هذه عادة العرب اذا قعدوا كبيرا فى شىء يكون عظمتـة عندهم
ملك ذقته - يعنى أنه قد استجار به ، فهو عندهم سنـة " فقام
الفخر مفضبا وهو يقول " والله ان هؤلاء مضاحيـن وسنتهم
أنحر منهم لا بارك الله فيهم " . وهذا ان دل على شىء
فإنما يدل على بساطة السلطان وتواضعه أثناء تأدية منامك
الحج .

ثم تتوجه للقافلة بعد ذلك الى المدينة المنورة لزيارة
ضريح النبي . ومن هناك يقدم المبعثرين^(١) يخبرون بسلامة
الحجاج وكثرة الامن والرخاء وقرب وصولهم وحسن سيرهم .

وعند عودة الموكب ينزل بركة الحاج . فيخرج الامراء
الى لقاءه بها فيمد سماء عظيم^(٢) . وبعد انقضاء السماء
يتوجه الركب في طريقه الى القلعة في موكب مهيب ترفلح
فيه الرايات العظيمة من الحرير الاصفر مطرزة بالذهب عليها
القاب السلطان واسمة وسائر دست السلطنة . وهم بالخلع
وعدد كبير من التشاريف منها الاطلس والكنجى^(٣) .

(١) قدوم المبعثر سابقا ليخبر بسلامة الحاج . كان منذ عهد
الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ومن
بعدهم ، وله حكمة لطيفة قل من يعرفها ، قال الحافظ
عماد الدين بن كثير في تاريخه عن قصة حصار عثمان
وامتداده حتى مضت ايام التشريق ، ورجع البشير من الحج
فأخبر بسلامة الناس ، وأخبر أولئك بأن أهل الموسم عارمون
على الرجوع الى المدينة ليكنفهم عن أمير المؤمنين .

وأخرج مالك في الموطأ أن رجلا من جهينة كان يشتري
الرواحل فيتغالي فيها ثم يجرع السفر فيسبق الحاج فافلس .
فرفع أمره الى عمر : فقال أما بعد ، أيها الناس ان الاسيقع
اصيقع جهينة رضى من دينه وأمانته أن يقال سبق الحاج
الأمانة أداها معرضا فأصبح وقد دين به فهدم . فمن كان عليه
دين فليأته بالقداء ، فقم ماله بين غرمائه ، ثم كمل الدين
وأخرج الخطيب البغدادي في تالى التلخيص من طريق عبد الملك
بن عمير عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ، قال تخرج الدابة
من جبل أجياد في أيام التشريق والناس يمشى ، قال : فلذلك
جاء سابق الحاج بخبر بسلامة الناس .

السيوطي : حسن المحاضرة ج ٢ ص ٢٢٠

(٢) السماء : المائدة ما يسط على الأرض لوضع الأطعمة وجلوس
الأكليين .

د . سعيد عاشور : العصر المالكي في مصر والشام ص ٤٢٦

(٣) الكنجى : القطنى وهو نسيج من الحرير والقطن كان يضع
بادى أمره في مدينة كتجة من اقليم ايران .

ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٦١ هامش ٢

وترين القاهرة ومصر رينة عظيمة ، ويكثر أرباب الملاهي من الطبول والزمور . ويجلس السلطان على تخت الملك لتلقى التهاني ، ويخلع على سائر الأمراء وأرباب الوظائف وأمراء العربات الخلع العظيمة ، فيكون يوما مشهودا . (١)

ومما يجدر ذكره في هذا المقام ما رواه المقرئ عيسى قافلة الحاج أيام الغاضيين بقوله " ان المنفق على الموسم كان في كل سنة تسافر فيها القافلة مائة وعشرين ألف دينار منها ثمن الطيب والطوى والشمع راتبا فلى كل سنة عشرة آلاف دينار ، ومنها نفقة الوفد الواطيين الى الحضرة أربعون ألف دينار ، ومنها فى ثمن الحمايات والمدقات وأجرة الجمال ومعونة من يسير من العمركية وكبير الموسم وخدم القافلة وحفر الآبار وغير ذلك ستون ألف دينار وأن النفقة كانت فى أيام الوزير البازورى قد رادت فلى كل سنة وبلغت الى مائتى ألف دينار ولم تبلغ النفقة على الموسم مثل ذلك فى دولة من الدول (٢) .

-
- (١) المقرئ : السلوك ج ٢ ص ١٩٥/١٩٦/١٩٧/١٩٨/٢٠٠/٢٠١
ج ٢ ص ٢٧٢/٢٧٣/٢٧٤/٢٧٥
الذهب المسبوك ص ١٠٠/١٠١/١٠٢/١٠٣/١٠٤/١٠٥/١٠٦
ابن تفرى بردى : النجوم الزهراء ج ٩ ص ٥٨/٥٩/٦١
(٢) المقرئ : الخطط ج ١ ص ٤٩٢
البثونى : الرحلة العجازية ص ١٤٤

امارة الحج

وكانت هناك وظيفة تتعلق بنظام الحج والاشراف على الحجاج في تنقلاتهم وقضاء مناسكهم وهي امرة الحج يتولاها من يسمى أمير الحج ، والامارة في معناها هي القيادة لما يتبعها من واجبات واعباء تقتضيها تلك الوظيفة . فرحلة الحج كان لها وجهها العسكري لما يتطلبه الامر من التغلب على المصاعب التي تواجه الحجاج في ذهابهم وايابهم نظرا لطول الطريق وخطورته ومشقة السير فيه فقد كان الامر لا يخلو من وجود قطاع الطرق مثلما حدث عندما خرج بعضهم على الحجاج بطريق المدينة المنورة وقتلوا منهم طائفة (١) . فكان على أمير الحج - نظرا لكثرة عدد الحجاج وتنوعهم - ان ينظم أمورهم ويكفل راحتهم ويحسم خلافاتهم ، من ذلك ما يرويه المقرئزي أنه سنة ٨١٠ هـ / ١٤٠٧ م قام أمير الحج عند رحيل الحجج من بركة الحاج بترتيبهم ليسيروا قطارين متحاذيين . وجعل الحاج ناسا بقدر ناس ، وكان الحجج يسيرون كيف شاءوا ، فاذا وصلوا مضيق وقف أمير الحجج بنفسه ليشرف على ميرهم فيسيروا قطارا أو قطارين بحسب الاصول حتى ينتهوا من المضيق بغير قتال ، ذلك أنه عندما تقل عناية أمراء الحج ويصير الناس في المضائق يفضي بهم الحال الى القتال واساله الدماء وكسر الاعضاء وغلبة الاقوياء على الضعفاء (٢) . كما كان أمير الحج يقوم ببعض

(١) المقرئزي : السلوك ج ٢ ص ٢٧٥

(٢) المقرئزي : السلوك ج ٤ ص ٥٣

الأعمال الأخرى ، من ذلك عندما أشتكى الشريف حسن بن عجلان أمير مكة في سنة ١٢٩٩/٥٨٠٢ م إلى أمير الحج المصري من الأمير بيق أمير الرجبية والمتحدث في عمارة الحرم وأن العبيد هموا بقتله لثقله عليهم ، فاستدعاه وأطلع بينه وبينهم ، وأقام بمكة ليم عمارة الحرم (١) .

ومن هنا تأتي أهمية إمارة الحج ، والمعروف أو ولاية أمر الناس من أعظم واجبات الدين ، بل لا يقام الدين ولا الدنيا إلا بها ، فإن الناس لا تتم مطلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم إلى بعض ، ولا بد لهم عند الاجتماع من كبير حتى قال النبي " إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم " . وقال عليه الصلاة والسلام " لا يحل لثلاثة يكونوا بفلاة من الأرض إلا أمروا عليهم أحدهم " . فأوجب تأمير الواحد في الاجتماع القليل المعارض في السفر ، فتعين بذلك التأشير على حجاج بيت الله الحرام شرعا وهم في الغالب جمع كثير (٢) .

وقد جاء في كتاب درر الخرائد أن أمير الحج في أواخر القرن العاشر - كان يعينه السلطان ليلة المولد النبوي الشريف ، فإذا ما اجتمع الأمراء لدى السلطان ليلة الثاني عشر من ربيع الأول ليمعوا القرآن ويحين وقت إدارة الشراب الحلال على الحاضرين ، يبدأ الساقى بالسلطان فيشرب من كوبه يسيرا ، ثم يأمر بالباقي إلى من يريده أميرا للحج ، فإذا ما أعطى الكوب عرف أنه الأمير ، فقام للسلطان شاكرا وعسرف

(١) المقرئزي : السلوك ج ٢ ص ٩٨٠

(٢) إبراهيم رفعت : مكة الحرمين ج ٢ ص ٢٩٦/٢٩٧

الحاضرون ، فقاموا للأمير مهنيين ، ومن ذلك الوقت يعدد عدته للسفر دون أن يكون له قانون معين يدير عليه ، ويساعده علي أداء عمله أصحابه ومحبوه فيقدمون له المال والغلال والهدايا . وللأمير في نفوس الناس مكانة سامية وجاه عظيم حتى كانوا يتقربون اليه بمراعاة خدمه وغلماته . والى جانب ذلك كان للأمير أعوان يساعدونه على القيام بما عهد اليه ، فمنهم الدوا دار ، وهو يتوب عن أمير الحج فن المسائل التي لا يتولاها بنفسه أو تكبر فيها المثقة كتسهيل الطرق والطواف على الحجاج ليلا أو نهارا اذا دعت الحاجة الى ذلك ، وتتبع اللصوص والمفسدين بأن يعين أحد شجعتان المسكر الذين عرفوا بالعقل والمرؤة والسياسة والفروسية والديانة .

ويعين السلطان " كاش ديوان امرة الحج " ووظيفته قيد مايرد لأمير الحج من الهدايا وغيرها . ومنهم العسس الذين يطوفون ليلا مع الحجيج يتعرفون الاخبار ويمنعون ماغاه يقع من النزاع (١) .

وأمير الحج عليه واجبات ذكرها الماوردي في كتابه الأحكام السلطانية فذكر أن الولاية على الحج ضربان : أحدهما ان تكون على تسيير الحجيج ، والثاني على اقامة الحج .

فأما تسيير الحجيج فهو ولاية سياسية وزعامة وتدير ، والشروط المعتبرة في الولي أن يكون مطاعا ذا رأى وكجاعة وهيبة وهداية حتى يستطيع أن يواجه المواقف الطارئة ويحكم الخلافات الناشئة ويسيطر على الاضطرابات المارفة . والذي عليه في حقوق هذه الولاية عشرة أشياء :

(١) ابراهيم زفعت : مرآة المرمين ج ٢ ص ٢٠١/٢٠٢

- ١ - جمع الناس في مسيرهم ونزولهم حتى لا ينفرقوا فيخاف عليهم التواضع والتفريغ .
- ٢ - ترتيبهم في السير والنزول بإعطاء كل طائفة منهم مقادا حتى يعرف كل فريق مقاده اذا صار ، ويألف مكانه اذا نزل فلا يتنازعون فيه ولا يضلون عنه .
- ٣ - يرفق بهم في السير حتى لا يعجز ضعيفهم ولا يضل عنقه منقطعهم .
- ٤ - أن يملك بهم أوضح الطرق وأخصبها ، ويتجنب أجدبها وأوعرها .
- ٥ - أن يرتاد لهم المياه إذا انقطعت والمراعى إذا قلت .
- ٦ - أن يحرسهم إذا نزلوا ويحوطهم إذا رحلوا حتى لا يختطفهم داعر^(١) ولا يطمع فيهم متليمص .
- ٧ - أن يمنع عنهم من يمدهم عن السير ويدفع عنهم من يحصرهم عن الحج بقتال أن قدر عليه أو ببذل مال أن أجساد الحجيج اليه ، ولا يسهه أن يجبر أحدا على بذل الخفارة^(٢) أن امتنع منها حتى يكون باذلا لها عفوا أو مجبيا اليها طوعا ، فان بذل المال على التمكين من الحج لا يجب .
- ٨ - أن يطلع بين المتشاجرين ويتوسط بين المتنازعين ولا يتعرض للحكم لهم اجبارا الا أن يفرض الحكم اليه فيعتبر فيه أن يكون من أهله فيجوز له حينئذ الحكم بينهم ، فإيما حكم نفذ حكمة ، ولو كان التنازع بين الحجيج وأهل البلد لا يحكم بينهم الا حاكم البلد .

(١) الداعر : الخبيث الشرير الذي يسرق ويؤذي الناس

(٢) الخفاره : المنعة والامان بإعطاء المال نظير لها

٩ - أن يقوم راعهم ويؤدب خائهم ولا يتجاوز التفريط الذي
الحد الى أن يؤذن له فيه فيستوفيه ان كان من أهل
الاجتهاد فيه .

١٠ - أن يراعى اتساع الوقت حتى يؤمن الغوات ، ولا يلجئهم
ضيقة الى الحث في السير ، فاذا وصل الى الميقات
أمهلهم للاحرام واقامة سننه ، فان كان الوقت متساعا
عدل بهم الى مكة ليخرجوا مع أهلها الى المواقف ، وان
كان الوقت ضيقا عدل بهم عن مكة الى عرفة خوفا من
شواتها فيفوت الحج بها .

ثم يكون في عوده بهم ملتزما فيهم من الحقوق ما التزمه
في صددهم حتى يصل بهم الى البلد الذي سار لهم
فتنقطع ولايته عنهم بالعود اليه . (١)

(١) الماوردي : الاحكام السلطانية ص ٩٣/٩٤/٩٥

المحمل وخروجه

المحمل أعواد من خشب على شكل اليهودج ، شكله مربع ذو سقف يأخذ في الارتفاع من الجوانب الى الوسط الذى فيه قائم ثم ينتهى بهلال . وفى العادة يسدل على ذلك الهيكل الخشبى كسوة قد تكون من الحرير أو من غيره ، ويوضع أثناء السفر على ظهر جمل . وقد جاء فى كتاب الكثر المدفونون للسيوطي : أن أول من أحدث المحامل فى طريق مكة هو الحجاج بن يوسف الثقفى . وكان يطلق على الجمل الذى يحمل الهدايا الى الكعبة المكرمة . وقد يرسل الله محملا الى الكعبة بهداياه الى البيت المعظم . (١)

والمحمل المصرى من قديم الزمان تصحبه كسوة الكعبة (٢) وما يلزم الحرمين والصدقات التى توزع على فقرائها .

والمحمل يوم خروجه من مصر احتفال كبير وشأن عظيم منذ أيام الدولة الايوبية ، وكانت مرتبة أميره فى المرتبة الثالثة من مراتب الدولة خاصة فى عهد المماليك حيث كان يلى نائب السلطنة وله رأى مسموع وكلمة محترمة ويتولى وظيفته بأمر السلطان وله المكانة العالية والكلمة النافذة فى بلاد الحجاز وكثيرا ما كان يصدر أوامره بعزل وتولية أمراء مكة . (٣)

(١) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ٢ ص ٣٠٤

البتنونى : الرحلة الحجازية ص ١٤٠

(٢) عن كسوة الكعبة ، انظر الفصل التالى

(٣) البتنونى : الرحلة الحجازية ص ١٤١/١٤٤

والاحتفال بخروج المحمل يتم فى السنة مرتين وهوما يسمى بدوران المحمل ، وأول من أحدث ذلك بالديار المصرية السلطان الظاهر بيبرس فى أيامه طيف بالمحمل وهكسوه الكعبة المشرفة بالقاهرة سنة ٦٧٥هـ / ١٢٧٦م^(١) ولم يعهد ذلك من قبل .

وخروج المحمل فى المرة الأولى يكون بعد منتصف شهر رجب والثانية فى نصف شوال ، ويكون دورانه فى يوم الاثنين أو الخميس دون باقى الأيام ، وينادى لأصحاب الحوانيت التى فى طريق دورانه بتزيين حوانيتهم قبل ذلك بثلاثة أيام ، ويوضع المحمل على جمل وهو فى هيئة لطيفة وعليه غشاء من حرير أبيض أصفر بأعلاه قبة من فضة مطلية ، ويبقى فى ليلة دورانه داخل باب النصر بالقرب من باب جامع الحاكم ، ويحمل بعد الصبح على نفس الجمل^(٢) ويمير إلى باب القلعة حيث يبدأ مركب دورانه ، ثم يتوجه الوزير والقضاة الأربعة ووكيل بيت المال والمحتسب وأعلام الفقهاء وأرباب الوظائف وناظر الكسوة وغيرهم إلى القلعة فيخرج إليهم المحمل على الجمل وأمامه الأمير المعين لحفر الحجاز ومعه عمـكـره والسقائين على جمالهم ، ويركب جماعة من المماليك السلطانية من الرماحة مرتدين المصفات الحديد المفشاة بالحرير الملون وخيولهم عليها البركستوانات^(٣) والوجوه الفولاذ كما فى

(١) السيوطى : حسن المحاضرة ج ٢ ص ٨٨

المقريزى : الذهب المسبوك ص ١١

على مبارك : الخطط التوفيقية ج ١ ص ٢٩

(٢) القلقشندى : صبح الاعش ج ٤ ص ٥٧

(٣) بركستوان : ما يوضع حول بدن الفرس كالدرع ويمسـى (بركسطوان)

د. سعيد عاشور : العصر المماليكى فى مصر والشام ص ٢٩٦

القتال وبأيديهم الرماح فيلقبون تحت القلعة كما في حالة الحرب . ومثلهم جماعة صفار بين كل منهم رمحان يديرهما في يده وهو واقف على ظهر الفرس ، وربما كان وقوفه في نعل من خشب على ذباب^(١) سيفين من كل جهة وهو يفعل كذلك^(٢) . ويجتمع لذلك أصفاف الناس من رجال ونساء ثم يطوفون بالمحمل شوارع القاهرة والحدادة يحدون أمامهم والطبلخانات^(٣) والكومات^(٤) السلطانية تضرب خلفهم ، ثم يعود الى القلعة ثم يحمل الى جامع الحاكم ويوضع في مكان هادئ حتى شهر شوال حيث يتم دورانه الثاني في النصف منه ، وبعد انتهاء دورانه هذه المرة يتخذ طريقه الى مكة^(٥) .

ومما يجدر الاشارة اليه أنه في سنة ٨٢٨هـ / ١٤٣٤م أثناء حكم السلطات برسباى كان دوران المحمل بمصر والقاهرة في الثامن من شهر رجب واستمر ذلك في عهد هذا السلطان .^(٦)

وأثناء هذا الاحتفال تزين شوارع القاهرة ويكثر^(٧) الناس البيوت والحوانيت والسطوح ليشاهدوا المحمل واحتفال خروجه ودورانه .^(٨)

- (١) ذباب السيف : طرفه وحيد
- (٢) لعبت مماليك الملك المنصور قلادون بالرمح والسلاح ، وهو أول ما وقع بالديار المصرية في عهده .
السيوطي : حسن المحاضرة ج ٢ ص ٢١٠
- (٣) الطبلخانات : من يدقون بالطبول
- (٤) الكومات : مقرها كومة وهي صنوجات من نحاس تشبه الترس الصغير يدق باحدها على الآخر بايقاع مخصوص .
د. سعيد عاشور : العصر السماليكي في مصر والشام ص ٤٤٥
- (٥) القلقشندي : صبح الاعشى ج ٤ ص ٥٨
- ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ٢٦
- (٦) المقرئزي : السلوك ج ٤ ص ٩٤٠
- (٧) يكثرى : من الكراء وهو أجر المتأجر ، والممراد يتأجرون البيوت وغيرها .
- (٨) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ١٢

ومما يلفت النظر ما جرت عليه عادات الناس أثناء دوران المحمل وهو احضارهم أولادهم الرضع ليروا المحمل ويلمسوه فيبارك لهم في ذريتهم ، وكانوا إذا لم يستطيعوا لمسهم قذفوا بفناديلهم إلى خدام المحمل بعد أن يصفوا فيها بعضا من النقود أو يملئوها باللحوم البيضاء أو القطير ، فيأخذ الخدم ذلك منها ويردونها إلى أربابها بعد امرارها على المحمل . والذي دعا العامة إلى ذلك ما يعلمونه من أن المحمل يوضع داخل المسجد الحرام ، كما يوضع في المقصورة حول قبر الرسول ، فيريدون التبرك بمحمل يزور الأماكن المقدسة^(١).

وكان للمحمل فيما مضى قاضي يفصل بماتقضى به الشريعة الإسلامية فيما يجد من الحوادث بين الحجاج ، وكان يتولى هذه الوظيفة في أيام المماليك الجراكمة (٧٨٤ - ٩٢٣هـ ١٣٨٢ - ١٥١٦ م) قاضي من قضاة المذاهب الأربعة يعينه قاضي قضاة مذهبه بناء على طلب أمير الحج^(٢).

ولقد بلغ من اهتمام ملوك مصر بالاحتفال بالمحمل أنهم أمروا جميع حكام البلاد التي يمر عليها المحمل في طريقه بأن يقبلوا خف جمل المحمل عند استقباله ، وما زال أمراء مكة يقبلونه أيضا في استقبالهم له إلى أن أعفاهم من ذلك السلطان جقمق سنة ٨٤٣هـ / ١٤٣٩م . فكان إذا وصل المحمل إلى ظاهر مكة خرج أميرها لملاقاته ، فإذا وافاه خرج من عن فرسه وأتى الجمل الحامل للمحمل فقلب خف يده وقبله خدمة لصاحب مصر^(٣).

-
- (١) إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ١٣
 (٢) إبراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ٢ ص ٣٠١
 (٣) القلشندى : صح الأعشى ج ٤ ص ٢٧٧

وفي أيام وجوده بمكة يوضع فيما بين باب النبی وباب السلام بكموته اليومية^(١)، فيكون هناك مزارا للناس على اختلاف أجناسهم ولا ينقلونه من هذا المكان الا في مواكبهم الرسمية وعند سفرهم الى المدينة المنورة .

وعند وصول المحمل الى المدينة يدخلها باحتفال كبير من باب المنبرية حتى اذا وصل الى الباب المصري ترجل كل من في موكبهم اجلالا لمقام الرسول الكريم ، فاذا وطوا الى باب السلام أتى شيخ الحرم واستلم زمام الجمل وأصعده على سلم الباب وأناخه على تلك الصدفه الواسعة ، وهناك يرفع المحمل ويوضع في مكانه من الحرم غربي المنبر الشريف ، وترفع كموته المزركشة ويلبسونه الكوة الخضراء ، ويلبسون أمير الحج ومن معه لباس الخدمة في الحجرة الشريفة (وهو عمامه وفرجيه بيضاء مشدود عليها حزام أبيض) . ثم يحملون كوة المحمل بكل تواضع واحترام ويدخلونها في الحجارة الشريفة ، ولإتزال الكوة بالحجرة الشريفة حتى تخرج يوم سفر المحمل من المدينة . ويوكون بها في يوم خروجه من المدينة كما كانت الحال في يوم دخوله .^(٢)

وقد روى ابن التاجر في تاريخ المدينة المنورة عن حسين بن مصعب أنه أدرك كوة الكعبة يؤتى بها المدينة قبل أن تصل الى مكة فتنتشر على الرضراض^(٣) في مؤخر المسجد ثم يخرج بها الى مكة وذلك في سنة ١٣١ أو ١٣٢ هـ^(٤).

(١) للمحمل المصري كموتان : كموته اليومية وهي من القماش الأخضر ، وكموته المزركشة ويلبسها في المواكب الرسمية .

البيتوني : الرحلة الحجازية ص ١٤٢

(٢) البيتوني : الرحلة الحجازية ص ١٤١ / ١٤٤

(٣) الرضراض : الحصى الذي لا يثبت على الأرض

(٤) القلقشندي : صبح الإمشى ج ٤ ص ٢٧٧

وعند عودة المحمل يحتفل بقدومه رسميا احتفالا كبيرا ،
واستمر ذلك بمصر الحديثة ، ومن عاداتهم عمل أحواض كبيرة
من الماء المحلى بالسكر يشرب منها الفادون والرائحون
مدة ثلاثة أيام وهي عادة قديمة جدا أخذوها عن السلف (١)

(١). البتورنى : الرحلة الحجازية ص ١٤٤

كسوة الكعبة

كان العرب يقدسون الكعبة في الجاهلية والاملام ، وعملوا على تجميلها وكسوتها بالاقمشة المختلفة ، فكسيت في الجاهلية الانطاع^(١) ، وأول من كساها أبعد أبو بكر ملك حمير حين مر عليها راجعا من غزوته ليثرب سنة ٢٢٠ قبل الهجرة وبعد أن رأى في منامه أن يكسوها ، فكساها بالبرود المقصصة وعمل لها بابا ومفتاحا .

ولما بنت قريش الكعبة استترفدهم بناؤها لكسوتها ، فعملوا لها كساشى من أنواع الثياب ، كلما جاءت كسوة طرحت على سابقتها ، ولم تزل قريش تكسو الكعبة حتى كان زمن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله المخزومي وكان ثريا فقال " أنا أكسو الكعبة وحدي سنة وجميع قريش سنة " فكان يفعل ذلك حتى مات . فسمته قريش العدل لأنه عدل فعلمه يفعل قريش في كسوة الكعبة .^(٢)

حتى كان عهد النبي فكساها بالثياب اليمانية ، فلما ولي عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان كان طيعية أن يتجهوا الى مصر لتمدهم بهذه الكسوة ، فكتب الخليفتين الى مصر لتحياك فيها كسوة الكعبة من بيت المال ، فكسيت بالقباطي المصرية^(٣) ،

(١) الانطاع : جمع نطع وهو الجلد

(٢) القلقشندى : صبح الاعشى ج ٤ ص ٢٧٧ / ٢٧٨

ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ٢ ص ٢٨١

البتشوني : الرحلة الحجازية ص ١٣٤

(٣) القباطي : جمع قبطية بالضم وهو ثوب من ثياب مصر رقيق أبيض وكانه منسوب الى القبط .

المقريزي : الذهب المسبوك ص ٤٣ هامش ١

ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ٢ ص ٢٨٢ هامش ١

محمد عبد العزيز مرزوق : كتاب الزخرفة المنسوجة في

الاقمشة الفاطمية ص ١٦

وكساها عبد الله بن عمر بما كان يجلب به بدنه من القباطي
والحبرات والافساط . (١)

أما معاوية بن أبي سفيان فقد كساها كسوتين : كسوة
عمر القباطي ، وكسوة ديباج . فكانت تكسى الديباج يوم
عاشوراء وتكسى بالقباطي في اليوم التاسع والعشرين من
شهر رمضان . (٢)

وروى الواقدي عن اسحق بن عبد الله أن الناس كانوا
ينثرون كسوة الكعبة ويهدون اليها البلطن^(٣) عليها الحبرات ،
فيبعث بالحبرات الى البيت كسوه ، فلما كان يزيد بن معاوية
كساها الديباج الخسرواني ، وكذلك فعل بن الزبير ، فكان
يبعث الى أخيه ممعب بن الزبير بالكسوة كل سنة لتوضع
عليها يوم عاشوراء .

أما عبد الملك بن مروان فكان يبعث في كل سنة بالديباج
من الشام فيمر به على المدينة ، فينشر يوما في مسجد
الرمول ثم يطوى ويبعث به الى مكة . (٤)

(١) الافساط : جمع فط وهو نوع من البساط

(٢) المقرئزي : الذهب المسبوك ص ٤٣ هامش ١

القلقشندي : صبح الاعشى ج ٤ ص ٢٧٩

ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ٢ ص ٢٨٢

(٣) بطن ويكن مفردا البدنة ، من الابل واليقر كالأضحية من
الغنم تهدي الى مكة الذكر والانثى في ذلك حواء ، سميت بذلك
لانهم كانوا يسمونها ، وفي القرآن الكريم " والبدن جفناها
لكم من معاشر الله "

المقرئزي : الذهب المسبوك ص ٩ هامش ٥

(٤) القلقشندي : صبح الاعشى ج ٤ ص ٢٧٩

ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ٢ ص ٢٨٢

البتنوني : الرحلة المجازية ص ١٣٤

وجاء العباسيون فكانوا يبذلون في العناية بكمسوة
الكعبة ويهتمون بها اهتماما رائدا . ففي سنة ١٦٠هـ/٧٧٦ م
حج الخليفة العباسي أبو عبد الله محمد المهدي ، فذكر له
الحدث أن كساوى الكعبة كثرت عليها والبناء ضعيف يخشى
عليه من ثقلها ، فأمر بتجريدها والاكتفاء بالكسوة الجديدة ،
وهذا يشير إلى أن الكسوات القديمة لم تكن تنزع عن
الكعبة حتى عهد المهدي . (١)

(١) القلقشندي : صبح الاعشى ج ٤ ص ٢٧٩
المقريزي : الذهب المسبوك ص ٤٣ هامش ١
ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ٢ ص ٢٨٣

وكانت كموة الكعبة توضع في دور الطراز بالمدن المصرية وخاصة تنيس^(١) وشطا^(٢) وتونة^(٣) ودمياط . وقد روى الفاكهي في أخبار مكة أنه رأى بعض هذه الكسوات وعليها نصوص تفيد أنها صنعت بهذه الدور ، فعنها ما صنع في عهد المهدي . قال " رأيت كموة من قباطي مصر مكتوبها عليها " باسم الله

(١) تنيس : كانت من أجل المدائن بالقرب من دمياط ، وكان طول مدينة تنيس من الجنوب إلى الشمال ثلاثة آلاف ذراع ومائتي ذراع ، وكان عرضها من الشرق إلى الغرب ثلاثة آلاف ذراع وخمسة وثمانين ذراع ، وكان لها تسعة عشر بابا مصفحة بالمديد وكان بها نحو مائة وستين مسجدا ، وبكل مسجد منارة ، وكان بها ست وثلاثون حماما ، وبها أيضا معصرة للزيت والسيرج والقص ، وكان بها من الناس القماش نحو خمسة آلاف متسع يصنعون به الثياب الريفية التي لا يصنع مثلها في الدنيا ، وكانوا ينسجون بها أثوابا تسمى البندى تنسج بالذهب صناعة محكمة يباع الثوب منها بمقدار مائة دينار يحمل منها إلى بغداد ، وكان يعمل طرز من الكتان بغير ذهب يباع كل طراز منها بمائة دينار وهو بغير ذهب . ولم تزل مدينة عامرة إلى سنة ٥٧٣ هـ / ١١٧٧ م حتى جاء إليها نحو أربعين مركبا موسوقة جماعة من الفرنجة فحاصروها ، فلما أشرفوا على أهل القدينة هرب أهلها إلى دمياط وتركوا المدينة فاستولوا عليها الفرنج وملكوها ونهبوا ما فيها ، ثم ألغوا فيها النار فتأخرت كلها ، وأخذوا ما قدروا عليه من الغنائم وتركوا المدينة خرابا ورملوا عنها واستمرت على ذلك إلى سنة ٦٢٤ هـ / ١٢٢٦ م في دولة الكامل محمد الأيوبي ، فأمر بهدم ما بقي من سورها وبيوتها واستمرت خرابا من يومئذ إلى الآن .

انظر : ناصر خسرو : سفرنامه
(٢) شطا : مدينة عند تنيس ودمياط وإليها ينسب الثياب الشطوية كما كانت توضع بها كموة الكعبة ، ويقال أنها عرفت بشطا بن الهاموك ، وكان أبوه خال المقوقس عاملا على دمياط

المقريزي : الخطط ج ١ ص ٣٦٥
(٣) تونة : كانت من جملة عمل تنيس يعمل بها طراز تنيس ، ويصنع بها من جملة الطراز كموة الكعبة .
المقريزي : الخطط ج ١ ص ٢٩٣

من بركة الله ، مما أمر به عبد الله المهدي محمد أمير المؤمنين - أطاحه الله - محمد بن سليمان أن يصنع من طراز تنيس كموة الكعبة على يد الخطاب بن مسلمة عامله سنة ١٥٩ هـ . وقال رأيت كموة من كما المهدي مكتوبا عليها " باسم الله بركة من الله لعبد الله المهدي محمد أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه - مما أمر به اسماعيل بن ابراهيم أن يصنع في طراز تنيس على يد الحكم بن عبيدة سنة ١٦٢ هـ .^(١) وقال " رأيت أيضا كموة لهارون الرشيد من قباطي مصر مكتوبا عليها " باسم الله بركة من الله للخليفة الرشيد عبد الله هارون أمير المؤمنين - أكرمه الله - مما أمر به الفضل بن الربيع أن يعمل في طراز ثونه سنة ١٩٠ هـ .^(٢)

وقال : " رأيت فيها كموة من كما أمير المؤمنين هارون الرشيد من قباطي مصر مكتوبا عليها " باسم الله بركة من الله لعبد الله هارون أمير المؤمنين - أطال الله بقاءه مما أمر به الفضل بن الربيع مولى أمير المؤمنين بصنعه في طراز شطا كموة الكعبة سنة احدى وتسعين ومائة^(٣) وقال

-
- (١) المقرئى : الخط ج ١ ص ٢٩٢
الذهب المسوك ص ٤٢ هامش ١
البتونى : الرحلة الحجازية ص ١٣٥ / ١٣٦
(٢) المقرئى : الخط ج ١ ص ٢٩٣
الذهب المسوك ص ٤٤ هامش ١
(٣) المقرئى : الخط ج ١ ص ٣٦٥
الذهب المسوك ص ٤٤ هامش ١
البتونى : الرحلة الحجازية ص ١٣٦

رأيت كسوة مما يلي الركن الغربي من الكعبة مكتوبا عليها
" مما أمر به السرى بن الحكم وعبد العزيز بن الوزير الجوى
بأمر الفضل بن سهل دى الرياستين وظاهر بن الحسين سنة
سبع وتسعين ومائة . ورأيت شقة من قباطى مصر فى وسطها
الا أنهم كتبوا فى أركان البيت بخط دقيق أسود " مما أمر
به أمير المؤمنين المأمون سنة ست ومائتين . (١)

أما عن كسوة الكعبة فى العصر الفاطمى فكانت مربعة
الشكل من ديباج أحمر ، وسعتها صاغة وأربعة وأربعون شبرا ،
وكان فى حافاتهما اثنا عشر هلالا ذهبيا فى كل هلال أترجسه
ذهبية ، وفى داخل كل منها خمسون درة تشبه بيض الحمام فى
الكبر ، كما كان فيها الباقوت الأحمر والأصفر والأزرق ، وقد
نقش فى حافاتهما الآيات التى وردت فى الحج بحروف الزمرد
الأخضر وزينت هذه الكتابة بالجواهر الثمينة ، وكانت هذه
الكسوة معطرة بمسحوق المسك . (٢)

وفى عهد سلاطين المماليك ، قام هؤلاء بدورهم كاملا
بتجهيز الكعبة وإرسالها الى الكعبة . من ذلك عندما عزم
السلطان الناصر محمد على للحج سنة ٧١٩ هـ / ١٣١٩م تقدم الى
كريم الدين عبد الكريم ناظر الخاص بتجهيز ما يحتاج اليه
والمفر الى الاسكندرية لعمل ثياب أطلس يرسم كسوة الكعبة (٣)
الى جانب إرسال مرتبات القاضى والخطيب والائمة والمؤذنين
والفراشين والقومة ، وما يحتاج اليه الحرم الشريف من الشمع
والزيت فى كل سنة . (٤)

(١) المقرئى : الذهب المسبوك ص ٤٣ هامش ١
الخطوط ج ١ ص ٢٩٢

البستونى : الرحلة الحجازية ص ١٣٥ / ١٣٦

(٢) د. حسن إبراهيم حسن : الفاطميون فى مصر ص ٢٣٥

(٣) هذا نص هام يدل على أن دور الطراز بالاسكندرية بدأت فى
عهد الناصر محمد تصنع كسوة الكعبة .

المقرئى : الذهب المسبوك ص ١٠٠ هامش ١

(٤) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ١٠٦

أما الملك الصالح اسماعيل بن الملك الناصر محمد بن قلاوون (٧٤٦/٧٤٣ هـ - ١٣٤٥/١٣٤٢ م) فقد أوقف الأوقاف فاشترى من بيت المال قرى باحوس وسنديس واهي الفيسط من قرى القليوبية ووقفها على كسوتى الكعبة والحجيرة النبوية الشريفة .

وفى عهد السلطان برقوق (٧٨٤/٨٠٢ هـ - ١٣٨٢/١٣٩٩ م) كانت كسوة الكعبة تنعج بالقاهرة بمشهد الحسين من الديباج الاسود مطرزة بكتابة بيضاء من نفس النسيج فيها " ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مبارك " .

وفى سلطنة الناصر فرج برقوق غير الطراز واستقرت الكتابة مفراة مشعرة بالذهب ثم جعل بعض جوانب الكسوة ديباجا اسود مكتوب فيها باللون الابيض " لا اله الا الله محمد رسول الله " . ثم جعل بعد ذلك ستارة باب الكعبة وتسمى " البرقع " من حرير اسود منشورا عليه المخايش الفضة الملبسة بالذهب^(١)

ومما هو جدير بالذكر أن كسوة الكعبة فى العصر المملوكى جاءت بمشابة اعلان لحماية مصر وحكامها على الحجاز . وقد اراد شاه رخ بن تيمور لذك أن ينتزع من ملاطين المماليك مبدأ كسوة الكعبة ، وأرسل لهم عدة طلبات بذلك ، فأرسل الى السلطان برصباى سنة ٨٣٢ هـ / ١٤٢٩ م يرجو السماح لنفسه بكسوتها ، ولكن السلطان وقف منه موقفا عنيدا . ومن الواضح أن برصباى والمماليك خشوا أن يكون وراء طلب شاه رخ اطماع يريد تحقيقها فى الشام والمجاز ، ولاسيما أن حماية الحرمين كانت من الحقوق التى أستاذر بها

(١) القلقشندي : صح الاعش ج ٤ ص ٢٨١/٢٨٢

حلاطين المماليك وأضفت عليهم صفة شرعية دون بقية حكام المسلمين. (١)

وعندما تولى الظاهر جقمق عرش السلطنة سنة ١٤٢٨/٨٨٤١م اتبع سياسة معتدلة في علاقتة مع شاه رخ فسمح له بكموه الكعبة سنة ٨٤٧/١٤٤٢م بشرط أن تكون الكموه من الداخل فقط أو تحت كوة السلطان ، وقد بادر شاه رخ بأرسال سفارة تحمل كوته للكعبة ، وإن كان العوام وبعض طوائف المماليك لم يرضوا على ذلك الوضع فاعتدوا على أعضاء البعثة القادمة بالكوة . ومن الواضح أن المسلمين لم ينسوا للمفول ما فيهم بالاعتداء الآثم عليهم وعلى الخلافة العباسية ، لذلك كان استياء المسلمين من فكرة قيام أحد حكام المفول بكموة الكعبة . وربما أدى احساس السلطان جقمق بهذا الشعور الى نزع كوة شاه رخ سنة ٨٥٦/١٤٥٢ م وبقيت للكعبة كوة سلطان المماليك . (٢)

وقد اشترى السلطان سليمان بن سليم خان عده قرى بمصر أضافها الى القرى التي وقفها الملك الصالح وهذه القرى هي :

- ١ - سلطنة
 - ٢ - قريش الحجر
 - ٣ - حجام
 - ٤ - منية الثمارى
 - ٥ - بطاليا (٣)
 - ٦ - منايل وكوم ريجان
 - ٧ - منيرة
- ولم تزل موقوفة على ذلك حتى حل وقفها محمد على باشا في أوائل القرن الثالث عشر الهجرى وتعهدت الحكومة بوضع

(١) د. سعيد عاشور : الأيوبيين والمماليك في مصر والشام

ص ٣١٤ / ٣١٥

(٢) د. سعيد عاشور : الأيوبيين والمماليك في مصر والشام

ص ٣١٦

(٣) انظر نص الوقفية بكتاب مرآة الحرمين ج ٢ ص ٢٨٥ الى

الكسوة من مالها الخماس (١).

ويتمتع الكسوة ستارة باب الكعبة من خارجها ، وستارة باب التوبة من داخلها ، وكيس مفتاح بيت الله الحرام ، وكسوة مقام الخليل ابراهيم عليه السلام ، وستارة باب منبر الحرم الشريف .

وعند اتمام عمل الكسوة يقام لها موكب عظيم في منتصف شهر ذي القعدة من المكان المعروف بمصطبة المحمل الى مسجد سيدنا الحسين رضى الله عنه حيث يلتمها مأمور تثقيبها الى المحمل (٢) . ويعقد لهذا الغرض مجلس بحضور نائب قاضى مصر وأمير الحج ويكتب إشهاد شرعى (٣) وهو أثر تاريخى يعرف منه القارئ تفاصيل الكسوة وما دشها ، وهى لا تختلف فى سنة عنها فى أخرى الا فى جودة ماتصع منه .

ويرسل مع الكسوة غلايتان من الثحاس مملوءتان بماء الورد الثقيل لغسل الكعبة .

وفى مكة تلم الكسوة للقائم بسدانة الكعبة بإشهاد شرعى يخضره العلماء والكبراء ، فتبقى فى منزله الى صباح يوم عيد الاضحى ، فيؤتى بها على أعناق الرجال وتعلق على الكعبة بعد انزال الكسوة القديمة ، ويكون المسجد عادة خاليا من الناس لأن سوادهم يكون يمنى . (٤)

-
- (١) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ٢ ص ٢٨٤
البتونى : الرحلة الحجازية ص ١٣٦
(٢) المحمل : من فى عهدته المحمل والكسوة
(٣) انظر نص الاشهاد بكتاب مرآة الحرمين ج ١ ص ٧ و ٨
(٤) ابراهيم رفعت : مرآة الحرمين ج ١ ص ٧
البتونى : الرحلة الحجازية ص ١٣٨ / ١٣٩

أما الحجرة النبوية فليس لها كموة سنوية كما في كموة الكعبة ، بل كلما بليت كموة جددت أخرى ، ويقع ذلك كل سبع سنوات تقريبا وذلك أنها مصنوعة من الشمس . وقد حكى ابن النجار في " تاريخ المدينة " أن أول من كسا الحجرة الشريفة الثياب هو الحسين بن أبي الهيجاء صهر الصالح طلائع بن رزيق وزير العاضد آخر الخلفاء الفاطميين عمل بها ستارة من الديبقي (١) الأبيض عليها الطرز والجامات (٢) المرقومة بالابريس (٣) الأصفر والأحمر مكتوب عليها سورة يس بأكملها ، ثم بعث الخليفة العباسي المستضيء بأمر الله ستارة من الابريس البنفسجي عليها الطرز والجامات البيضاء المرقومة وعلى أطراف جاماتها مرقوم " أبو بكر وعمر وعثمان وعلي " . وعلى طرازها اسم الامام المستضيء بالله . ثم عمل الناصر لدين الله في خلافته ستارة أخرى من الابريس الأسود فعلقت فوق تلك . ثم عملت أم الخليفة الناصر بعد حجها ستارة على شكل ستارة ابنها المتقدمة ، فعلقت فوق التارتين السابقتين .

ولم يزل الخلفاء في كل سنة يرسلون ثوبا من الحرير الأسود عليه علم ذهب يكسى به المنبر . ولما كثرت الكسوة عندهم أخذوها فجعلوها ستورا على أبواب الحرم ، ولم يزل الأمر على ذلك حتى سقطت الخلافة العباسية ، فتولى ملوك الديار المصرية ذلك مع كسوة الكعبة وآخر من عملها الملك الظاهر برقوق (٤) .

-
- (١) الديبقي : نسبة الى ديبق من أعمال مصر تقع بين الفرما وشبين ، وقد اشتهرت بما كان يصنع فيها من الملابس .
د. حسن ابراهيم حسن : النشاطيون في مصر ص ٢٣٩ هامش ١
(٢) الجامات : علامات أو أشكال معينة مطرزة يوشى بها الثوب
(٣) الابريس : نوع من الحرير
(٤) القلقشندي : صبح الاعشى ج ٤ ص ٣٠٢ / ٣٠٤

طريق الحج

أولا : طريق ميناء والقلزم
ثانيا : طريق قوص وعيذاب

امتازت مصر بشواطئها الشرقية الطويلة الممتدة على البحر الأحمر ، وقد حباها الله بهذا الموقع الاستراتيجي أن تكون حمزة الوصل بين جيرانها سكان الجزيرة العربية ، ثم بلاد الهند والصين عبر المحيط الهندي . ويستدل على ذلك بقول المقرئ في وصف مصر اذ يقول " فرقة الدنيا يحمل خيرها الى ماسواها ، فساحلها بالقلزم ^(١) يحمل منه الى الحرمين وجدة واليمن والهند والصين وعمان والسند ^(٢) " .

وبحر القلزم هو الاسم العربي المعروف للبحر الاحمر ، واشتق الاسم من الاسم القديم clusma بالقرب من المويس ويسمى هذا البحر أيضا بحر الحجاز ، كما يسمى أيضا بحر اليمن وربما هذا يطابق الجزء الجنوبي من البحر الاحمر فقط ^(٣) .

(١) القلزم : موقع على البحر الاحمر قرب مدينة السويس الحالية ، وكان فرقة مصر والشام ومنه تحمل المتاجير الى الحجاز واليمن ، ثم أنه أصبح خرابا زمن ياقوت فتحول طريق الحجاج والتجارة الى موقع السويس .

المقرئ : الملوك ج ١ ص ٧٨

ياقوت : معجم البلدان ج ٤ ص ١٦١/١٥٨

(٢) المقرئ : الخط ج ١ ص ٢٨

د. أحمد مختار العبادي : البحرية الاسلامية في مصر والشام ص ٢٥٢

(3) Article Bahr of kulsum by : Becker and Reckingham
(in enc. of islam).

ويتشعب البحر الأحمر في شماله الى شعبتين منفرجتين هما خليج العقبة وخليج السويس ، ويبلغ طوله من القلزم حتى باب المندب نحو ٢٢٤٠ كيلو متر ، كما يبلغ عرضه فسى أوسع نواحيه ٢٥٠ كيلو متر . أما تسميته بالاحمر فهذا يرجع الى زمن الاغريق الذين سموه بهذا الاسم نسبة الى لون الشعب المرجانية الحمراء التى تكثر فيه . (١)

وقد أدى البحر الأحمر دورا هاما فى نقل الحجاج والبريد نظرا لاهتمام الخلافة الاسلامية بتأمين سلامة الحجاج وعمارة الطرق التى يسلكونها وتوفير الراحة فيها .

واهتم حكام مصر بمنطقة البحر الأحمر وأسموا سياسة تقليدية شابتة تقوم على تأمين وضمان سلامة الحجاج ، وكثيرا ما دافعتها تلك السياسة فى فترات قوة لاطينها الى التدخل عسكريا فى حكم تلك البلاد . (٢)

(١) د. أحمد مختار العبادى : البحرية الاسلامية فى مصر والشام ص ٢٥٣
(٢) د. أحمد مختار العبادى : البحرية الاسلامية فى مصر والشام ص ٢٥٩

وقد أصبحت سيناء - القلزم طريقا للحجاج بعد إصلاح الطريق وعمارته من مصر الى أيلنة (١) ثم الى المدينة المقدسة ، وهي مسافة قريبة يكون البحر منها يمينا وجبل الطور ياراً (٢) فكان الحجاج المصريون يسافرون في خليج أمير المؤمنين (٣) الى القلزم ومنها يركبون البحر الأحمر

(١) أيلنة بلدة قديمة جدا سميت بأيلة بنت مدين بن ابراهيم أول جد الحجاز وكانت مدينة جليلة عامرة منذ زمن مدين على ساحل البحر بها التجارة الكثيرة وأهلها خليط من الناس ، وكانت في مدة سليمان بن داود مينا كبرى للمراكب الواقعة الى الشام من اليمن والهند وفارس ولما أتى النبي الى غزوة تبوك في السنة التاسعة للهجرة أنشأه بن ربيعة صاحبها وصاحبه وأعطاه الجزيرة ، وكانت في الامام منزلا لبنى أمية وأكثرهم موالى عثمان بن عفان وكانوا سفنة الحاج . وفي سنة ٥٦٦ هـ استولى الفرنجة عليها في الحروب الملية ولكن صلاح الدين أخذها عنوة وطردهم منها ، وهي الآن قرية صغيرة في أيدي عرب الحويطات ، وفيها قلعة بناها السلطان مراد الرابع وعدد سكانها قليل وفيها نخيل وأشجار وماؤها حلو ويزرع بها الخضروات وبينها وبين السويس نحو ٣٠٠ كيلو متر .

المقريزي : الخطط ج ١ ص ١٨٤

البشتوني : الرحلة الحجازية ص ٣٤/٣٥ هامش ١

(٢) ابن جبير : رحلة ابن جبير ص ٦٦

(٣) حيثما فتح العرب في عهد الخليفة عمر بن الخطاب زادت الروابط بينهما وبين الجزيرة العربية وزادت أهمية البحر الأحمر . ويتجلى هذا الاهتمام فيما أقدم عليه عمر بإعادة حفر القناة النيلية التي كانت تصل النيل بالبحر الأحمر والتي كانت تبدأ شمال مصر القديمة بقليل وتنشئ قرب مدينة القلزم (السويس الحالية) بغية تسهيل سير السفن بين البحر الأحمر والنيل . وقد ذكرت أسماء مختلفة على الخليج ، فيذكر المقريزي أنه سمي خليج أمير المؤمنين وخليج مصر ، ثم صار يعرف بخليج القاهرة بعد بناؤها على يد جوهر المقل ، وأطلق عليه اسم الخليج الحاكمي زمن المقريزي .

المقريزي : الخطط ج ٢ ص ١٤٠ / ١٤٤

القلقشندي : صبح الاعشى ج ٢ ص ٢٠٢

د. محمد حمدي المناوي : نهر النيل في المكتبة العربية

الى اتجاه ميناء جدة أو يسيرون من القلزم الى أيلة على طرف خليج العقبة . (١)

ويروى المقرئى أن هناك طريقا برياً عبر سيناء كسان يرتاده الحجاج بكثرة وهو طريق أيلة التى كانت عند موقع العقبة الحالية ، فيسير الحجاج من مصر عن طريق البر الى القلزم ، فاما أن يركبون البحر الى الجار (٢) - واسما أن يسيروا الى أيلة ويعدوها الى بلاد الحجاز ، وكان هناك ست مراحل (٣) بين القلزم وأيلة . (٤)

وكانت قوافل الحجاج تسير على هذا الطريق على النحو الذى وصفه السيوطى عن ابن فضل ، قال " فيخرج الراكب من مصر بالمحمل السلطانى والزاد والاثربة والادوية والعقاقير والاطباء والكحاليين والمجبرين والادلاء والأئمة والمؤذنين والامراء والجند والقاضى والشهود والامناء فى أكمل زى، وإذا نزلوا منزلاً أو رحلوا مرحلاً تدق الكومات وينفر النفير ليؤذن للناس بالرحيل ، فإذا خرج الراكب من القاهرة نزل بالبركة على مرحلة واحدة فيقيم بها ثلاثة أيام أو أربعة ، ثم يرحل الى السويس فى خمس مراحل ، ثم الى نخل فى خمس مراحل ، ثم الى أيلة فى خمس مراحل ، فينزل منها الى حجز بحمص

-
- (١) البتثنوى : الرحلة الحجازية ص ٢١
 (٢) الجار : هو ساحل المدينة المنورة ، وهى قرية كثيرة القصور والأهل على شاطئ البحر الأحمر فيما يسمى بـ "البحرين" ، ترفأ إليها السفن من مصر والحشة ، ومن البحرين والصين .
 المقرئى : الذهب المسبوك ص ١٥ هامش ٣
 (٣) المرحلة : هى المسافة التى يقطعها المسافر فى يومه والجمع مراحل .
 (٤) المقرئى : الخطط ج ١ ص ٢١٣

القلزم ويمشى على حجزه حتى يقطعه من الجانب الشمالى الى الجانب الجنوبى ويقوم به أربعة أيام أو خمسة ، ثم يرحل الى حفل مرحلة واحدة ، ثم الى بر مدين فى أربع مراحل وبه مغارة شعيب عليه السلام ، ويقال أن مأواها هو الذى سقى موسى عليه السلام غنم بنات شعيب ، ثم يرحلون الى عيون القصب (١) فى مرحلتين ومنها الى المويصلة فى ثلاث مراحل ، ثم الى الأزلم فى أربع مراحل ، ثم الى الوجه فى خمس مراحل ومأواه من أعذب المياه ، ومنها الى أكرى فى مرحلتين ، ثم الى الحوراء وهى على ساحل بحر القلزم فى أربع مراحل ومأواه شبه بماء البحر ، ثم الى نبط فى مرحلتين ، ومنها الى ينبع فى خمس مراحل ، ويقوم عليه ثلاث أيام ، ثم الى الدهناء فى مرحلة ، ثم الى بدر وهى مدينة حجازية فى ثلاث مراحل وبها عيون وجداول وحدائق ، وبها الجار ثم يرحل الى رابع فى خمس مراحل وهى بأزاء الحجة التى هى الميقات ثم يرحل الركب الى خليص فى ثلاث مراحل وبها بركة عملها الأمير أرغون التامرى ، ثم الى بطن مرة فى ثلاث مراحل وفى طريقه بئر عمقان ثم يرحل من بطن مر الى مكة المشرفة مرحلة واحدة . (٢)

وكان أمير الحج اذا ما وصل قبيل السويس يرتب القافلة كلا فى مكان معين بجماله وذويه وخدمة ، ثم يجمع الركاب من الطليعة الى الساقة ويضبط أطرافه ونواحيه بجماعة من العسكر بعد أن يبر أصحاب الحمول والأموال وسط الركب .

(١) عيون القصب : منزله فى طريق الحج المصرى ببلاد الحجاز بين العقبة والمويلاج قريبة من شاطئ البحر الأحمر على بعد ثمانين كيلو متر شمالى المويلاج فى مكان يخرج منه الماء بين جبلين فينبت حوله من القصب الفارسى وغيره شئ كثير ولهذا عرفت بعيون القصب .

ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٩ ص ٧١٠ هامش ٢
(٢) السيوطى : حسن المحاضرة ج ٢ ص ٢١٩ / ٢٢٠

وطريق البر شاق جدا وخصوصا في المنطقة التي بين
السويس والعقبة ، فهي أرض رملية شائعة تتوخ فيها أخفاف
الجمال قبل أقدام الرجال ، ولا يهتدون فيها الى الطريق
الا بواسطة نواطير أشبه بطواحين الهواء أقيمت لهذه الغاية .
وقد كان في بعض القرى الكائنة على الطريق مخازن للميرة
وموت للجمال . (١)

أما الطريق الآخر الذي سلكته حجاج مصر فهو طريق قوص -
عذاب ، واتخذته غيرهم من المسلمين طريقا يقصدون به
الأراضي المقدسة ، إذ كانت مصر ولا تزال الطريق الى حج
بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام في
نصف الكرة الأرضية الغربية ، باعتبار مكة قلب العالم .
فالأندلس الذي كان يسكن في غرب أوروبا ، والمغربى القاطن
في غرب أفريقيا وما دونه من مسلمي البربر ، فالسفنال
فلاد التكرور والسودان الغربى والشرقى ، كانوا إذا قصدوا
الحج سافروا من بلادهم الى مصر بحرا أو برا ، ولهذه الغاية
كان يقمدها كثير من أهالى الشام والترك والقوقاز وغيرهم
من مسلمي روسيا وسيريا وجزائر البحر المتوسط (٢) .

وطريق الحجاج المصريين هو نفس الطريق الذى سلكته
الحجاج المقاربة والذي يمدنا الرحالة ابن جبير بوصف له
عند التحدث عن طريق هؤلاء الحجاج في القرن السادس الهجرى
(الثانى عشر الميلادى) . فيقول أنهم قصدوا مصر عن طريق
البحر فوصلوا الى شفر الاسكندرية (٣) ومنها تتوجه القافلة

(١) البتوني : الرحلة الحجازية ص ٢٢

(٢) البتوني : الرحلة الحجازية ص ٢٨/٢٧

(٣) ابن جبير : رحلة ابن جبير ص ٤٤

الى القاهرة حيث ينزلون بمسجد أحمد بن طولون الذى جعله
السلطان مقرا لكن الحجاج المغاربة واقامتهم أثناء مرورهم
بمصر وأجرى عليهم الارزاق فى كل شهر^(١) وعندما يتم اجتماعهم
يسيرون من مصر الى قوص^(٢) يقطعونها برا أو عن طريق النيل
فى نحو عشرين يوما ، والقرى فى طريقهم متملة على شاطئ
النيل . فمنها قرية تعرف بـ " أمكر " فى الضفة الشرقية
من النيل يحكى أن فيها كان مولد النبى موسى عليه السلام ،
ومنها ألقته أمه فى اليم وهو النيل ، وبقر النيل المدينة
القديمة المنسوبة ليوסף الصديق وبها موضع السجن الذى
أقام فيه ، وأهراء الطعام التى أختزنها ، ومنها البنى
الموضع المعروف بمنية ابن الخصب وهى مدينة على الشاطئ
الايمن للنيل كبيرة الساحة متسعة المساحة^(٣) كثيرة الاسواق
والحمامات وسائر مرافق المدن ، وعلى مقربة منها المسجد

(١) ابن جبير : رحلة ابن جبير ص ٥٢/٥٣
(٢) قوص : مدينة تقع على الشاطئ الشرقى للنيل جنوبى
القاهرة بنحو ٣٥٠ ميل ، وظلت فى القرون الاولى للهجرة
محطة استقبال للحجاج القادمين من مصر والمغرب وكانت
أبنيتها تبعث على العجب ، وهى مدينة قديمة محاطة بسور
من الحجر وأكثر أبنيتها من الحجارة الكبيرة ، وموسم
الحج بها كان له طابع مميز وذلك لأنه يحمل دلالتين :
الاولى هى الدلالة الدينية وهى بيت الله الحرام والطواف
بالكعبة وزيارة الروضة الشريفة . والدلالة الثانية هى
الدلالة الاقتصادية التى كانت تعيشها المدينة خلال هذا
الموسم من كل عام .

ابن مباتي : قوانين الدواوين ص ٣٢٥
البحر بنورى : الخطط ج ١ ص ٣٨١
القدشيدى : صبح الأعشى ج ١٤ ص ٢٧٢
ابن نحرى بيروت : السجود الزاهرة ج ٥ ص ٢٩٢
ناصر خسرو : سفرنامه ص ١٣١/٧١
محمد عبده الحجاجي : قوص فى التاريخ الاسلامى ص ٨٥
(٣) : ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ص ٢٦

المنسوب لإبراهيم الخليل ، ويقال أن بفناء أثر أقسام الدابة التي كان يركبها .

وفي الطريق بالشاطئ الشرقي للنيل الجبل المعروف بجبل المقله وهو نصف الطريق إلى قوص من مصر إليه ثلاثه عشر بريداً (١) ومنه إلى قوص مثلها . (٢)

ومن الأماكن التي يجتازها الحجيج بعد جبل المقله مدينة منقلوط بمقربة من الشاطئ الغربي بها الأسواق ، وأشهرت بزراعة القمح ، ومنها إلى مدينة أسيوط وهي من مدن الصعيد الشهيرة بينها وبين الشاطئ الغربي من النيل مقدار ثلاثة أميال وهي جميلة المنظر حولها بساتين النخل ولها سور عتيق .

وعلى الشاطئ الغربي للنيل أيضا موضع يعرف بأبسى تيج به الأسواق وسائر مرافق المدن . وفي الطريق إلى قوص مدينة أخميم وهي أصيلة البنيان عجبة الشأن (٣) بها مسجد ذى النون المصري ومسجد داود أحد الصالحين المشهورين بالخير ، وبهذه المدينة آثار ومصانع وكنائس معصورة (٤) .

(١) بريد كلمة فارسية معناها " مقطوع " ويقال أن الفرس استخدموا في نقل البريد دواب مقطوعة الذنب تميز لها عن غيرها ، فسميت " بريد ذنب " ثم حذف العرب كلمة ذنب واقتصروا على لفظ بريد ، والبريد في الأصل اسم للمسافة مقدرة بأربعة فراسخ .

القلقشندي : صبح الأعش ج ١ ص ٥٨ ، ج ١٤ ص ٢٦٦

(٢) ابن جبير : رحلة ابن جبير ص ٥٦

(٣) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ص ٢٨

(٤) ابن جبير : رحلة ابن جبير ص ٥٨

وبعد أخميم موضع يعرف بمنشأة السودان على الشاطئ
الغربي من النيل وهي قرية عامرة بينها وبين النيل رصيف
عال يشبه السور من الحجارة .

ومن الأماكن التي يجتازها الحجاج بعد ذلك ، موضع يعرف
به " البلينا " وهي قرية حسنة كثيرة النخل بالشاطئ الغربي
من النيل ، ثم موضع يعرف به " دشنة " بالشاطئ الشرقي وهي
مدينة ذات سور فيها جميع مرافق المدن بينها وبين قوص
بريدان ، ثم موضع يعرف به " دندره " وهي مدينة من مدن
المعيد كثيرة النخل حسنة المنظر بينها وبين قوص بريد
واحد ، ثم قنا وهي مدينة بهيئة أنيقة المنظر ومن مآثرها
احتجاب نساءها والتزامهن البيوت^(١) ومن هذه المدن " قفط " وهي
بشرقي النيل وعلى مقدار ثلاثة أميال من شاطئة ، وهي
من مدن معيد مصر حنا ونظافة وبيان وأتقان موضع .

ثم يكون الوصول إلى " قوص " فينزل الحجاج بفندق
ينسب إلى ابن المعجم بالمنية ، وهي ريف كبير خارج المدينة
على باب الفندق المذكور ، ثم تأخذ قوافل الحجاج طريقها
من هذا الريف إلى مكان يقال له " المبرز " وهو موضع قصى
الاتجاه القبلى من قوص على مسافة قريبة منها فسيح المساحة
محاط بالنخيل يجتمع فيه الحجاج حيث يتم وزن ما يحتاج
إلى وزنه على الحماليين^(٢) ، وفيه تعد وتجهز الأبل استعدادا

(١) ابن جبير : رحلة ابن جبير ص ٦٠

(٢) ابن جبير : رحلة ابن جبير ص ٦١

لشد الرحال الى عيذاب^(١) عبر الصحراء الشرقية لمدة خمسة عشر يوما يقطعون فيها نحو ١٦٠ كيلو مترا . والابل هـى

(١) عيذاب : مدينة على الشاطئ المصرى للبحر الاحمر على ساحل بحر جده غير مسوره وأكثر هيوتهما أخصاص ، وكانت من أشهر المواشى الاسلامية وأعظم مراسى الدنيا فى القرون الوسطى ، فهى ميناء لمصر الشرقية من قديم الزمان أى أنها كانت من مصر بالامن مكان ميناء السويس الحالى . وكانت مراكب الهند واليمن تحط فيها البضائع وتقلع منها مع مراكب الحجاج الصادرة والواردة . وكان يسكن فيها (حاكمان) حاكم بدوى من طرف شيخ قبائل الباجة والآخر تابع لحاكم مصر . وكانا يأخذان عوائد مسرور قدرها عشرة جنيهات عن كل حاج مغربى وسبعة جنيهات على الحجاج الآخرين ، ويقتسمان ما يحصل بينها وبين أمير مكة ابن جبير : رحلة ابن جبير ص ٦٢/٦٤

المقريزى : الخطط ج ١ ص ٢٢٢

البتونى : الرحلة الحجازية ص ٢٨ / ٣٠

أما قبائل الباجة أو البجاه أو البجه ، يقال أنهم من البربر وهم قوم لا دين لهم ولا عقل ورجالهم ونساؤهم أبدا عراة ، وعلى عوراتهم خرق ، وكثير منهم لا يسترون عوراتهم وكانوا يسكنون صحراء مصر الشرقية من سواكن الى نرية يقال لها الخزيرة فى صحراء قوص ، وهذه الصحراء عامرة بمعادن الزمرد والذهب والفضة والحديد ، وكانت العرب تخرج منها المعادن وخصوصا (التبر) فى القرنين الاول والمائى للهجرة ، وذلك بالاتفاق مع ملك البجة الذى كان مقره أسوان وكان ينال المسلمين منه ومن قومه أذى كبير . فأرسل الخاقان اليه عبد الله بن الجهم فكانت له معهم وقائع ، ثم وادعهم وكتب بيعة وبين كنون رئيسهم كتابا يدل على مقدار التسامح الاسلامى مع أهل الذمة ، وكيف أنه لا يفرق بينهم وبين المسلمين فى المعاملة .

المقريزى : الخطط ج ١ ص ٢٢٨

ناصر خسرو : سفرنامه ص ٧٢

البتونى : الرحلة الحجازية ص ٢٨ هاش ١

انظر نص الكتاب ص ٢٨ ، ٢٩ هامش ١

الرسيلة الوحيدة للانتقال في ذلك الوقت . وركوب الأبل كان يتم على طريقتين : الأولى لذوى اليمار يستعمل عليها الشقاديف^(١) وهى أشبه بالمحامل ، وأحسن أنواعها اليمانية يوصل منها الاثنان بالحيال الرشقة ، ولها أذرع قد حُفست بأركانها يكون عليها مظلة ، فيكون الراكب فيها مع عديلة فى كن من لفح المهاجرة^(٢) ويقعد مستريحا فى وطائه متكئا يتناول مع عديلة ما يحتاج اليه من زاد وشراب ، ويطلب متى شاء المطالعة فى مصحف أو كتاب ، ومن شاء اللعب بالشطرنج يستطيع أن يلعب عديلة^(٣) تفكها واجماما للنفس .

والطريقة الأخرى لأكثر المسافرين من عامة الحجاج ، فهى الأبل المجردة من المحامل والسروج ، فيكابدون من صوم الحر عشا ومشقة .

(١) الشداف : عبارة عن سرير من الخشب وقاعدتيهما من الحبال ، وعلى حافة كل سرير من الجانب الخارجى والخلفى شبكة من عيدان أشجار السنط بحيث إذا ضم السريران إلى بعضهما على ظهر الجمل بحبال متينة يكونان قبة يغطونها بشيء من الحشيش وركابها يضعون عليها فى الغالب بعض الأكلمة المقربة أو التركيبة فتقى الراكب من الشمس والمطر .

والشداف يسع شخصين ويمكنها أن يناما فيه كمناء . يمكن أن يجلس فيه الراكب على راحته بواسطة مؤيدات صغيرة خفيفة يضعها على ما يحب .

البتنوى : الرحلة الحجازية ص ٢٠٧ هامش ١

(٢) لفح المهاجرة : وهج الشمس وحرها الشديد ، والمراد أنه يحتمى من حرارتها الشديدة .

(٣) ابن جبير : رحلة ابن جبير ص ٦٢

والطريق الى عيذاب له ملكان (قوم - عيذاب) قنبا - عيذاب (وهذان الطريقان يمران في صحراء عيذاب ^(١) ويتفقان بموضع يقال له ماء العبيدين ^(٢) . والطريق الاول أقل مسافة من الثاني ^(٣) . وطريق الحجاج عبر هذه الصحراء يبدأ من المبرز الى ماء يعرف بالحاجر ثم الى قلاع الضياع ثم الى محط اللقيطة ومنها الى موضع ماء العبيدين ، ثم الى مكان يعرف بـ " دنقاش " ومنها الى ماء شاغب ثم الى ماء امتان وهي في بئر معينة خصها الله بالبركة وهو أطيب مياه الطريق وأعذبها ، ومنها الى ماء يعرف بـ " مجاج " الذي ماء يعرف بـ " العشر " على بعد مرحلتين من عيذاب ، وبهذا المكان كثير من شجر العشر ^(٤) وهو شجرة بشجر الأترج ^(٥) لكن لا شوك له ، ثم يملك الحجاج طريقا سهلا رمليا يسمى

(١) يذكر المقرئ أن صحراء عيذاب كانت مزدهرة في القرن الخامس الهجري باعتبارها طريق حجاج مصر والمغرب أكثر من مائتي سنة ، فكانت هذه الصحراء لا تزال عامرة أهلية بما يندر أو يرد من قوافل التجار والحجاج حتى أن أحمال البهار كالقرفة والفلفل ونحو ذلك لتوجد ملقاه بها والقوافل صاعده وهابطة لا يعترض لها أحد الذي أن يأخذها صاحبها ، ولم تزل ملكا للحجاج في ذهابهم وأيابهم من سنة ٤٥٠ هـ الى ٦٦٠ هـ .

المقرئ : الخط ج ١ ص ٣٢٧

(٢) موضع به ماء ينسب للعبيدين ، ويذكر أنهما ماتا عطشا قبل أن يرداه ، فسمى ذلك الموضع بهما وقبرهما به .

ابن جبیر : رحلة ابن جبیر ص ٦١

(٣) ابن جبیر : رحلة ابن جبیر ص ٦٢

(٤) شجر العشر : نوع من الشجر كبير عريض الورق وله ضلع طو

(٥) شجر الأترج : نوع من الفاكهة واحده أترجسة .

الوضوح ثم إلى ماء الخبيب ومنه مباشرة إلى ميناء عيذاب^(١). وكان الحجاج يقيمون في عيذاب نحو شهر في انتظار المراكب التي تحملهم إلى جده ويسمون بها " الجلاب " ، وهي الوسيلة الوحيدة المعروفة لركوب البحر آنذاك ، وهي من نوع بسيط لكنه ممتاز بالمتانة في الصنع .

وكان أهل عيذاب الذين يطلق عليهم العيذابيون مهرة في صنع هذه المراكب ، وذلك لأنها كانت الوسيلة الوحيدة للتمكيد والرزق يحملون فيها الحجاج والتجار إلى جملته ويردونهم وقت انقضاءهم من أداء الفريضة ، وتلك الجلاب كانت تصنع من خشب كانوا يستوردونه من الهند واليمن بطريقة لا تدخل فيها المصامير الحديدية البتة ، وذلك بأن يقطع الخشب ألواحاً بمقاييس معينة بحيث يتضافر بعضها مع بعض عند تركيبه بطريقة التعشيق ، ثم تجمع هذه القطع ويربط كل منها مع ما يشابهها بجبل مصنوع من القنبار^(٢) وهو ليف قحرجوز النار جبل^(٣) ، ثم يخاط جسم المركب كله بعد ذلك بحبال من عيدان النخيل خياطة محكمة بحيث لا يترك فرجة

(١) ابن جبير : رحلة ابن جبير ص ٦٣

(٢) القنبار : هو ليف جوز النارجيل ويديغ في مصر على الساحل ، ثم يضرب بالمراكب ثم يقرله النساء ويصنع منه الحبال لخياطة المراكب .

ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ١٢١

ابن جبير : رحلة ابن جبير ص ٦٥

(٣) نبات النارجيل : هو جوز الهند ، وهذا الشجر من أغرب الأشجار شأناً وأعجبها أمراً ، وشجوه شبة النخل لا غرق بينهما ، إلا أن هذه ثمرة جوزا وتلك ثمرة ثمرا . وجوزها يشبة رأس ابن آدم لأن فيها ليف يشبة الشعر وهم يصنعون منه حبالاً يخطون به المراكب عوضاً عن مصامير الحديد ويصنعون منه الحبال للمراكب .

ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ١٦٢

أو خرق صغير ، وبعد أن يتم بناء الجسم بهذه الصورة يدهنوه
بالسمن أو بدهن الخروع أو بدهن سمك القرش وهو أحسنهم ،
وذلك لاعطاء قدر من المرونة لجسم المركب حتى تتحمل الصدمات
والاحتكاكات الناشئة من كثرة الشعاب الصخرية المعترضة
في مجرى هذا البحر .

أما أشعتها فهي مصنوعة من خوص شجر المقل (الدوم) .
ورغم ضعف بنيتها هذه المراكب إلا أنها مناسبة لطبيعة مجرى
البحر بسبب مرونتها .

وكان الجشع يملأ قلوب العيذابيين ، فصاحب المركب
لاتهمه سلامة الحجاج بقدر ما يهيمه جمع المال ، فيشحنونها
بأكثر من حمولتها حتى تغدو كأنها أقفاص الدجاج المملوءة ،
ويقولون في ذلك مثلاً متعارف عليه بينهم " علينا بالألواح
وعلى الحجاج بالارواح " . وكثيراً ما كانت تفرق في وسط
البحر بمن عليها من الحجيج الذين يذهبون ضحية مطامع أولئك
الأشرار ، ومن وصل به طول عمره إلى جدة وملاها في نحو
أسبوعين يتقلب في أشوائها بين تحكم الملاح وتبرم الرياح
واتزعاج الماء واضطراب الهوائ . (١)

وجدة كانت قرية على ساحل البحر الأحمر أكثر بيوتها
أخصاص ، وفيها فنادق مبنية بالحجارة والطين ، وفي أعلاها
بيوت من الأخصاص . وأكثر أهل هذه الجهات فرق وأحزاب

(١) ابن جبير : رحلة ابن جبير ص ٦٤ / ٦٥ / ٦٦ .
ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ١٥٨ / ١٥٩
المقرئى : الخط ج ١ ص ٣٢٨
البيهقي : الرحلة الحجازية ص ٢٨

تفرقوا على مذاهب شتى وكانت نظرتهم الى الحجيج نظرة
استغلال هدفهم الحصول على أكبر قسط من الفوائد والربح
منهم . فالحاج لا يزال معهم في غرامه وموته الى أن ييسر
الله رجوعه الى وطنه . (١)

وظلت جده منذ أيام عثمان بن عفان وحتى قيام دولة
العماليك ميناء لمكة تستقبل الخجاج اليها بطريق البحر فتزدهر
أسواقها في مواسم الحج ، ويكثر التارلون بها والخارجون
منها فيستفيد أهلها من ذلك استفادة كبيرة (٢) . واستمرت
جده في النمو شيئاً فشيئاً تبعاً لزيادة دخلها وقوة الحركة
التجارية التي تقوم فيها في مواسم الحج (٣) . إلا أن جده
لم تصبح ميناء لمكة بل ميناء البحار ومن أكر الموانئ
في الشرق كله قبل القرن التاسع الهجري (٤) .

(١) ابن خيبر : رحلة ابن خيبر ص ٦٨

(٢) البشتوني : الرحلة الحجازية ص ١٠

(٣) د. نعم زكي : طرق التجارة الدولية ص ١١٢

3) lane- poolè: History of Fgypt in the middle ages

عناية صلاح الدين بالحجاج المقاربة

ووقف الأوقاف عليهم

قابل الحجاج - خاصة الحجاج المقاربة - الكثير من المصاعب والمتاعب واخذ منهم الجهد ونال منهم النصب والكثير بسبب المكوس^(١) التي فرضت عليهم وهم في طريقهم الى بيت الله الحرام ، وكان الخلفاء العباسيون في بغداد يعرفون مقدار تلك المكوس التي تؤخذ من الحجاج القادمين بطريق البحر ، ويقضون الطرق لما يعانونه من ضعف من ناحية أخرى^(٢) .

ويصف ابن جبير كيفية معاملة الحجاج المقاربة بمصر وهم في طريقهم الى أداء فريضة الحج ، ومدى شعنت عمال

(١) المكس والجمع مكوس ، الضريبة غير الشرعية ، وقيل شرح هذا المصطلح الدكتور محمد مصطفى زيادة فسيب تعليقا على كتاب (السلوك ج ١ ص ٢٦٧ هامش ٤) بقوله " المكوس جمع مكس ، ومن معانية في اللغة الحربية الضريبة التي كانت تؤخذ من بائعي السلع في الاسواق في الجاهلية ، والمكوس في مصطلح مؤرخي مصر الاسلامية كل ما تحصل من الاموال لاديوان السلطان أو لأصحاب الإقطاعات أو لموظفي الدولة خارجا عن الخراج الشرعي ، وتسمى أيضا المال الهلالي ، وقد عرفت هذه الاموال في مصر باسم المكوس منذ الدولة الفاطمية ، ومن أنواعها ما كان يؤخذ في الثغور البحرية والبرية على المتاجر الواصلة من الخارج ، وما كان مقررا بالقاهرة والفسطاط على مختلف المحاصيل والمصنوعات والاماكن ، مثل مكس القوافل ومكس البهار ، ومكس فندق القطن ، ومكس معدية البحر بالجيزة وغيرهسا .

المقريزي : الذهب المسبوك ص ٨٨ هامش ٢

(٢) المقريزي : السلوك ج ١ ص ٦٤
ابن جبير : رحلة ابن جبير ص ٥٥

الدواوين في تحصيل المكوس منهم فيقول " بتوجه أسماء الى المركب القادم بالحجاج الى الإسكندرية لقيد أسماء ركابه وملازمهم وأسماء بلادهم القادمين منها ، وسؤال كل فرد منهم مما لديه من سلع وخلافة ليؤدي زكاته بغض النظر ان كان قد حال عليه الحول أم لا ، ويستدعى هؤلاء الامناء أحسد الركاب لمؤالاه عن أبناء المقرب والسلع الموجودة بالمركب ويطاف به على الخواص والقاصي ومعال الدواوين ، ثم على جماعة من حاشية السلطان لنفس الغرض^(١) . ثم بأمرهم بأنزال بضائعهم وما يحملونه من زاد ومؤونة لطريقهم ، والتوجه بهم الى مقر الديوان بالإسكندرية وقد غص بالزحام حيث يتم تفتيشها بحثا عما عسى أن يكون بداخلها ، وربما الزمهم الايمان على ما بأيديهم أو عن وجود شيء آخر معهم ويحضرون كتاب اللقيع اليعين عليه ، فيقف الحجاج بين أيدي عمال الدواوين مواقف خزي ومهانة . وفي أثناء ذلك يضع الكثير من حاجيات الناس لكثرة الزحام واختلاف الانساب^(٢) ويواجهون غتا ومشقة كبيرة ، وربما كان منهم من لا زيادة معه على ثقته أولا ثقة عنده ، فيلزم بإداء الضريبة المغلوطة وهي سبعة دنانير ونصف دينار مصرية على كل شخص ومن يعجز عن أدائها يتناول النجم التعذاب بعذاب فكانت كائناتها مفتوحة القيد .

فلما سيطر صلاح الدين الأيوبي على مصر والشام ، أسقط تلك المكوس من الحجاج وهي الباقية من المكوس الفاطمية وعوض الشريف مكش بن عيسى أمير مكة عن ذلك بالقرى دينبار

(١) ابن جبير : رحلة ابن جبير ص ٤٤
(٢) ابن جبير : رحلة ابن جبير ص ٤٥/٤٦

وَألف أردب قمح سوى اقطاعات بصعيد مصر واليمن لادراكنة أن
دخل مكة لا يفي بمصالح أهلها^(١). وكتب إلى وإلى قيس
بإبطال المكوس التي تؤخذ من الحجاج وتجار اليمن^(٢).

وإلى جانب ذلك ، كان من أجل الأعمال التي منها السلطان
صلاح الدين أنه عين لأبناء السبيل من المغاربة خزينة
لكل انسان في اليوم مهما كان عددهم . وعين من قبله أمينا
يقوم بهذا العمل ، وقد يصل عدد ما يورعه أو أكثر . وأوقف
لذلك أوقاف من قبله مضافا إليها جزية اليهود والنصارى
علاوة على ما عينه من زكاة العين لهذا الغرض وهي تساوي
خمس اثمان والثلاثة اثمان له . وطلب من عمالة وأكد عليهم
أنه من ينقص من الأموال العروضة لهذا الشأن أن يرجعوا إلى
طلب ماله .

ومن أعجب ما يروى في هذا المدد أن بعض من يريد
التقرب بالنصائح إلى السلطان ، ذكر أن أكثر هؤلاء يأخذون
جناية الخبز ولا حاجة لهم بها رغبة في الإقامة لانهم
لا يملكون الايزاد يكفيهم ، فكاد يؤثر معنى هذا الغاصح
ويستجيب لقولة ... فلما كان في أحد الايام خرج السلطان
على سبيل الاستطلاع خارج بلده ، فلقى جماعة من هؤلاء
الحجاج لفظتهم المحراء المتطلة بطرابلس من جهة الغرب وقد
أنهكهم ودوابهم الجوع والعطش^(٣) . فسألهم عن وجهتهم

(١) ابن جبير : رحلة ابن جبير ص ٥٥

المقريري : السلوك ج ١ ص ٦٤

الخطط ج ٢ ص ٢٢٢

البيهقي : الرحلة الحجازية ص ٣٠

(٢) المقريري : السلوك ج ١ ص ٧٤

(٣) ابن جبير : رحلة ابن جبير ص ٤٦

وعما لديهم ، فأعلموه . أنهم قاصدون بيت الله الحرام وأنهم
ركبوا البر وكابدوا مشقة في الصحراء ، فقال لو وصل
هؤلاء وهم قد اعتشفوا هذه المجاهل التي اعتبقوها وكابدوا
من الشقاء ما كابدوه وبئد كل واحد منهم رنته ذهباً وقصة
لوجب أن يشاركوا ولا يقطعوا عن العادة التي أجريتها
لهم ، فالتعب ممن يسعى على مثل هؤلاء ويروم التقرب إليها
بالسعي في قطع ما أو جنباء لله عز وجل خالماً لوجهه (١)

وفريضة الحج من الأركان الدينية التي تأثرت السعي
حد كبير بنظام الأوقاف في عصر المماليك ، ولا سيما بالنسبة
لغير القادرين ، فاشترط كثير من الواقفين أن يصرف ريع
أوقافهم أو جزء منه في ماعده غير القادرين لأداء فريضة
الحج ، ذلك أنه بالرغم من أن الحج لم يفرض إلا على القادرين
إلا أن قوة الشعور الديني في هذا العصر جعلت الكثيرين
يتوقون لتأدية الفريضة ، ووجد الواقفون أن في إيمانهم
على تأدية الفريضة وجه من وجوه البر التي ينفقون فيها
مدقاتهم من ريع أوقافهم ، فشرطوا أن يصرف جزء من ريع
الوقف في كل سنة في ماعده الذين يخرجون لتأدية فريضة
الحج ، ويشرفون على الهلاك إما لضعفهم أو لفقرهم سواء
في طريق الذهاب أو العودة ، من ذلك ما يذكر من أن السلطان
برقوق أوقف ناحية بهتيت (٢) على سحابة (٣) تدير مع الحج

(١) ابن جبير : رحلة ابن جبير ص ٤٧

(٢) بهتيت : هي إحدى قرى الجزيرة القديمة

د. محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية في

مصر ص ٢٢٢ هامش ٣

(٣) السحابة : هي الطائفة ممن يرافقون الحاج للمحافظة
عليه

د. محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية ص ٢٢٢

هامش ٤

الى مكة في كل سنة ، ومعها جمال تحفل المشاء من الحج ،
 وتصرف لهم ما يحتاجون اليه من الماء والزاد ذهابا وايابا
 ويؤكد هذا المعنى ما جاء في احدى الوثائق من توجية جزء
 من ربيع الموقف وهو الذي يجهة الناظر كل سنة صحبة الركيب
 الشريف والمحمل السلطاني ، المتوجة الى الحجاز الشريف
 صحبة كل سنة ، ضبة من يوثق بدينة وخبرة وعفة وأمانة
 وكفاية والذي يصرف ذلك بطول الطريق ذهابا وايابا على
 المنقطعين من الحجاج الذين قاربوا الاشراف على الهلاك من
 المسلمين ، في أجرة حمل واطعام طعام ، واسقاء ماء
 وكلفة ما يكون في ذلك أبقا لمهجم وحفظ لأبدانهم قلى
 ايصالهم الى مأتهم على العادة ، ويصرف ذلك عليهم
 بمباشرة من يكون متصفا بصفات الفدالة والخير والعفة
 والديانة ، ويصرف لمن يباش ذلك ممن هو بالمففات المشروطة
 من الجفالة ما يراه الناظر ، وذلك بمباشرة أمير الحاج ،
 وأطلاعة على ذلك ، فان فضل عن ذلك شيء فرقة بالحرمين
 المذكورين ، فان تعذر صرف ذلك على المنقطعين ، فرق على
 الفقراء والمساكين واليتامى والمفقراء والعاشرين بالحرمين
 المذكورين أو بأحدهما ان تعذر الأخير (١).

(١) د . محمد محمد أمين : الأوقاف والحياة الاجتماعية

أثر الحروب الصليبية على طريق الحج

تأثر نشاط القلزم بالخطر الصليبي الكامن في بيست المقدس ، ومنذ مجيء الصليبيين إلى الشام ، سقطت بيست المقدس في أيديهم سنة ٤٩٤هـ / ١٠٩٩م بدأ بلدوين الأول يفكر في حماية هذه المملكة من ناحية الجنوب ، فقام بحملة على الأولى الشهيرة في شبة جزيرة سيناء ، وذلك عن طريق الميطة على الصحراء الممتدة جنوبي البحر الميت حتى خليج العقبة وهي المنطقة المعروفة باسم " وادي عربية " وكان الفرض من حملة بلدوين هذه عزل مصر عن بقية العالم الاسلامي في الشرق وقطع الطريق البري بينها وبين الشام والحجاز (١) . فبدأ بلدوين الأول بالسيطرة على وادي عربية ، ثم شيد سنة ٥٠٩هـ / ١١١٥م حصن الشويك ليكون مركزا يمكن الصليبيين من السيطرة على وادي عربية بأكمله .

وفي العام التالي ٥١٠هـ / ١١١٦م خرج بلدوين في حملة أخرى ووصل حتى أيلة ، وبني بها قلعة حصينة للتحكم في الطريق البري للقوافل بين مصر والشام (٢) ، كما شيد قلعة أخرى في جزيرة فرعون الواقعة قبالة أيلة ، وبذلك تمكن الصليبيون من الاشراف على شبة جزيرة سيناء ، ولكن زهبان دير القديسة كاترينة في سيناء رفضوا التعاون مع

(١) د. سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ١ ص ٢١٨

(٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ج ١ ص ٢١٨

Runciman : A History of the crusades Vol 1 P. 97-98

Setton : A History of the crusades Vol 1 P. 406.

بلدوين الاول أو حتى استغاثة خشية انتقام الفاطميين فى القاهرة مما جعل بلدوين يتصرف عائدا الى بيت المقدس (١) دون تحقيق هدفه ، الا انه فكر فى مهاجمة الفاطميين فى مصر ليضعهم بقوة ، فغير الصحراء الممتدة من غزة الى العريش دون أن يتعرض لتهديد البدو فى هذه المنطقة ، ووصل الطليبيون الغرما واستولوا عليها سنة ٥١٢هـ / ١١١٨م وهى أول العراكر الاسامية فى الاراضى المصرية ، واتجه غربا حتى مدينة تنيس ، ولم يستطيع التقدم أكثر من ذلك لصغر قوته وموته قرب العريش فى نفس العام (٢) .

وقد تأكد هذا الاحساس فى صورة عملية عندما قام ارناط حاكم حصن الكرك الطليبي بحملة الشهيرة على البحر الاحمر سنة ٥٧٨هـ / ١١٨٢م مستهدفا بذلك السيادة على البحر الاحمر وطعن الاسلام فى قلبه بغزو الحرمين الشريفين ، فأنشأ سفنا وحملها الى البر الى بحر القلزم ، وأركب فيها رجالا وأوقف منها مركبين على حرره (٣) قلعة القلزم لمنع أهلها من استقاء الماء ، وسارت البقية نحو عيذاب ، فقتلوا وأسروا واحرقوا فى بحر القلزم نحو ستة عشر مركبا ، وأخذوا بعذاب مركبا تأتى بالحجاج من جده وأخذوا أيضا فى البر قافلة كبيرة فيما بين قوص وعيذاب وقتلوا الجميع وأستولوا على مركبين فيها بضائع جاءت من اليمن ، وأطعمه كثيرة من الساحل كانت معه لميرة الحرمين ، وأرتكبوا حوادث

(١) د. سعيد عاشور : الحركة الطليبية ج ١ ص ٢١٩

(٢) د. سعيد عاشور : الحركة الطليبية ج ٠ ص ٢٢١/٢٢٠/٢١٩

ابن الاثير : الكامل فى التاريخ حوادث سنة ٥١٢

(٣) الحزرة بكسر الحاء ، الموضع الحصين

المقربرى : السلوك ج ١ ص ٧٨ هامش ٤

لم يسمع في الاسلام بمثلها . ولم يبق بينهم وبين الهدينة المنورة سوى مسيرة يوم واحد .

ونتيجة لهذا الخطر الطيبى ، فقد كلف السلطان صلاح الدين أخاه الملك العادل بالاسراع الى القضاء على هذا الخطر وحماية المسلمين فاسرع العادل الى اعداد اسطول قوى فى البحر الاحمر تحت قيادة الحاجب حمام الدين لؤلؤ متولئ الاسطول بديار مصر ، وبدأ حمام الدين بحصار أيلبة ومار متجها الى عيذاب والخوراء قرب ينبع وكان بها الجزء الأكبر من تلك السفن الطيبية ، وظفر بمراكب الفرنجسة فحرقها وصعد البر حتى أدرك من فوق من الخونة بعضد أن تعبد هؤلاء الخونة من اليدو بارشادهم الى داخلية البلاد وأخذهم فساق منهم اثنين الى منى وشحرهما بها كما تنحصر البدن . وعاد الى القاهرة بالاسرى فى ذى الحجة فضرب أعناقهم جميعا بعد استعراضهم فى شوارع القاهرة والاسكندرية وغيرها من المدن الكبيرة ، وأما الرناط نفسة فقد أقسم صلاح الدين ألا يغفر له فعلته هذه ونذر دمة (١) .

وفى رسالة للقاضى الفاضل أوردها أبو شامة وابن واصل مؤداها أن الطيبين استهدفوا من وراء تلك العملية الحربية تحقيق هدفين خطيرين أولهما : " قطع طريق الحاج عن حجه وضرب العالم الاسلامى فى قلبه وطمع المسلمين فى قلوبهم " .

(١) المقرئى : الملوك ج ١ ص ٧٩

أبو شامة : كتاب الروضتين ج ٢ ص ٣٧

ابن جبير : رحلة ابن جبير ص ٥٢

د. سعيد عاشور : الحركة الطيبية ج ٢ ص ٢٥٩

وثانيهما : " أن الطليبيين كانوا يرمقون الاستيلاء على عدن في جنوب البحر الأحمر لأخذ تجار اليمن وعدن " (١).

ونستدل من كتاب صلاح الدين للخليفة العباسي تصميمه وعزمه على اقرار النفوذ الاسلامي في البحر الأحمر حين قال " ان انتصار الاسطول الطليبي القاصد سواحل عدن واليمن يمنع طريق الحاج من حجه ويأخذ تجار اليمن وكارم عدن ويلزم بمسواحل الحجاز " (٢).

وفي النهاية فقد استطاع صلاح الدين من فرض سيطرته على الحجاز واستيلائه على قلعة أيلة بعد احباط محاولات أرناط في تنفيذ محاولاته العدوانية في البحر الأحمر سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م ، وواصل الايوبيون جهودهم بعد صلاح الدين لاحكام السيطرة على البحر الأحمر ، فكانت قطع أسطولهم تمخر عباب هذا البحر الى الحجاز واليمن وغيرها (٣).

واستمر اهتمام سلاطين المماليك بالبحر الأحمر حيث كان لهم قوة حربية بحرية دائمة به ، وكانت عدة هذه القوة خمس مراكب ثم قادت ثلاثة ، وكان والى قوص هو المتولى لقيادة هذا الاسطول والتي كانت مهمته تنحصر في حراسة الموانئ القريبة للبحر الأحمر ، وكان رمزاً لانزال الرعب في قلوب كل من تحول لهم أنفسهم تهديد سلامة القوافل (٤).

(١) أبو شامة : كتاب الروضتين ج ٢ ص ٢٦ / ٢٧

ابن واصل : مفرج الكروب ج ٢ ص ١٣٠

(٢) أبو شامة : كتاب الروضتين ج ٢ ص ٢٦ / ٢٧

ابن شداد : النوادر السلطانية ص ٢٧

(٣) المقرئى : السلوك ج ١ ص ٧٤ / ٧٦

(٤) المقرئى / السلوك ج ١ ص ٥٥٠

وكان هناك من الاسباب الدينية مما جعلها تحرض على اظهار وجود قوتها البحرية فى البحر الأحمر ، ويتجلى ذلك بوضوح عندما لم يفترق أشراف مكة والمدينة باحياء الخلافة العباسية سنة ٦٥٩ هـ / ١٢٦١ م التى أقامها الظاهر بيبرس بالقاهرة واقتسموا الحجاز فيما بينهم ، وكان بيبرس قد رأى أن سياسة الدولة الحفصية تتعارض مع السياسة التقليدية المصرية ، ونتيجة لذلك عمد إلى احياء الخلافة العباسية فى القاهرة ، فنصب أمير من أمراء العباسيين الفارين من وجه المغول وبايعه بالخلافة ولقبه " المستنصر بالله " (١) . وبعد أن تمت له البيعة قام بدوره وقلد السلطان بيبرس حكم مصر والشام والحجاز وما يغزوه من بلاد الأعداء . وقد اكتسب بيبرس بهذا العمل الشرعى نفوذاً أدبيا وروحيا فى الأوساط الإسلامية مما مكنه من السيطرة على الحرمين واقصاء نفوذ الحفصيين منها ومد سلطانه باسم الخلافة على الحجاز والبحر الأحمر . (٢)

-
- (١) د . أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ١٢٧
(٢) د . أحمد مختار العبادى : دراسات فى تاريخ المغرب والاندلس ص ١٢٨

المراجع والمصادر

المراجع المرببة :

ابن الأثير : (أبو الحنن بن علي الجزري الملقب عن الدين)

- الكامل في التاريخ -

١٢ جزء القاهرة ١٣٥٧ هـ

ابراهيم رفعت باشا :

- مرآة الحرمين -

جزءان ١٣٤٤ هـ / ١٩٢٥ م

ابن بطوطة : (محمد بن عبد الله)

- رحلة ابن بطوطة المعماة " تحفة النظار في

غرائب الأمصار وعجائب الاسفار "

جزءان ، المكتبة التجارية المصرية ١٣٧٢ هـ /

١٩٥٨ م

ابن تغري بردى : (جمال الدين أبو المحاسن يوسف)

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة

١١ جزء دار الكتب المصرية - القاهرة

١٩٢٩ - ١٩٥٠ م

ابن جبير : (أبي الحسين محمد بن أحمد بن جبير

الكناني الاندلسي)

- رحلة ابن جبير -

دار الكتاب اللبناني - الممري

حسن ابراهيم حسن (دكتور)
- الفاطميون في مصر

القاهرة ١٩٣٢ م

أحمد مختار العبادي (دكتور)
- دراسات في تاريخ المغرب والاندلس

الامكندرية ١٩٦٨

- البحرية الاسلامية في مصر والشام في عصر

الأيوبيين والمماليك بالاشتراك مع دكتور

السيد عبد العزيز سالم بيروت ١٩٧٢ م

سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور)
- الحركة الطليبية

جزءان ، القاهرة ١٩٦٣

- العصر المماليكي في مصر والشام

القاهرة ١٩٦٥

- الأيوبيين والمماليك في مصر والشام

القاهرة ١٩٧٠

السيوطي : (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر)
- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة

جزءان ، القاهرة ١٢٩٩ هـ

أبو شامة : (عبد الرحمن بن إسماعيل شهاب الدين)
- كتاب الروضتين في أخبار الدولتين

القاهرة ١٢٨٧ هـ

ابن شداد : (بهاء الدين يوسف)
- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية

القاهرة ١٩٦٤ م

على باشا. مبارك

- الخطط التوفيقية الجديدة

٢٠ جزء ١٣٠٤ - ١٣٠٦ هـ

القلقشندى : (أحمد بن على بن أحمد بن عبد الله)

- صبح الأعشى فى صناعة الإنشا

١٤ جزء القاهرة ١٩١٣ - ١٩٢٠ م

المأوردى : (أبو الحسن على بن محمد بن حبيب)

- الأحكام السلطانية

مطبعة المعادة بمصر ١٣٢٧ هـ - ١٩٠٩ م

محمد حمدي المناوي (دكتور)

- نهر النيل فى المكتبة العربية

القاهرة ١٩٦٦ م

محمد عبد العزيز مرزوق

- الزخرفة المنسوجة فى الأقمشة

الفاطمية

دار الكتب المصرية ١٩٤٢ م

محمد عبده الحجاجي

- قوص فى التاريخ الاسلامى

الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢ م

محمد لبيب البتيمونى

- الرحلة الحجازية

مطبعة الجمالية بمصر ١٣٢٩ هـ

محمد محمد أمين (دكتور)

الوقوف والحياة الاجتماعية في مصر
دار النهضة العربية بالقاهرة ١٩٨٠ م

المفهرسي : (تقي الدين أحمد بن علي)

- السلوك لمعركة دول الملوك

الجزئين الاول والثاني في ٦ مجلدات
تحقيق دكتور محمد مصطفى زبيدة
القاهرة ١٩٣٤ - ١٩٥٨ م

الجزئين الثالث والرابع في ٦ مجلدات
تحقيق دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور
القاهرة ١٩٧٠ - ١٩٧٣ م

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
المعروف بالخطط طبعة بولاق في جزئين
١٢٧٠ هـ / ١٨٥٤ م

والطبعة الاهلية في ٤ أجزاء مطبعة
النيل القاهرة ١٣٢٤ - ١٣٢٦ هـ

- الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء
والملوك تحقيق دكتور جمال الدين الشيال
القاهرة ١٩٥٥ م

ابن ممتلي : (أبو المكارم أسعد بن الخطير)

- كتاب قوانين الدواوين

تحقيق دكتور عزيز موريال عطية
القاهرة ١٩٤٣ م

ناصر خسرو على

- سفر نامه

نقله من الفارسية الى اللغة العربية

دكتور يحيى الخشاب

القاهرة ١٣٦٤ هـ / ١٩٤٥ م

نعيم زكى فهمى (دكتور)

- طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين

الشرق والغرب

القاهرة ١٩٧٣ م

ابن واصل : (جمال الدين محمد بن سالم)

- مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب

٣ أجزاء الاولى تحقيق دكتور جمال الدين

الشيال ١٩٥٣ م ، والجزئين الرابع

والخامس تحقيق دكتور حسين محمد

ربيع ١٩٧٢ م ، راجعه وقدم له دكتور

سعيد عبد الفتاح عاشور

ياقوت : (شهاب الدين عبد الله الحموى)

معجم البلدان

٢٠ جزء القاهرة ١٩٣٦ م

المراجع الاوربية :

Dozy, R.P.A : Supplement aux Dictionnaires Arabes.

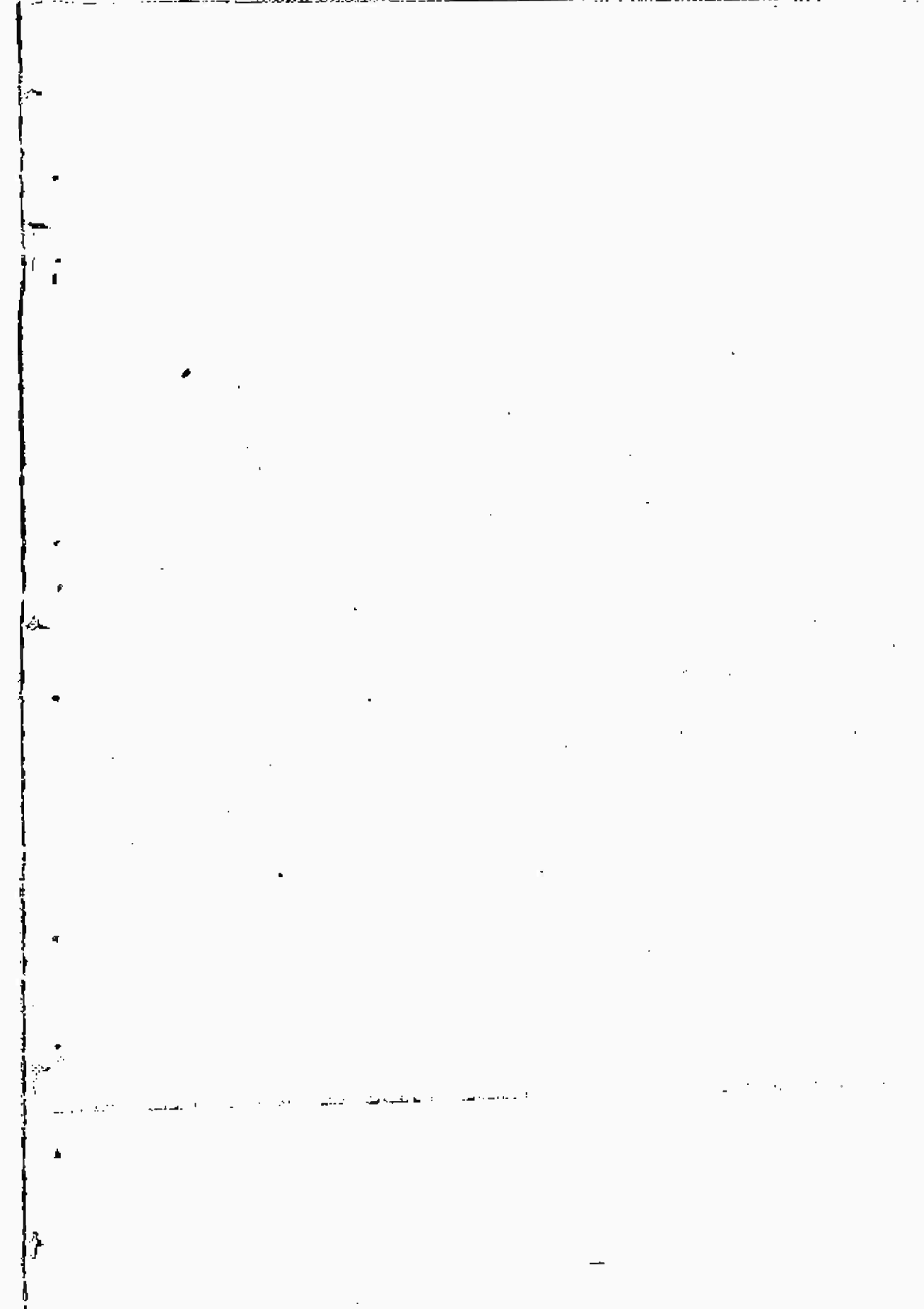
. Paris 1927

Encyclopaedia of islam.

Lane - Poole, stanly : A History of Egypt in the
Middle ages. London 1944.

Runciman : A History of the crusades 3 vols
(Cam bridge 1957).

setton, K.M. : A History of the crusades Vol 1 the
first hundred years ed. by
M.W. Baladwin 1958.



بسم الله الرحمن الرحيم

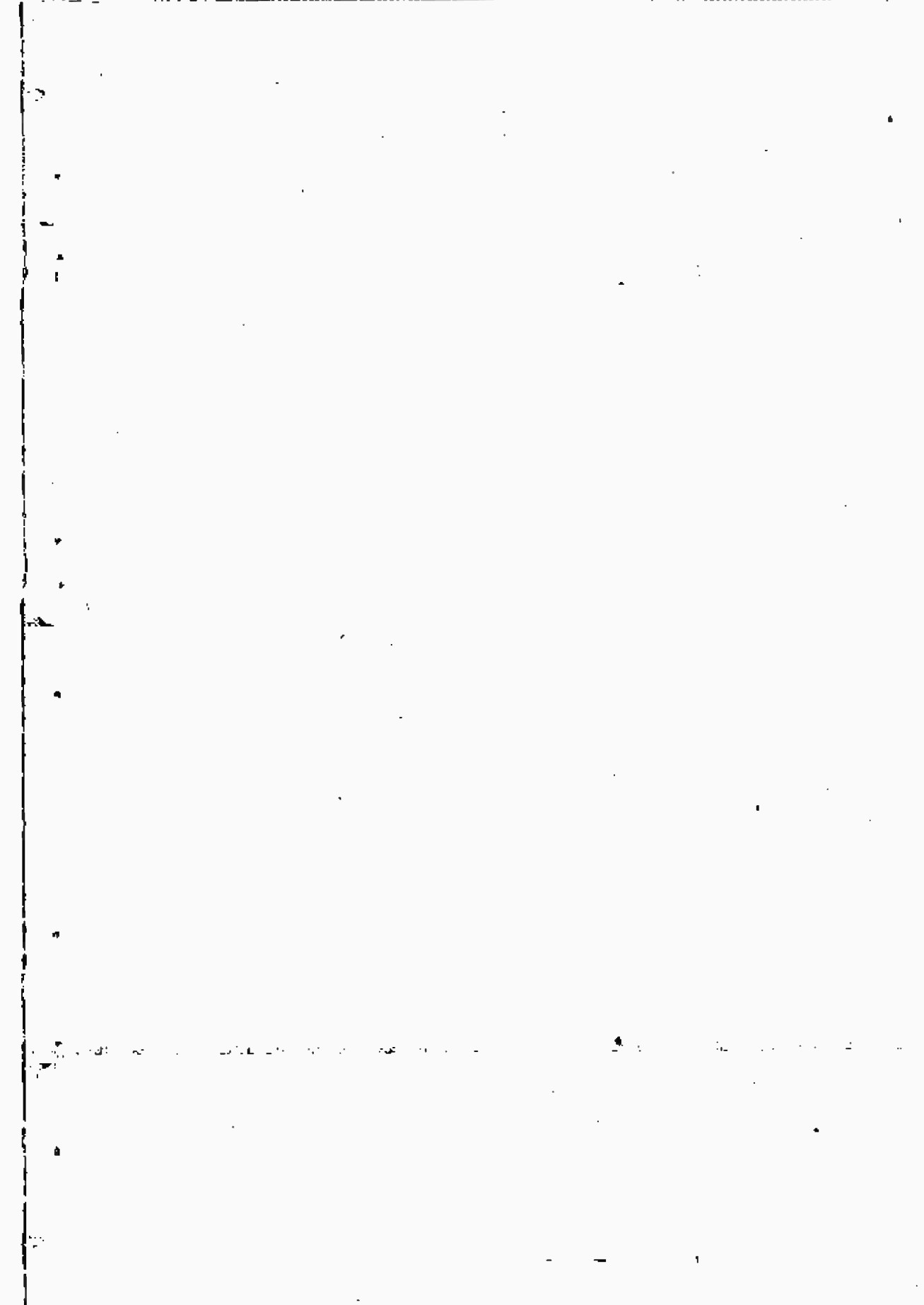
الخصائص الميدانية للاعبين المؤثرين على جو الفريق
- دراسة في ديناميات الجماعة الرياضية الصغيرة -

THE FILED CHARACTERISTICS OF PLAYERS INFLUENCING
TEAM ATMOSPHERE_ A STUDY IN THE DYNAMICS OF THE
SMALL SPORT GROUP_

مقدم من

د. عبد الفتاح عبد الله د. عزة محمد حمدي
د. سلوى عز الدين فكري د. السيد محمد سليمان

كلية التربية الرياضية بنين وبنات بالاكاديمية
جامعة حلوان



بسم الله الرحمن الرحيم

الخصائص الميدانية للاعبين المؤثرين على جو الفريق
- دراسة في ديناميات الجماعة الرياضية الصغيرة -

مقدمة البحث

تعتبر عملية التأثير Influence على جو الفريق كالطاقة الكهربائية التي لا يمكن رؤيتها أو ادراك كنهها ولكن يمكن فقط رؤية آثارها وادراك النتائج المترتبة عليها حيث يستطيع ذوي الخبرة ملاحظة هذه الاثار وادراك تلك النتائج خلال المباريات مرتبطة بوجود بعض اللاعبين ، اذ ان وجود هؤلاء اللاعبين يؤثر في الحالة العامة للفريق حيث يزكون روح الحماس ويعملون على السريان النشط لحركة اللاعبين أو حركة الكرة أو كليهما معا خلال المباريات كما أنهم يعملون على سرعة انجاز اللعب بحرارة وحماس .

وقد عرف فايث Vaith التأثير على جو الفريق فـي بحثه من ديناميات فرق الالعاب الجماعية ، بأنه التأثير على الحالة الانفعالية العامة للفريق واعتبر أن هـذه الحالة الانفعالية وجو الفريق مصطلحان يحملان نفس المعنى واعتبر كذلك ظاهرة التأثير احد الابعاد الاساسية فـي ديناميات فرق الالعاب الجماعية (١٤ : ٥٢) وقد ايدت وجهة النظر هذه العديد من الدراسات (٤ : ٤٤) .

وعلى الرغم من أن التأثير على جو الفريق يسرى داخل اللاعبين ككل وأنه ينعكس على الحالة العامة للفريق إلا انه يحدث بصفة اساسية بين اللاعبين كأفراد ، متمشيا في ذلك مع مصطلح القوة الاجتماعية الذي قدمه كارتر ايت Cartwright

والذى يعنى قوة فرد فى التأثير على فرد آخر داخل الجماعة (١٨٢:٧) كما يتمشى مع نتائج كاتز ولازرفيلد Katz & Lazerfield التى تشير الى أن التأثير ماضى مسوى عملية نفسية اجتماعية (١٠٠ : ٥٩) حيث ترتبط مباشرة كما قرر هوبكنز Hopkins بنظام التفاعل بين الافراد داخل الجماعة (٩ : ٢٩) . وأضافت دراسة ملكية أن عملية التأثير لا تنصف بالعمومية بل ترتبط بوجود بعض الافراد داخل الجماعة وقد أمكنه التعرف على الممارسين لعملية التأثير من خلال استخدام المنهج السيومتري (٢٥ : ٢٤٢) .

وفى مجال الجماعات الرياضية أظهرت نتائج دراسات ديناميات فرق الالعاب الجماعية والتي أجراها فاييت Vait أن عملية التأثير على جو الفريق تتركز فى عدد محدد من اللاعبين فى الفريق سماهم أصحاب الكلمة وقد اعتبر أن أول خصائص التمييز بين الفريق فيما يختص بعملية التأثير تتركز حول أحد أصحاب الكلمة فى الفريق وقد تم تحديد أصحاب الكلمة (اللاعبين المؤثرين) فى الفريق بواسطة الاختبار السيومتري . واشترط فاييت Vait أن يحصل اللاعب المؤثر أو صاحب الكلمة على عدد من الاختيارات لا يقل عن ثلثى عدد اختيارات أعضاء الفريق (١٢ : ٦٠) ويعنى ذلك أن يحصل اللاعب على سبع اختيارات على الأقل فى الفرق التى تتكون من اثنتى عشر لاعبا حتى يصبح لاعبا مؤثرا ، وعلى هذا الاساس ميز بين ثلاث انماط من الفرق ، نمط من الفرق لصاحب كلمة واحدة ونمط آخر باثنتين أو أكثر ونمط ثالث يتكون صاحب كلمة وأشار الى أن الفرق التى تخلو من أصحاب الكلمة تميل نشائجها الى الموء . كما أظهرت نتائج هذه الدراسة أيضا أن اللاعب صاحب الكلمة فى الفريق (اللاعب الموء شر)

يحتل نفس المكانة التي يحتلها صانع الألعاب Play maker
(١٤ : ٥٢ - ٥٨) .

مما سبق يتضح ان التأثير على جو الفريق في الألعاب الجماعية عملية نفسية اجتماعية تتم من خلال نظام التفاعل الاجتماعي بين اللاعبين خلال المباراة حيث تمرى بينهم بالتبادل مؤدية الى التأثير في الحالة الانفعالية العامة لاعضاء الفريق دون امكانية ادراك كنهها ، ولكن فقط ادراك نتائجها مرتبطة بوجود فئة محددة من اللاعبين ذوي القوة الاجتماعية الذين يعملون على السريان الشط لحركة اللعب .

وتشير كل الدراسات الميدانية السابقة الى أن الاختيار السيوتري يمكننا من التعرف على اللاعبين المؤثرين وتحديد خصائصهم الاجتماعية خلال عمليات التفاعل الاجتماعي بين اللاعبين ، الا أنه لا يوجد في المجال الرياضي ما يشير الى ماهية الخصائص الميدانية للاعبين المؤثرين خلال عمليات التفاعل الحركي بين اللاعبين في المباريات .

هدف البحث :

يهدف هذا البحث الى :

التعرف على الخصائص الميدانية التي يتميز بها اللاعبون ذوي القوة الاجتماعية المؤثرون على جو الفريق خلال مواقف الهجوم الكلية والثنائية في مباريات كرة اليد .

سؤالات البحث :

- ١ - ما هو عدد اللاعبين المؤثرين في كل فريق ؟ وما هي الاسباب والصفات التي أدت الى اختيار اللاعبين لهم ؟
- ٢ - ما هو حجم ونوعية الانجازات الميدانية التي يقوم

بها اللاعبون ذوي القوة الاجتماعية المؤثرون على جو الفريق خلال مواقف الهجوم الكلية والثنائية فـسـى المباريات .

٣ - ما هي نتائج المواقف التي اشترك فيها اللاعبون المؤثرون ؟

٤ - ما هي العلاقة بين معدل التأشير على جو الفريق ومتوسط حجم مواقف الهجوم الكلية والثنائية لمستويات الفرق المختلفة (عال - متوسط - منخفض) .

٥ - ما هي الخصائص الهجومية الميدانية للاعبين ذوي القوة الاجتماعية والمؤثرين على جو الفريق ؟

اجراءات البحث :

المنهج : يستعين هذا البحث بالمنهج المحي الوصفي .
العينة : اشتملت عينة البحث على (٣٠) لاعبا كرة يد يمثلون ثلاث فرق من ثلاث مستويات مختلفة (عال - متوسط - منخفض) من اندية دولة الامارات العربية المتحدة . فريق الوصل من الدوري الممتاز يمثل المستوى العالي ، فريق الاهلي من دوري الدرجة الاولى يمثل المستوى المتوسط ، فريق الشباب من دوري الدرجة الثانية ويمثل المستوى المنخفض ، وقد تم اختيارهم بالطريقة العمدية عشرة لاعبين من كل فريق وقد استبعد حراس مرمى كل فريق لاختلاف طبيعة وظائفهم وواجباتهم عن باقي لاعبي الفريق .

المجال الزمني :

اجريت هذه الدراسة في الموسم الرياضي ١٩٨٣/٨٢ من بداية الاسبوع الاول لشهر ديسمبر ١٩٨٢ الى نهاية الاسبوع الاخير من شهر ابريل ١٩٨٣ .

ادوات البحث :

اعتمد هذا البحث على الادوات التالية :

- ١ - الملاحظة الميدانية المصنفة على اشرطة الكاسيت .
- ٢ - الاختبار السيومتري .

أولا - الملاحظة الميدانية :

وتهدف الى جمع بيانات رقمية تمكن من تحديد الخصائص الميدانية لعمليات التفاعل الحركي لكل لاعب في الفريق على حده خلال المواقف الهجومية الكلية والثنائية فني المباريات . وتم ملاحظة (١٨) مباراة استغرقت (١٠٨٠) دقيقة ملاحظة موزعة على (٢٦) فترة زمنية طول كل فترة (٣٠) دقيقة

صدق وثبات الملاحظة :

- صدق الملاحظة : يقوم صدق الملاحظة على اساس انها عيشة مباشرة من السلوك الفعلي غير القابل لاي تفسير آخر الا كونه سلوك التفاعل الحركي للاعبين في المباراة خلال المواقف الهجومية الكلية والثنائية ، وقد تمت الملاحظة تحت شروط مجموعة من الضوابط وذلك على النحو التالي :

١ - مواقف الهجوم الكلية :

اشترط فيها تجميع بيانات رقمية عن اللاعبين خلال المواقف الهجومية التي ينفذها الفريق كله مقابلا وذلك خلال فترة بناء الهجمة وتتضمن البيانات التالية :

أ - حجم الاتصال :

ويتحقق من خلال تسجيل عدد مرات تمرير واستقبال الكرة التي ينفذها اللاعبون خلال المباريات ، وذلك بغرض تحديد متوسط حجم اتصال كل لاعب برمائه الاخرين في الفريق .

ب- تحقيق النتائج :

ويتم من خلال تسجيل عدد المحاولات التي يقوم بها كل لاعب في الفريق لتسجيل هدف خلال مواقف الهجوم الكلية وكذلك تسجيل عدد الاهداف الناجمة منها وذلك بغرض تحديد متوسط عدد المحاولات الناجمة في المباراة الواحدة .

٢- مواقف الهجوم الشائبة :

اشترط فيها تجميع بيانات رقمية من اللاعبين خلال مواقف الهجوم التي تتم بين اثنين من اللاعبين فقط وذلك خلال فترة انتهاء الهجمة مثل القطع والحجز وتبادل الاماكن وتتضمن البيانات التالية :

أ- قيادة المواقف :

ويتم فيها تسجيل عدد المرات التي يحاول فيها كل لاعب قيادة وتوجيه زميل آخر خلال موقف شائبة وكذلك تسجيل نتيجة الموقف بغرض الوصول الى تحديد متوسط حجم عمليات القيادة التي ينفذها كل لاعب في الفريق .

ب- انتهاء المواقف :

ويتم من خلال تسجيل عدد المرات التي يحاول فيها كل لاعب إنهاء موقف هجومي شائبة تحت قيادة وتوجيه زميل آخر ، وتسجيل نتيجة الموقف وذلك بغرض تحديد متوسط حجم عمليات الانهاء التي ينفذها كل لاعب في الفريق .

٣- ثبات الملاحظة :

تم ثبات الملاحظة بطريقتين ، الاولى عن طريق ايجاد نسبة الاتفاق التي يجمع عليها عدد من الملاحظين الخبراء

في دراسة نوع الملوك الملاحظ والثانية الهيئة الزمنية والتي تتطلب ان يسجل تكرار الصورة الملاحظة للملوك خلال عدد من الفترات الزمنية المحددة الموزعة توزيعاً منتظماً وتسمح هذه الطريقة بالتعبير الكمي عن حالات الملوك الملاحظ اذ باجراء سلسلة من الملاحظات في ايام متتالية يمكن الحصول على درجة تبين عدد المرات التي اظهر فيها اللاعب شكلاً معيناً من اشكال الملوك خلال فترة واحدة وخلال العدد الكلي للفترات (١ : ٤٦٢) .

وقد تم تطبيق الطريقتين ، وسجلت الملاحظة على اجهزة الكاسيت بواسطة خمسة من اعضاء هيئة التدريس والمدربين في مجال كرة اليد (الباحثون الاربعة بالإضافة الى عضو اخر) مرفق رقم (٢) خلال المباريات المختلفة والتي استغرقت (١٠٨٠) دقيقة ملاحظة موزعة على (٣٦) فترة زمنية طول كل فترة (٣٠) دقيقة وشمل ذلك (١٨) مباراة بمعدل (٦) مباريات لكل فريق .

ثانياً - الاختبار السيوستري :

يهدف الى تحديد اللاعبين المؤثرين على جو الفريق ووضوح المرفق رقم (١) اسئلة الاختبار والتي تركزت حول اكثر اللاعبين تأثيراً على جو الفريق في مواقف الهجوم المهمة خلال المباراة والتدريب والذي يفضل اللاعب للاشتراك معهم في اللعب سواء في مواقف الهجوم الكلي أو الشنائية أو التدريبات الجماعية وكل لاعب يحصل على معدل لا يقل عن (٦٦) من الاختيارات بعد لاعبا مؤثراً وذلك حسب القاعدة التي طبقها فاييت Vait (١٥ : ٦٠) والتي تسمى حدد فيها اللاعب المؤثر بحصوله على عدد من الاختيارات

لا يقل عن ثلثي عدد أعضاء الفريق وعلى هذا الأساس يشترط في هذا البحث حصول اللاعب المؤثر على (٦) اختيارات من (٩) على الأقل حتى يصبح لاعباً مؤثراً وقد تم احتساب معدل التأثير الميسومتري لكل لاعب في الفرق الثلاث من خلال البيانات الرقمية التي يحصل عليها اللاعب بعد تطبيق الاختبار الميسومتري .

معدل التأثير للاعب

= عدد الاختيارات التي تلقاها اللاعب من اللاعبين في الفريق

ن - ١

(٢ : ٧١)

حيث ن - ١ = عدد لاعبي الفريق بدون اللاعب المجري عليه الاختبار و(ن) تمثل عدد افراد الفريق وهم (١٠) لاعبين بعد استبعاد حراس المرمى .

صدق الاختبار الميسومتري :

تتمتع الاختبارات الميسومترية بصدق المواجهة بمعنى أن الفرد هو الحكم الحقيقي الوحيد لمشاعره تجاه زميله ، فعندما يسأل اللاعب مع من تفضل ان تتدرب لترفع من متواك في لعبة كرة اليد ؟ فان اجابته هي المقياس الصحيح .

ثبات الاختبار الميسومتري :

تم حساب الثبات عن طريق تطبيق الاختبار على فريقين يكونون (٢٠) لاعب كرة يد من غير عينة البحث بفواصل زمنية قدره (٣٠) يوما لاستبعاد تأثير الذاكرة (٣ : ١٤٦) وبإيجاد معامل الارتباط لاسئلة الاختبار بين الثنائيين خطل السؤال الاول على معامل ارتباط قدره (٧٨٤ر) والسؤال الثاني (٧٩٣ر) والثالث (٨٣١ر) وقد قام الباحثون بإيجاد معامل

الارتباط بين الاسئلة حتى ينفوا على مدى ارتباط هذه الاسئلة ببعض ، وقد كان معامل ارتباط السؤال الاول مع الثاني (٧٩٥) والسؤال الثاني مع الثالث (٨١٦) والسؤال الاول مع الثالث (٨١١) وكانت هذه الارتباطات ذات دلالة معنوية ، وعلى هذا الاساس تمكن الباحثون من اعطاء درجة كلية لكل لاعب عن طريق متوسط الاختبارات التي حصل عليها من زملائه في الفريق على الاسئلة الثلاث للاختبار السيسومتري .

تحليل البيانات :

استخدمت المصفوفات الاجتماعية لتحليل البيانات السيسومترية وكذلك معامل الارتباط لبيرسون والنسبة المئوية للتعرف على الخصائص الميدانية للاعبين المؤثرين في كل من فريق المستوى العالي والمتوسط والمنخفض وكذلك تحديد العلاقة بين معدل التأثير السيسومتري للاعب والمتغيرات الميدانية التي تم تحديدها في كل من مواقف الهجوم الكلية والثنائية . وقد تم تجميع البيانات وتحويلها الى مادة قابلة للمعالجة الاحصائية من خلال التفجيرات التالية :

- رقم اللاعب : وهو الرقم الذي سجل به اللاعب في الاختبار السيسومتري .

$$١ - \text{معدل التأثير السيسومتري} =$$

عدد الاختبارات الموجهة نحو اللاعب في الاختبار السيسومتري

٢ -

وتشراوح النتيجة بين واحد صحيح ومفرد .

٢ - تحليل 'المواقف الهجومية الكلية' :

١ - متوسط حجم الاتصال في المبارات =

عدد مرات استقبال وتمرير الكرة للاعب في المباراة

عدد المباريات التي اشترك فيها

ب - متوسط تحقيق النتائج =

متوسط عدد الاهداف التي يحرزها اللاعب في المباراة

متوسط عدد المحاولات التي تحتاج له في المباراة

= حيث متوسط عدد الاهداف التي يحرزها اللاعب في المباراة =

عدد الاهداف التي أحرزها اللاعب في المباريات

عدد المباريات التي اشترك فيها

= وحيث متوسط عدد المحاولات التي تحتاج له في المباراة =

عدد محاولات التصويب خلال المباريات

عدد المباريات التي اشترك فيها

٣ - تحليل المواقف الهجومية الشائبة :

أ - متوسط حجم قيادة المواقف الشائبة =

عدد المرات التي قام فيها اللاعب بقيادة مواقف شائبة خلال المباريات

عدد المباريات التي اشترك فيها

ب - متوسط حجم إنهاء المواقف الشائبة =

عدد المرات التي قام فيها اللاعب بانهاء موقف شائبة خلال المباريات

عدد المباريات التي اشترك فيها

عرض النتائج ومناقشتها :

أ - عرض النتائج :

جدول رقم (١) :

الوسط الحسابي لمعدل التأشير ومتوسط حجم المواقف الهجومية الكلية والثنائية خلال المباريات لفريق المستوى العالي .

رقم اللاعب	معدل التأشير	المواقف الكلية		المواقف الثنائية	
		متوسط حجم الاتصال	متوسط تحقيق النتائج	متوسط قيادة المواقف	متوسط انتهاء المواقف
١	٢٠٧	٢٠	مفر	٢٤٠٩	١٠٠٥
٢	٢٣٣	٤٣	٢٣٣	٢٤٠٩	٢٧٢٤
٣	٢٦٠	١٢٣	٢٢٠	٢٨٢	٨٧٢٨
٤	مفر	١٥	مفر	٣ -	١٥
٥	٢٧٢	١٤٩	١٨	٤٦١	٢٣ -
٦	٢٢٧	٤٥	١٠	٧٥	٧٢
٧	٢٣٣	٩٩	٢٥	٢٤٢٤	١٠٢٤
٨	٢٦٧	١٣٢	٢٣	٤٠٤	٢٩٦
٩	٢٠٧	٣٢	مفر	٨٥	٨٦
١٠	مفر	٣٧	مفر	٦ -	١٣٥

تشير نتائج الجدول رقم (١) وفقا للقاعدة التي حددها فاييت Vaite والتي تشترط حصول اللاعب على معدل لا يقل عن (١٣:٦٠) من اختبارات زملائه حتى يصبح لاعبا مؤثرا على جو الفريق الى وجود ثلاثة لاعبين مؤثرين في فريق

المستوى العالى وهم اللاعب رقم (٥) بمعدل تأثير يصل الى (٧٣) يليه اللاعب رقم (٨) بمعدل تأثير (٦٧) ثم اللاعب رقم (٣) بمعدل تأثير (٦٠) .

أما بالنسبة للمواقف الكلية فقد حصل اللاعبون المؤثرون (٣٠٨٠٥) على أعلى المعدلات فى حجم الإتمال اذ بلغ متوسطاتهم (١٣٩ ، ١٣٢ ، ١٢٣) وحدة اتمال على التوالي ، وتختلف نتائج اللاعبين المؤثرين بالنسبة لتحقيق النتائج، فقد سجل اللاعب رقم (٣) أعلى متوسط فى تحقيق نتائج الهجوم فى المواقف الكلية اذ بلغ (٢٢٠) وعلى العكس لم يستأثر اللاعب رقم (٥) أو رقم (٨) بمتوسط عال فى حجم تحقيق نتائج المواقف الكلية .

كما يشير جدول رقم (١) الى أن اللاعب المؤثر رقم (٥) قد حصل على أعلى متوسط فى قيادة مواقف الهجوم الشائبة وقد بلغ هذا المتوسط (٤٦١) موقف قيادى ، يليه اللاعب المؤثر رقم (٨) بمتوسط بلغ (٤٠٤) ولم يتميز اللاعب رقم (٣) بمتوسط عال فى هذه الخافية . أما بالنسبة لعمليات انتهاء المواقف الهجومية الشائبة فقد حصل اللاعب رقم (٣) على متوسط بلغ (٨٧٨) متميزا بقارق كبير فى عمليات انتهاء المواقف الشائبة عن زملائه رقم (٥ ، ٨) والذى بلغ متوسطهم (٢٩٦٠٣٣) على التوالي .

(١٢٤، ١٢٩) على التوالي على الرغم انهم لموا من اللاعبين المؤثرين ثم وزعت باقى متوسطات الفريق بين (صفر - ٨٥) وعلى العكس من النتائج السابقة فلم يحصل اللاعب المؤثر على متوسط عال فى تحقيق النتائج .

أما بالنسبة للمواقف الشائبة فقد حصل اللاعب المؤثر على أعلى متوسط لقيادة المواقف اذ بلغ (٤٩ر٨) ، ولم يحقق اللاعب المؤثر متوسط عال فى إنهاء المواقف الهجومية الشائبة جدول رقم (٢) .

جدول رقم (٣) :

الوسط الحسابى لمعدل التأثير ومتوسط حجم المواقف الكلية والشائبة خلال المباريات لفريق المستوى المنخفض

رقم اللاعب	معدل التأثير	المواقف الكلية		المواقف الشائبة	
		متوسط حجم الاتصال	متوسط حجم تحقيق النتائج	متوسط حجم قيادة المواقف	متوسط حجم إنهاء المواقف
١	٤٤ر	٦٤	٥ر	٥ر	٩ر١١
٢	٣١ر	١٢٨	صفر	٥ر٢٥	٢ر٠٢
٣	٦٢ر	٢٠٤	٦ر	٥ر٣٤	٥ر١٤
٤	٥٦ر	١٩٠	١٣ر	٥ر١٥	٩ر١٨
٥	٦ر	٧٢	١٦ر	٥ر٤	٦ر١٥
٦	١٣ر	٨٢	صفر	٦ر	٦ر٨٠
٧	صفر	٣١	صفر	٩ر١٤	١ر١٢
٨	صفر	٢٥	٣٣ر	٢ر١	٣ر٠
٩	٢٥ر	٧٦	١٦ر	٨ر٩	٩ر٥
١٠	٥٦ر	١٨٥	٢٢ر	٤ر٢٠	٦ر١٩

أسفرت نتائج الجدول رقم (٣) عن وجود لاعب واحد مؤثر في فريق المستوى المنخفض وهو اللاعب رقم (٣) والذي بلغ متوسطه في معدل التأثير (٦٣ر) .

أما بالنسبة لمواقف الهجوم الكلية فقد أظهرت النتائج ان اللاعب المؤثر رقم (٣) قد حصل على أعلى متوسط في حجم الاتصال اذ بلغ (٢٠٤) وحدة اتصال ، ولم يحقق متوسط عال في تحقيق النتائج اذ بلغ متوسط المواقف التي اشترك فيها (٠٦ ر) .

وتشير نتائج جدول رقم (٣) ان عمليات قيادة المواقف الشائبة كان محورها اللاعب المؤثر رقم (٣) مسجلاً متوسط مقداره (٣٤٥ر) قيادة موقف شائبي وعلى العكس من ذلك انخفض متوسط اشراك اللاعب المؤثر في عمليات انهاء المواقف الشائبة اذ بلغ متوسط اشراكه في هذه المواقف (١٣٥ر) .

جدول رقم (٤) :

العلاقة بين معدل التأثير على جو الفريق ومتوسط حجم
المواقف الهجومية الكلية والثنائية لمستويات الطرق
المختلفة (عال - متوسط - منخفض)

معدل التأثير على جو الفريق			المواقف الهجومية الكلية والثنائية
المستوى المنخفض	المستوى المتوسط	فريق المستوى العالى	
* * ٨٦١	* * ٨٧٩	* * ٩٤٣	الاتصال
٠٢١	٢٢٢	٤٩١	تحقيق النتائج
* * ٦٥١	* * ٧٠٤	* * ٧٧٩	قيادة المواقف الثنائية
٠٦٨	٥٨٨	٤٥١	انهاء المواقف الثنائية

تشير نتائج الجدول رقم (٤) الى وجود ارتباطات ذات دلالة احصائية عند مستوى (٠.١) فى جميع مستويات الفرق (عال - متوسط - منخفض) بين معدل التأثير السيسومتري وكل من الاتصال فى مواقف الهجوم الكلية ، وقيادة مواقف الهجوم الثنائية ، فقد كان مقدار هذا الارتباط فى حجم الاتصال (٩٤٣) فى فريق المستوى العالى ، (٨٧٩) فى فريق المتوسط ، (٨٦١) فى فريق المستوى المنخفض ، أما بالنسبة لقيادة المواقف الثنائية فكان الارتباط مقداره (٧٧٩-٧٠٤-٦٥١) لفريق المستوى العالى والمتوسط والمنخفض على التوالى . وعلى العكس من ذلك لم توجد اى علاقة فى جميع

مستويات الفرق (عال - متوسط - منخفض) بين معدل التأخير السيومتري وكل من تحقيق النتائج في مواقف الهجوم ———— الكلية وانهاء مواقف الهجوم الثنائية ، اذ بلغ معامل ارتباط تحقيق النتائج (٤٩١ر ، ٢٢٢ر ، ٠٢١ر) لجميع الفرق على التوالي وكذلك معامل ارتباط انهاء المواقف الذي وصل مقداره الى (٤٥١ر ، ٥٨٨ر ، ٠٦٨ر) لم يكن دال احصائياً ، جدول رقم (٤) .

مناقشة النتائج :

أولاً - نتائج الاختبار السيومتري :

اوضحت نتائج الاختبار السيومتري وجود ثلاث لاعبين من ذوى القوة الاجتماعية المؤثرين على هوالفريق فى فريق المستوى العالى جدول رقم (١) وللاعب واحد مؤثر فى كل من فريق المستوى المتوسط والمنخفض جدول رقم (٢،٣) وبدراسة أسباب اختيار اللاعبين لزملائهم المؤثرين اتضح وجود :

١ - أسباب تتعلق بالصفات الشخصية :

مثل الصداقة - تقارب الافكار - حسن التصرف - الجدية والرجولة - تحمل المسؤولية - عدم الانانية - تطلب الراى - الذكاء - المرح - معة البديهة .

٢ - أسباب تتعلق بالعمل داخل الفريق :

ارتفاع مستوى اللعب - التصرف فى الوقت المناسب - المعة فى تحويل الكرة - الاستقبال الجيد - الخبرة فى تهديئة اللعب - القدرة على المراوغة - سرعة الحركة - انقاذ الفريق وقت الهزيمة - اللعب لسنوات طويلة منا - حسن المعاشرة خلال اللعب - الجمع روح

اللاعبين المعنوية عند الأزمات وأوقات الهزيمة .
وتتفق هذه النتائج مع نتائج ملكية والتي تشير إلى أن عملية
التأثير لا تتصف بالعمومية بل ترتبط ببعض الأفراد
داخل الجماعة (٢٤٠:٥) ويضيف أيضا فايست Vait
أن عملية التأثير تتركز في عدد محدد من اللاعبين
داخل كل فريق (٥٣:١٥) .

ومما سبق يتضح أنه كلما ارتفع مستوى الفريق
ظهر أكثر من لاعب مؤثر في الفريق وكلما انخفض
المستوى تركز نمط اللاعب المؤثر في لاعب واحد فقط
في الفريق . ويرجع ذلك إلى أن الفريق ذو المستوى
العالي يضم نخبة من اللاعبين ذوي الكفاءة العالية
في الأداء مما أدى إلى ظهور أكثر من لاعب مؤثر .
وهذه النتيجة تجيب على التساؤل الأول لهذا البحث .
ثانياً - نتائج الملاحظة الميدانية :

دلت نتائج الملاحظة الميدانية إلى أن اللاعبين
المؤثرين يتميزون بالخصائص الميدانية التالية :

١ - مواقف الهجوم الكلية :

أ - الاتصال :

حصول اللاعبين المؤثرين على أعلى المتوسطات في
حجم الاتصال خلال عمليات الهجوم في كل من فريق المستوى
العالي والمتوسط والمنخفض ، جداول (٢٠١ ، ٢٠٢) ، وبايجاد
الملاقة بين معدل التأثير وحجم الاتصال أسفرت النتائج
عن وجود ارتباط عالي بين معدل التأثير السيومتري
ومتوسط حجم الاتصال لجميع مستويات الفرق الثلاث (عالي-
متوسط - منخفض) جداول رقم (٤) .

ويؤكد فاييت Vait على أن عملية الاتصال داخل الفريق أحد الاسس الهامة التي تركز عليها جميع عمليات الهجوم كما ان الاتصال يعد من مكونات النشاط التعاوني في الفريق (١٤:٧٤) .

بالإضافة الى أن تحركات اللاعبين بالكرة من خلال مهارات التمرير والاستقبال تعمل على اتصال اللاعبين بعضهم ببعض البعض الآخر من خلال الكرة للوصول الى تنفيذ تصوراتهم الخططي . كما أن لعبة كرة اليد تتطلب الكثير من الانتقالات الكثيرة للكرة بين اللاعبين مما يؤدي الى سلسلة طويلة من التمريرات علاوة على أنه ليس للاعب الحق في ملامسة الكرة مرتين متتاليتين باليد . مما يتضمن عليه اتصاله الدائم باللاعبين الآخرين .

وتحتاج عملية الاتصال الى تنظيم لهذه السلسلة الطويلة من التمريرات يكون بؤرة الاتصال فيها هو اللاعب المؤثر ويتضح ذلك من حصلة على أعلى متوسط في حجم الاتصال .

ب- تحقيق النتائج :

لم يستأثر اللاعبون المؤثرون بالمتوسطات العالية لتحقيق النتائج في مستويات الفرق الثلاث (عالى - متوسط منخفض) جداول رقم (٣٠٢٠١) . وبايجاد العلاقة بين معدل التأثير ومتوسط حجم تحقيق النتائج اتضح وجود ارتباط ضعيف بين معدل التأثير السيومتري ومتوسط تحقيق النتائج في جميع مستويات الفرق الثلاث ، جداول رقم (٤) .

وقد يعزى ذلك الى ان هؤلاء اللاعبين المؤثرين هم صانعوا اللعب في الفريق والمهيمنين على عملية الانسجام

والتكامل الحركي خلال عمليات الهجوم وهم الذين يقـم
على عاتقهم منع اللعب ونهية الظروف لباقي اللاعبين
حتى يتم تحقيق النتائج ولهذا الاسباب لايتوقف تحقيق
النتائج عليهم وحدهم فقط .

٢ - مواقف الهجوم الشنائية :

أ - قيادة المواقف :

تميز اللاعبون المؤثرون بالحصول على اعلى المتوسطات
في حجم قيادة المواقف الشنائية في جميع مستويات الفرق
جداول رقم (٢٠١ : ٣) كما اظهرت النتائج وجود ارتباط
عالي بين معدل التأثير السيومتري ومتوسط قيادة
المواقف الشنائية في جميع مستويات الفرق المختلفة
(عال - متوسط - منخفض) جدول رقم (٤) .

ويؤيد هذه النتيجة يونج Young اذ أنه يشير الى
أن القادة يستطيعون من خلال عملية القيادة التأثير
الاجابي على اسلوب اللعب ونتيجة ويعتبرهم نواه للعمل
الجماعي (٢٥١ : ١٢) . ويشير علاوي بأن القادة يتميـزون
بالذكاء التكتيكي حيث يستطيعون خلال هذه السمة ان يكونوا
مفتاحا للمواقف الخطئية (١٠٠ : ٦) .

كما اوضح شتيلر Stiehler انه من خلال القيادة
يتم تنسيق الاعمال الفردية في ذلك الكل الجماعي على
اساس من القانونية بفرض الوصول لافضل النتائج . كما
اضاف الى ان من يقوم بقيادة العمل الخططي هو صانع
الالعاب في الفريق وحدد مهمة في تنظيم العمل الفردي
والادوار الفردية لتصب في قالب الجماعي للفريق
(٦٤ : ١١) .

كما أكد دوبلر Dobler ان من يقوم بالقياسات
يتمف بأن يكون له القوة والقدوة على التأثير في الآخرين
وتوجيه سلوكهم لمبلغ هدف الجماعة (١٩٦:٩) .

ب- انتهاء المواقف :

اظهرت النتائج وجود ارتباط ضعيف بين معدل التأثير
الصيومتري ومتوسط انتهاء المواقف الثنائية في ككل
من فريق المستوى العالي والمتوسط والمنخفض ، جدول رقم
(٤) ويدل ذلك على ان اللاعبين المؤثرون لا يختصون وحدهم
بالمحتويات العالية في حجم انتهاء المواقف الثنائية
كما انه ليس من الضروري ان يكون لكل لاعب مؤثر متوسط
عال في حجم عمليات الانهاء ، وتشير جداول (٢،١،٢) ان
باقي اللاعبين قد شاركوا اللاعبين المؤثرين في هذه
الخاصية .

وتتفق هذه النتيجة مع نتائج فاييت Vait والتي
اشارت الى ان اللاعب المؤثر في الفريق يمكن ان يحتل
نفس المكانة التي يحتلها صانع الالعاب وليس بالضرورة
يكون محققا لنتائجها (٥٩:١٤) . وما سبق عرضه يجيب
البحث على التساؤلات ارقام ٢، ٣، ٤، ٥ .

الاستخلاصات والتوصيات :

- الاستخلاصات :

في حدود عينة البحث وادواته يمكن ملاحظة

الاستخلاصات فيما يلي :

- ١ - كلما ارتفع مستوى الفريق كلما ظهر اكثر من لاعبي
مؤثر وكلما انخفض المستوى تمركز نمط اللاعب المؤثر
في لاعب واحد فقط في الفريق .

٢ - يقوم اللاعبون المؤثرون بأكبر عمليات الاتصال بينهم وبين اللاعبين الآخرين خلال المباريات أى يتم بينهم وبين باقى اللاعبين اكبر عدد من مهارات تمرير واستقبال الكرة فى مواقف الهجوم الكلية التى يشترك فيها الفريق .

٣ - يقوم اللاعبون المؤثرون بأكبر عدد من عمليات القيادة والتوجيه لمواقف الهجوم الشائبة التى تتم بين اثنين من اللاعبين ، مثل التمرير للاعب القاطع ، المبادأة فى عمليات تبادل المؤكر وعمليات الاخذ والعطاء والحجز .

٤ - ليس ضروريا ان يتميز اللاعب المؤثر فى جو الفريق بقدره عالية فى تحقيق النتائج سواء فى المواقف الكلية أو المواقف الشائبة ولكن من الضرورى ان يتميز بالقدرة على المبادأة فى توجية وضع هذه المواقف .

٥ - من الممكن ان يتميز اللاعب المؤثر بالحجم العالى فى الاتصال والمعدل العالى فى تحقيق النتائج وكذلك المباراة العالية فى قيادة وانهاء المواقف الشائبة

٦ - بصفة عامة هناك عامل مشترك اعظم بين اللاعبين المؤثرين يتمركز فى ظاهرة الاتصال والتواصل بين اللاعب والمؤثر واللاعبين الآخرين فى الفريق خلال عمليات الهجوم .

مما سبق يمكن تحديد الخصائص الهجومية الميدانية للاعبين المؤثرين على جو الفريق خلال مباريات كرة اليد فيما يلى :

أولا - الاتصال :

حيث ان عملية التأثير على جو الفريق فى الألعاب الجماعية خلال المباريات تتركز على وجود فئة محددة من اللاعبين يتميزون بالقدرة على الاتصال

بينهم وبين اللاعبين الآخرين في الفريق بغض النظر
عن قدرتهم على تحقيق النتائج .

ثانيا - القيادة والتوجيه :

حيث تركز عملية التأثير على قدرة هذه الفئة على
المبادأة في توجيه المواقف الشئائية بغض النظر
عن نتيجة هذه المواقف ويمكن اعتبار ظاهرة توجيه وقيادة
المواقف الشئائية جزءا من ظاهرة الاتصال بين اللاعبين
لاعتمادها على عملية التمرير .

التوصيات :

في اطار الخصائص الميدانية المستخلصة التي تركز
عليها عملية التأثير ، ولجعل هذه الخصائص موضع التطبيق
الميداني يوصى الباحثون بما يلي :

١ - الاعتماد على استنباط اللاعبين المؤثرين ميدانيا في فرق
الاعباب الجماعية على حجم الاتصال أي تميزهم بحجم كبير
في الاستقبال والتمرير خلال المباراة .

٢ - لكي ترفع من مستوى اللاعبين المؤثرين من حيث اجادة
عملية التواصل والاتصال مع اللاعبين الآخرين خلال اللعب
فانه يلزم أن يعطى لهم برنامجا خاصا في دقة التمرير
والاستقبال في اطار النظم المختلفة لتحرك الهجوم
من حيث اتجاه التحرك وسرعته .

٣ - لكي تجعل اللاعب المؤثر متميزا في تحقيق النتائج فانه
يلزم أن نعمل على اتقان اللاعب للتكوينات الاساسية
والحركية وكذا اتقان التصويب على الهدف بأشكال متعددة
ومن المراكز المختلفة .

٤ - امكانية استخدام معادلة لاستنباط اللاعبين المؤثرين ميدانيا في المباراة على نهج المعادلة التي تم بها استنباط الافراد المؤثرين سيومثريا في الاختبار السيومثري وذلك على النحو التالي :

معدل التأشير الميداني =

متوسط عدد التمريرات الموجهة نحو اللاعب في الهجمة الواحدة

$$1 - 6$$

حيث يمكن اعتبار متوسط عدد التمريرات الموجهة نحو اللاعب في الهجمة الواحدة خلال اللعب تعبر عن عدد الاختيارات الموجهة نحو الفرد في الاختبار السيومثري .

وحيث أن متوسط عدد التمريرات الموجهة نحو اللاعب في الهجمة الواحدة =

عدد مرات استقبال الكرة الممررة إليه في الموسم كله

عدد المباريات التي اشترك فيها x عدد الهجمات المشتركة فيها

وحيث أن ١-٦ = عدد اللاعبين المشتركين في عملية الهجمة

الواحدة - اللاعب المختبر .

٥ - الاهتمام بمزيد من البحوث الميدانية في مجال ديناميات

فرق الألعاب الجماعية تتناول الأبعاد الأخرى التي لها

تأثير على جاعة فريق كرة اليد ، على أن يتعاون فريق

بحث متكامل نظرا لصعوبة جمع البيانات خلال المباريات

وصعوبة هذا المجال .

المراجع العربية :

١ - ديوبولد ب ، فان دالين ، مناهج البحث في التربية
وعلم النفس ، ترجمة محمد شيل نوفل وآخرون
مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٩ ،
ص (٤٦٢) .

٢ - سعد عبد الرحمن ، أسس القياس النفسى الاجتماعى ، مكتبة
القاهرة الحديثة ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص (٧١) .

٣ - سلوى عز الدين فكرى ، تأثير البناء الاجتماعى للجماعة
على نجاح فرق كرة اليد ، رسالة دكتوراه
غير منشورة ، كلية التربية الرياضية للبنات
بالاسكندرية ، جامعة حلوان ، ١٩٨٠ ، ص (١٤٦)

٤ - عبد الفتاح عبد الله ، العلاقة بين البناء السيومتري
للفريق وبعض المحركات الخططية الهجومية ،
رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية التربية
الرياضية للبنين بالاسكندرية ، جامعة
حلوان ، ١٩٧٩ ، ص (٤٤) .

٥ - لويس مليكة ، قراءات فى علم النفس الاجتماعى ، البناء
السيومتري وبناء القوة فى قرية عربية
للقومى للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٥ ،
ص (٢٤٢) .

٦ - محمد حسن علاوى ، سيكولوجية التدريب والعنافصات ، دار
المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص (١٠٠) .

المراجع الأجنبية :

- 7- Cartwright, D., A field Theoretical Conception of Power, In Cartwright D. Harag. Studies in an Arber 1959, p(183).
- 8- Dobler, H.: Schingriz , H.: Die Beobachtende Leistungserfassung Assung U. Leistungsmessung Inden Sport Spoielen DHFK, 1961, P.(196).
- 9- Hopkins, T.K., The Exercise of Influence in Small Group, Bedminster Press, Totows N.Y., 1964, P. (39).
- 10- Katz, T., & Lazerfield, P.F.,: Personlicher Einfluece Meiningsbildung, Verl F., U. Polotik, Wein, 1962, P.(59).
- 11- Stiehler, C.A.G.,: Zur Taktik in Der Spertspielen, Padsiss, D.H.F.K. Leipzig 1959, P.(64).
- 12- Young Kimball,: Hand Book of Social Psychology, Routledge & Kegan Paul, Ltd., London, 1969, p. (251).
- 13- Veit, H.,: Die Elementaren Beziehungner Swischen den Spielen, Verl. Karl Hofman, Schorndorĳ, 1971, "p.(60).
- 14- Veit, H., Untersuchungen Zur Gruppendynamik Von Ballspielmannschaft, Verlag Karl Hofmann, Schorndorf, 1971, pp.52-60, (74).

بسم الله الرحمن الرحيم

د. عبد الفتاح عبد الله د. عزة حمدي
د. سلوى فكري د. السيد سليمان

الخصائص الميدانية للاعبين المؤثرين على جوالفريق - دراسة في ديناميات الجماعة الرياضية الصغيرة -

استهدف البحث التعرف على الخصائص الميدانية التي يتميز بها اللاعبون ذوو القوة الاجتماعية المؤثرون على جوال الفريق خلال مواقف الهجوم الكلية والثنائية في مباريات كرة اليد ، وقد أجريت هذه الدراسة في المدة من ديسمبر ٨٢ الى ابريل ١٩٨٣ ، واشتملت العينة على (٣٠) لاعب كرة يد يمثلون ثلاث فرق من ثلاثة مستويات مختلفة (عالي - متوسط - منخفض) ، وقد تم تحديد اللاعبين المؤثرين بواسطة الاختبار السبومتری ، وتحديد الخصائص الميدانية عن طريق الملاحظة المسجلة على أشرطة الكاست ، وتم ملاحظة (١٨) مباراة ، استغرقت (١٠٨٠) دقيقة موزعة على (٣٦) فترة زمنية ، طول كل فترة (٣٠) دقيقة ، وتوصلت أهم النتائج الى انه كلما ارتفع مستوى أداء الفريق كلما ظهر أكثر من لاعب مؤثر ، وكلما انخفض المستوى تركز نمط اللاعب المؤثر في واحد فقط وقد أمكن تحديد الخصائص الميدانية للاعبين المؤثرين في خاصية الاتصال خلال مواقف الهجوم الكلية للفريق وخاصية القيادة والتوجيه في مواقف الهجوم الثنائية .

وفي ضوء نتائج البحث أوصى الباحثون بالاعتماد على خاصية الاتصال عند التعرف على اللاعبين المؤثرين ميدانيا في فرق كرة اليد ، أي تميزهم بحجم كبير في عمليات الاستقبال والتفريز خلال المباراة ، وارتفاع مستوى اللاعبين

المؤثرين من حيث اجادة الاتصال يعطى لهم برنامجا خاصا فى
دقة الاستقبال والتمرير فى اطار النظم المختلفة للتحرك
الهجومى مع اتقان اللاعبين للتكوينات الحركية الاساسية
الكلية والشنائية ، وكذلك اتقانهم للتصويب بأنواعه المتعددة
ومن المراكز المختلفة وذلك بالاضافة الى امكان استخدام
المعادلة التى اقترحها الباحثون للتعرف على اللاعبين
المؤثرين ميدانيا فى المباراة ، وكذلك الاهتمام بمزيد
من البحوث الميدانية فى مجال ديناميات فرق الالعاب الجماعية
التي تتناول الابعاد الاخرى غير ما تناولته هذه الدراسة .

بسم الله الرحمن الرحيم

الرياضة المدرسية ووقت الفراغ
دراسة تحليلية لوقت تلاميذ المرحلة الاعدادية
والثانوية بدولة الامارات العربية المتحدة

SCHOOL SPORTS AND LEISURE AN ANALYTICAL STUDY OF
SECONDARY AND PREPARATORY PUPILS TIME IN THE UNITED
ARAB EMIRATES

مقدم من

د. عزة حمدي

د. سمى ابراهيم

د. ليلا الميدي

د. سلوى فكري

كلية التربية الرياضية للبنات بجامعة حلوان

بسم الله الرحمن الرحيم

د. سمى ابراهيم
د. ملوى فكرى
د. عزة حممدى
د. ليلا الميضى

الرياضة المدرسية ووقت الفراغ

(دراسة تحليلية لوقت تلاميذ المرحلة الاعدادية والثانوية
بدولة الامارات العربية المتحدة) .
مقدمة البحث :

ان تقدم وتطور أى أمة يتوقف الى حد كبير على مدى
فاعلية وصلاحيه النظم والسبل التى تتبعها فى سبيل تحقيق
الاستفادة الكاملة من امكانياتها ومواردها المادية والبشرية
واذا جازت المفاضلة بين الموارد المادية والبشرية فمفوف
يكون التفضيل فى جانب البشرية منها بلا شك ، لانه بدونها
لن يتيسر كشف الموارد المادية أو تنميتها وتطويرها أو
الاستفادة منها وتسخيرها لخدمة المجتمع ، ولايشفع لاي بلد
أو أى أمة فى مضمار التقدم أن يكون لها ثروات مادية
متعددة ، وتكون طاقاتها وامكانياتها البشرية معطلة (١٤:٥)
وفى هذا الصدد يكون للشباب الاهمية الكبرى ، اذ أنه يعتبر
المقوم الأساس لنهضة المجتمع وشباب أى أمة هو المرأة
الصادقة التى تعكس واقع تلك الأمة ومدى نهضتها وتقدمها
أو الرعاية التى يتلقاها من مجتمعها .

وقد اعتمد الانسان أن يعطى مقدارا من وقته وجهده
لاداء العمل الذى يعود عليه بالفائدة المادية ويساعده على
توفير حياته المعيشية ، وقد جرى العرف على تسمية هذا
الوقت بوقت العمل ، وما يتبقى لديه بعد ذلك من وقت هو
الذى نسميه بوقت الفراغ أو الراحة أو الوقت الحر ، وهذا

الاخير هو الذى تتوافر فيه الحرية والانطلاق والرغبة وقد يقضيه الانسان فى ممارسة نشاط ما ، وقد يحدث فى أحيان أخرى ألا يكون هناك مثل ذلك النشاط مما يعتبر اهــداراً لطاقات الشباب ، ولذلك فقد كان برتراند رسل Bertrand Russel ينادى دائماً بأن أفضل إنتاج للمدنية يتمثل فى القدرة على ملء وقت الفراغ واستثماره بذكاء . (٢٦:٧) وقد أدى التقدم التكنولوجى وزيادة الموارد المادية فى دولة الامارات العربية المتحدة الى تنظيم حياة الافراد فى المجتمع بطريقة تختلف عن نظامها السابق فى الماضى والذى كان يتطلب جهداً شاقاً وعناءً بدنياً مضمياً سعياً فى طلب الرزق (الغوص لاكتشاف اللؤلؤ والصيد فى البر والبحر) يعكس النظام الحياتى الحالى الذى أدى الى زيادة وقت الفراغ وقلة المجهود البدنى المبذول مما أدى الى ظهور بعض الجوانب السلبية بين الشباب وتؤكد ذلك احصائية وحدة الاحداث الشاملة بالشارقة والتى تشير الى أن نسبة تمثيل تلاميذ المدارس تصل الى (٦٣.٧ ٪) من عدد الاحداث فى الدولة ، وتتركز أسباب الانحرافات فى السرقة والتخريب والانتقام بالإضافة الى شـم الغراء واللواط والاغتصاب ، ومبتوريع عدد الحالات على أشهر السنة بالنسبة للتلاميذ نجد ترايد هذه الحالات فى أشهر العطلات الصيفية .

وقد وجهت هذه الظاهرة نظر الباحثات الى ضرورة تحليل وقت تلاميذ المرحلة الاعدادية والثانوية والتعرف على مدى مساهمة الرياضة المدرسية (درس التربية الرياضية) فى توجيه التلاميذ لاستثمار وقت الفراغ فى ممارسة الانشطة الرياضية ، وقد تناولت الباحثات درس التربية الرياضية حيث يشترك فيه جميع التلاميذ .

* تم التوصل الى هذه المعلومات بعد الاطلاع على السجلات خلال المقابلة الشخصية التى قامت بها الباحثات الى وحدة الاحداث الشاملة بالشارقة .

وقد أجريت دراسات عديدة تناولت تحليل الوقت في دول كثيرة مثل الاتحاد السوفيتي ، أرتموف Artemov (١٩٦٦) (١٧:٩) ، برود نيسكي Prudenski (١٩٦٧) (٢٢٧:١١) ، معهد البحوث للشباب بألمانيا الديمقراطية (١٩٧٠) (٣ - ٢٢٤) وعطيات خطاب (١٩٧٦) (٢٣٢:٣) ، وعزة حمدي (١٩٧٨:٢) جمهورية مصر العربية ، الا انه لم تجر أي دراسة تتناول تحليل وقت التلاميذ في دولة الامارات العربية المتحدة مما أضاف مبررا آخر للضرورة اجراء هذا البحث .

أهداف البحث :

يهدف هذا البحث الى مايلي :

- ١ - دراسة وتحليل وقت تلاميذ المرحلة الاعدادية والثانوية وتحديد عدد ساعات هذا الوقت وكيفية توزيعها في وحدة زمنية محددة بيوم دراسي (٢٤ ساعة) .
- ٢ - معرفة مدى ماهرة درس التربية الرياضية بالمدرسة في كيفية استثمار وقت الفراغ لتلاميذ المدارس الاعدادية والثانوية ، ونوع وطريقة الممارسة سواء كانت تحت اشراف الموجه أو الذاتي .
- ٣ - معرفة دور أنشطة الدرس التنافسية (كرة القدم - اليد - السلة - الطائرة - ألعاب القوى - الجمباز) فسي استثمار وقت فراغ التلاميذ .

فروض البحث :

- ١ - يحتل وقت الفراغ جزءا كبيرا بالنسبة لانواع الأنشطة والطلوك في اليوم الدراسي .
- ٢ - يساهم درس التربية الرياضية في توجيه أفراد العينة لاستثمار وقت الفراغ في ممارسة الأنشطة الرياضية المختلفة .

- ٣ - تلعب الأنشطة التنافسية (قدم - يد - سلة - طائرة -
العاب قوى - جمار) والتي سبق وأن تعلمها التلاميذ
بالدرس دورا في استثمار وقت الفراغ بالنسبة لباحثي
الأنشطة التي لم يسبق لهم تعلمها بالدرس (سباحة -
كرة طائرة - أنشطة أخرى) .

إجراءات البحث :

- المنهج : استعان هذا البحث بالمنهج المصحى الوصفى .
- العينة : اشتملت العينة على (٧٧٠) تلميذا من تلاميذ
المرحلتين الاعدادية والثانوية من مواطني دولة الامارات
المربية بمنطقة الشارقة التعليمية وقد تم اختيارهم
بالطريقة العشوائية (٤٠٠) تلميذا من المرحلة الاعدادية ،
و (٣٧٠) تلميذا من المرحلة الثانوية بمتوسط سن (١٤ر٥) ،
١٧ر٣ على التوالي وقد شملت جميع مدارس المنطقة
للمرحلتين بنسب متساوية ، واقتصرت العينة على التلاميذ
دون التلميذات نظرا لان عادات وتقاليد مجتمع دولة
الامارات لاتسمح للتلميذات باستثمار وقت فراغهن خارج
المنزل بالإضافة لعدم وجود أى أندية رياضية خاصة بالفتيات
بالرغم من توفر الاندية الرياضية بالدولة الا أن التقاليد
لاتسمح للمرأة بارتياحها .

- الأدوات : اعتمد هذا البحث على الأدوات التالية :

أولا - بطاقة التسجيل الذاتى للوقت :

وتهدف هذه البطاقة الى تحديد عدد ساعات هذا الوقت
وكيفية توزيعه فى وحدة زمنية على أنواع الطوك والنشاط
الذى يمارسه الفرد طوال هذه الوحدة ، وقد استخدم اليوم
الدراسى (٢٤) ساعة كأساس للتوزيع النوعى للوقت وتم تحديد
أنواع الأنشطة فيما يلى :

- وقت الدراسة وما يرتبط به من وقت للانتقالات .
- وقت الاستذكار وحل الواجبات .
- وقت الحاجات اليومية الضرورية (تناول الطعام - الاغتسال - شراء الحاجات) .
- وقت النوم نهارا .
- وقت النوم ليلا .

وهناك دراسات سابقة استعانت بهذه البطاقة في بلدان متعددة ، روبلتر Roblitz (١١٠:١٢) في جمهورية ألمانيا الديمقراطية ، عطيات خطاب (٢٣٧:٣) وعزة حممدى (٢١٣:٢) في جمهورية مصر العربية ، الا انه لم يسبق وان استخدمت في دولة الامارات قبل ذلك .

وقد أضيف الى البطاقة التى تم استخدامها فى هذا البحث النوم نهارا ، نظرا لطبيعة النظام اليومى والجو الحار وعادات مجتمع دولة الامارات التى تختلف عن طبيعة البلدان الاخرى التى استخدمت فيها البطاقة وشم هذا التعديل بمسند اجراء عدة مقابلات شخصية مع عينة من تلاميذ المرحلتين خلال المرحلة الاولى من التجربة الاستطلاعية .

ونظرا لتحديد اليوم كوحدة زمنية قسمت البطاقة الى (٢٤) خانة أفقية تبدأ من الساعة السادسة صباحا حتى صباح اليوم التالى ولمدة (٢٤ ساعة) وتمثل كل خانة ساعة واحدة قسمت الى قسمين كل قسم يمثل نصف ساعة ، وقد تم كتابة أنشواغ الأنشطة والسلوك على الجانب الايمن من البطاقة وعلى أفراد عينة البحث وضع علامة (x) أمام السلوك أو النشاط الممارس وأسفل للوقت الذى استغرقه التلميذ فى اليوم السابق ثملا الاستعارة والذى تحدد من بداية الاستيقاظ صباحا حتى الذهاب للنوم . مرفق رقم (١)

ثانيا - استمارة الاستبيان :

تهدف هذه الاستمارة الى التعرف على مدى مساهمة الرياضة المدرسية في كيفية استثمار وقت فراغ تلاميذ المدارس الاعدادية والثانوية ، ونوع وطريقة الممارسة سواء كانت تحت الاشراف الموجه أو الذاتي .

ولاعداد هذه الاستمارة قامت الباحثات خلال المرحلة الاولى من التجربة الاستطلاعية بعدد من المقابلات الشخصية لتلاميذ المرحلة الاعدادية والثانوية بهدف التعرف على العوامل التي تساعدهم على ممارسة الرياضة أثناء وقت الفراغ وكذلك المشاكل والمعوقات التي يتعرضون لها أثناء هذه الممارسة كما تم استشارة المتخصصين والخبراء في ميدان المشكلة والجوانب المرتبطة بها وقد أسفرت هذه المرحلة عن تحديد الميادين الخاصة بالاستمارة فيما يلي :

- درس التربية الرياضية .
- كيفية استثمار وقت الفراغ .

وفي المرحلة الثانية من التجربة الاستطلاعية تم اختيار عينة عشوائية من تلاميذ المرحلة الاعدادية والثانوية بلغ عددهم (١٠٠) تلميذ تم تطبيق أدوات البحث عليهم وقد أسفرت هذه التجربة عن تعديل صياغة بعض المبارات الغامضة وادماج بعض الاسئلة لكي لا تستغرق الاجابة زمنا طويلا .

وللتحقق من صدق الاستمارة بعد اجراء التعديل الاخير عليها قامت الباحثات بعرضها على المحكمين والخبراء مرفق رقم (٣) الحاصلين على درجة الدكتوراه في التربية الرياضية والترويح وعلم النفس بكل من جامعة الامارات ووزارة التربية والتعليم بدولة الامارات العربية المتحدة وعلى هذا الاساس تم اصدار

الميدان الخاص بدرس التربية الرياضية الأسئلة رقم
(٢ ، ٢ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ١١) .

أما الميدان الخاص بكيفية استثمار وقت الفراغ فقد
تناول الأسئلة رقم (١ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤) مرفق
رقم (٢) ، كما تم التأكد من ثبات الاستمارة عن طريق إعادة
التطبيق على (٥٠) تلميذا من المرحلتين بفاصل زمني مدته
(١٤) يوما وتم حساب معامل الارتباط بين التطبيقين وقد بلغت
درجة الثبات (٠.٧١) .

وبعد أن تحققت الباحثات من المعاملات العلمية لأدوات
البحث تم توزيع استمارة الاستبيان وبطاقة التسجيل الذاتي
للوقت على عينة البحث في بداية الأسبوع الثاني من شهر
فبراير (١٩٨٣) داخل الفصول الدراسية وخلال اليوم الدراسي
وقد قامت الباحثات بقراءة الاستمارة وبطاقة وشرحهما شرعا
وأفيا ثم تركت الحرية لأفراد العينة للاجابة بمنتهى الراحة
والاطمئنان مع التأكيد على أن هذه البيانات سرية ويمكن
للتلميذ عدم ذكر اسمه إذا رغب في ذلك ، وتم تفريغ
الاستمارات يدويا وإجراء المعادلات الاحصائية التي أسفرت عن
النتائج التالية :

عرض النتائج ومناقشتها :

شملت نتائج هذا البحث مايلي :

أولا - تحليل الوقت .
ثانيا - درس التربية الرياضية
ثالثا - كيفية استثمار وقت الفراغ .
أولا - تحليل الوقت :

أسفرت نتائج تحليل بطاقة التسجيل الذاتي للوقت بالنسبة
للنوزع الكمي والكيفي لأفراد العينة خلال يوم دراسي واحد مايلي :

جدول رقم (١) التوزيع الزمني والكيفي لوقت تلاميذ المرحلة الإعدادية والثانوية

المرحلة الثانية		المرحلة الثالثة		المرحلة الرابعة		المرحلة الخامسة	أنواع السلوك
%	ساعة	ساعة	دقيقة	%	ساعة	دقيقة	
٢٩,١٧	٧ -	٧	-	٢٧,٠٨	٦	٣٠	وقت الدراسة وما يرتبط به من وقت انتقالات .
١٢,٥٠	٣ -	٣	-	٩,٧١	٢	٥٥	وقت الاستذكار وحل الواجبات .
٨,٣٣	٢ -	٢	-	٨,٧١	٢	٢٠	وقت الحاجة اليومية الضرورية .
٤,١٦	١ -	١	-	٢,٤٢	٥٨	٣٥	وقت نهارا
٢٩,٨٨	٧,١٧	٧	١٠	٣٢,٣٢	٨ -	٨	النوم ليلا
٨٤,٠٤	٢,١٧	٦٠	١٠	٨١,٢٥	١٨	٩٠	المجموع الكلي لأنواع السلوك
١٥,٩٦	٣,٨٣	٣	٥٠	١٨,٧٥	٤	٣٠	وقت الفراغ
١٠,٠٠	٢,٤٠	٢٣	٦٠	١٠,٠٠	٢٢	١٢٠	مجموع ساعات اليوم

ويتضح من الجدول رقم (١) ان متوسط عدد ساعات وقت الدراسة وما يرتبط به من أوقات انتقالات (٦٥٠) ساعة بالنسبة لتلاميذ المرحلة الاعدادية ونسبة مئوية مقدارها (٢٧٠٨/٠٠٠) ، أما تلاميذ المرحلة الثانوية فبلغ متوسط عدد الساعات (٧) ساعات ونسبة مئوية (٢٩١٧/٠٠٠) . كما بلغ عدد ساعات الاستذكار وحل الواجبات المدرسية (٢٣٣) ساعة ونسبة مئوية مقدارها (٩٧١/٠٠٠) للمرحلة الاعدادية بينما بلغ متوسط المرحلة الثانوية (٢) ساعات ونسبة مئوية (١٢٥٠ ٪) وقد يعزى تفوق هذا النوع من السلوك للمرحلة الثانوية عن الاعدادية لزيادة المواد الدراسية في هذه المرحلة واحتياج التلاميذ الى استيعاب وتركيز أكبر من المرحلة الاعدادية ، وإذا ما تمت مقارنة هذه النتائج بالدراسات التي أجريت في ج.م.ع. نجد أن هناك تقارباً إذ بلغ متوسط وقت الاستذكار (٣٥٠) ساعة إلا أنه مع المقارنة بالدراسة التي أجريت في جمهورية ألمانيا الديمقراطية نجد ان متوسط وقت الاستذكار اليومي يبلغ (٥٨) دقيقة فقط وقد تغزى هذه الأسباب الى زيادة فاعلية وسائل وطرق التعليم بألمانيا عن الدول العربية ، الأمر الذي يجبر التلميذ في الدول العربية على بذل المجهود من الجهد والوقت في الدراسة والتحصيل في المنزل . وقد كان متوسط وقت النوم ليلاً (٧١٢) ساعة ونسبة مئوية (٢٩٨٨ ٪) للمرحلة الثانوية ، والنوم نهاراً (١) ساعة ونسبة مئوية (٤١٦ ٪) ويتناسب مجموع اوقات النوم لتلاميذ دولة الامارات مع جمهورية مصر العربية والذي بلغ (١١ - ٨) ساعة ، وإذا تمت المقارنة مع جمهورية ألمانيا الديمقراطية نجد ان متوسط ساعات وقت النوم ليلاً يبلغ

(٩-١١) ساعة وقد ترجع هذه الفروق الى الجهد الذى يبذله تلاميذ الدول العربية فى التحصيل والدراسة بالمنزل (٢٤٠:٣)

مما سبق يتضح ان النسبة المئوية للمجموع الكلى لانواع السلوك للمرحلة الاعدادية بلغ (٨١.٢٥%) وللمرحلة الثانوية (٨٤.٠٤%) وقد تم تحديد وقت الفراغ بطـرح المجموع الكلى لانواع السلوك المختلفة من ٢٤ وهي عدد ساعات اليوم الواحد . وتظهر النتائج ان متوسط وقت الفراغ اليومي فى المرحلة الاعدادية بلغ (٤ر٥٠) ساعة ونسبة مئوية (١٨.٧٥%) وفى المرحلة الثانوية (٣ر٨٣) ساعة ونسبة مئوية (١٥ر٩٦%) وبمقارنة حجم وقت الفراغ لافراد العينة مع الدراسات الاخرى نجد ارتفاع معدل النسبة المئوية لافراد العينة ، فوق وقت الفراغ لدى تلاميذ وتلميذات المرحلة الثانوية فى ج ٠م٠ع بلغ (٣) ساعات و (٢٩) دقيقة و(٢) ساعة و(٤٢) دقيقة على التوالى (٣ - ٢٤٥) .

واذا تم اضافة عطلات نهاية الاسبوع والعطلات المئوية نجد ان هناك زيادة فى كمية هذا الوقت للتلاميذ وان استثمار هذا الوقت فيما يفيد قد يؤثر على تطور ونمو الشخصية بصورة ايجابية تعود على الفرد وعلى المجتمع بالفائدة . اما اذا لم يحسن استغلال وقت الفراغ فينفصل الافراد فى أنشطة هدامة أو عديمة الفائدة كما اظهرته احصائية وحيدة الاحداث الشاملة بالشارقة اذ كانت نسبة تمثيل تلاميذ المدارس حوالى (٦٣ر٥٠%) من عدد الاحداث .

من النتائج السابقة يتضح ان متوسط عدد ساعات وقت الفراغ تشغل نسبة كبيرة من اليوم وخاصة فى المرحلة الاعدادية (٤ر٥٠) ساعة وبهذا يتحقق صدق الفرض الاول .

ثانيا : درس التربية الرياضية :

اسفرت نتائج تحليل استمارة الاستبيان والتي تناولت
درس التربية الرياضية على ما يلي :

جدول رقم (٢) : النسبة المئوية لترتيب افراد العينة للمواد الدراسية
حسب تفضيلهم لهم

المواد المجموع	التربية المواد	اللغة المواد	الرياضيات	التربية الاجلامية	اللغة الفرنسية	المواد العلمية	اللغة العربية
٧٧٠	١٥٨	١٢	٦٨	٩٢	٢٢	٤٩	٩٥
١٠٠	٢٠٦	١٦	٨٨	١١٩	٢٩	٦٤	١٢٣

يتضح من الجدول رقم (٢) ان مادة التربية الرياضية احتلت الموقبة الثانية بالنسبة لافضلية اختيار افراد العينة بالمقارنة بالمواد الدراسية الاخرى ان بلغت (٢٠٦٪) بينما حصلت مادة التربية الاجلامية على المرتبة الاولى بنسبة مئوية بلغت (٢٨٤٪) وتدرجت باقي المواد بعد ذلك في الترتيب وهذه النتيجة يتضح ان مادة التربية الرياضية من المواد الدراسية التي يفضيها ويميل اليها التلاميذ .

جدول رقم (٢) : النسبة المئوية لدى اختيار أفراد المينة لمدرس المواد كقعدة
صنعة لهم

مدرس المواد	التربية الإسلامية	التربية الرياضية	الرياضيات	اللغة العربية	اللغات الأجنبية العلمية	المواد المجموع
المرحلة ت الاعدادية %	٨٨	١٢١	٤٦	٢٩	٥٤	٢٦ ٢٦ ١٠٠
المرحلة ت الاعدادية %	٢٢	٢٠٢	١١٥	٧٣	١٣٥	٦٥ ٩ ١٠٠
المرحلة ت الاعدادية %	١٥٠	٤٥	٤٠	٢٤	٥٤	١٣ ٤٤ ١٠٠
المرحلة ت الاعدادية %	٤٠٥	١٢٥	١٠٨	٦٦	١٤٦	٣٥ ١٠٩ ١٠٠

تغير نتائج الجدول رقم (٢) الى ان تلاميذ المرحلة الثانوية اختاروا مدرس التربية الإسلامية كقعدة حسنة بنسبة (٤٠٥ %) يلية مدرس اللغة العربية بنسبة مئوية (١٤٦ %) ثم مدرس التربية الرياضية بنسبة مئوية (١٢١ %) ، اما في المرحلة الاعدادية فقد حمل مدرس التربية الرياضية على اعلى النسب المئوية من بين مدرسي المواد الاخرى بنسبة مئوية (٢٠٢ %) يلية مدرس التربية الإسلامية بنسبة مئوية (٢٢ %) وتدل هذه النتائج على ان لمدرس المادة تأثير كبير على اتجاهات التلاميذ الإيجابية نحو المادة الدراسية ويتفق ذلك عند مقارنة نتائج هذا الجدول بـ نتائج الجدول رقم (٢) .

جدول رقم (٤) : النسبة المئوية لمدى تأييد ورفض افراد العينة لالغاء مادة التربية الرياضية

المرحلة التعليمية	نعم		لا		المجموع
	ت	%	ت	%	
الاعدادية	٤٣	١٣ر٨	٢٥٧	٨٩ر٢	٤٠٠
الثانوية	٥١	١٠ر٧	٣١٩	٨٦ر٢	٣٧٠

تتفق نتائج الجدول رقم (٤) مع النتائج السابقة فقد اشار افراد العينة الى رفضهم لفكرة الغاء مادة التربية الرياضية وحرصهم على ان تظل ضمن برامج المواد الدراسية بالمدرسة وقد بلغت نسبة الرفض لفكرة الالغاء في المرحلة الثانوية والاعدادية على التوالي (٨٦ر٢ %) (٨٩ر٢ %) وتعتبر هذه النتيجة مؤشرا لاتجاه التلاميذ نحو الشعور بأهمية المادة ومدى حاجتهم اليها .

جدول رقم (٥) : النسبة المئوية لمدى كفاية دروس التربية الرياضية لافراد العينة

المرحلة التعليمية	كافية جدا		كافية		غير كافية		المجموع
	ت	%	ت	%	ت	%	
الاعدادى	٥١	١٢ر٧٥	١٥٩	٣٩ر٨	١٩٠	٤٧ر٥	٤٠٠
الثانوى	٥٩	١٥ر٩٥	١٢٥	٣٣ر٨	١٨٦	٥٠ر٢٧	٣٧٠

تظهر نتائج الجدول رقم (٥) ان (٣٩.٨ %) من تلاميذ المرحلة الاعدادية ، (٢٣.٨ %) من تلاميذ المرحلة الثانوية يعتبرون دروس التربية الرياضية كافية (درسان اسبوعيا) بينما (١٢.٢٥ %) من المرحلة الاعدادية ، (١٥.٩٥ %) من المرحلة الثانوية يعتبرونها كافية جدا وتدل هذه النتائج على ان هناك اثباعا لحاجة التلاميذ الى حد ما نحو دروس التربية الرياضية ، الا ان هناك نسبة لا يمكن تجاهلها بالمرحلتين تقرر ان عدد هذه الدروس غير كاف (٤٧.٥ %) بالمرحلة الاعدادية ، (٥٠.٢٢ %) بالمرحلة الثانوية مما يستوجب التوصية بزيادة عدد حصص المادة لتلاميذ المرحلتين .

وتؤيد الدراسة التي قام بها كورت وهارت فيلـد Kortee, Hart Field (٧٦٦:٦) ان النشاط الرياضي يجـيـب الا يقل عن ثلاث مرات اسبوعيا في المدارس الثانوية حتى يكون البرنامج مفيد ومؤثر بدرجة فعالة في ممارسة الانشطة الرياضية وتؤيد الباحثات وجهة النظر هذه .

جدول رقم (٦) : النسبة المئوية للحالة الانفعالية لافراد العينة بعد ممارستهم درس التربية الرياضية

المجموع	نعم		لا		المجموع	المرحلة الانفعالية التعليمية	الحالة
	ت	%	ت	%			
٤٠٠	٢٥٧	٨٩.٥	٤٣	١٠.٧	٤٠٠		الاعدادي
٣٢٠	٢٣٥	٩٠.٥	٢٥	٩.٥	٣٢٠		الثانوي

تشير نتائج جدول رقم (٦) أن (٩٠.٥ ٪) من طلاب المرحلة الثانوية يشعرون بارتياح نفس بعد ممارسة درس التربية الرياضية بينما بلغت النسبة المئوية في المرحلة الإعدادية (٨٩.٣ ٪) مؤكدة نفس الشعور ونعتبر هذه النتائج من المؤشرات التي تؤكد أن درس التربية الرياضية يحقق أهدافه الوجدانية .

جدول رقم (٧) : النسبة المئوية للنشاط الذي يفضل افراد العينة أن يحتوى عليه الجزء الأكبر من الدرس

محتويات الدرس	ممارسات في الالعاب		تمرينات لياقة بدنية		اممارسة أنشطة أخرى		المجموع
	ت	%	ت	%	ت	%	
المرحلة التعليمية							
الاعدادى	٢٢٨	٥٢	٨٦	٢١٥	٨٦	٢١٥	٤٠٠
الثانوى	٢٦٥	٧١	٤٥	١٢٥	٦٠	١٦٢	٣٧٠

يوضح الجدول رقم (٧) أن هناك شبه اتفاق بين تلاميذ المرحلتين على أن الجزء الأكبر من الدرس يفضل أن يحتوى على مباريات فى الألعاب المختلفة أى على النشاط التنافسى وقد بلغت النسبة المئوية (٥٧ ٪ ، ٧١ ٪) للمرحلة الاعدادية والثانوية على التوالى وتتفق هذه النتيجة مع ما أفردت عنه الدراسة التى قام بها محمد علاوى (١٩٧٠) والتى احتلت الألعاب الجماعية النصيب الأكبر من اهتمامات تلاميذ وتلميذات المرحلة الثانوية والاعدادية بجمهورية مصر العربية (١٥٥:٨) كما وتناسب هذه النتيجة مع خصائص أفراد العينة واحتياجاتهم الشبية إذ أن المنافسة تعتبر من مظاهر العلاقات الاجتماعية المرغوبة والتى يمكن أن تسهم دروس التربية الرياضية فى توجيه السلوك التنافسى البناء والتحكم فى الانفعالات الضارة ، فإذا استطاع التلميذ أن ينجح فى رياضة معينة بواسطة انجذابه فى السلوك التنافسى عندئذ فإن الرغبة فى النجاح فى الموقف التنافسى سوف تصبح أكثر تماكيا فى تركيب شخصيته (١٠٢:٤) .

ثالثا - كيفية استثمار وقت الفراغ :

أفردت نتائج تحليل استمارة الاستبيان والتسلى تناولت كيفية استثمار أفراد العينة لوقت الفراغ مايللى :

جدول رقم (٨) : النسبة المئوية للنشاط الذي يفضل أفراد العينة ممارسته في وقت الفراغ .

نوع النشاط	ممارسة الرياضة	مشاهدة التلفزيون	القراءة	الاعمال اليدوية	سماع الموسيقى	لعب الشطرنج	الرسم	نشطة اجتماعية	ممارسات أخرى	المجموع
ت	٤٤٥	٨٨	٧٥	٦٥	٤٩	٣٧	٢٣	١١	٢٨	٨٢١
%	٥٤.٦	١٠.٧	٩.١	-	٦.٠	٤.٥	٢.٨	١.٣	٣.٤	١٠٠

إذا تم تقسيم الأنشطة المفضلة في وقت الفراغ حسب ريليز Ripliz نجد أن هناك أنشطة

يشارك فيها الفرد ويمارسها بصورة إيجابية مثل ممارسة الأنشطة الرياضية والرسم والعزف على الآلات الموسيقية أو الاشتراك في فرق التمثيل وأنشطة أخرى استقبالية يقصد بها استقبال الفرد نشاط خارجي عن طريق الحوار والسمع والبصر كما هو الحال في القراءة أو مشاهدة التلفزيون (٦١٨:١٣) .

وعلى هذا الاساس نجد أن نتائج الجدول رقم (٨) : تشير الى أن (٦٦,٢%) من أفراد العينة يمارسون أنشطة ايجابية وان كانت الاغلبية تمارس الرياضة بنسبة (٥٤,٢%) بينما يمارسون (٢٥,٨%) أنشطة استقبالية منها مشاهدة التلفزيون والقراءة .

جدول رقم (٩) :
النسبة المئوية لعدد ساعات مشاهدة أفراد العينة للتلفزيون

عدد الساعات		ت	%
أقل من ١ ساعة الى ٢ ساعة		٤٤٨	٥٨,٢
أكثر من ٢ ساعة الى ٣ ساعة		١٦٣	٢١,٢
أكثر من ٣ ساعة		١٥٩	٢٠,٦
المجموع		٧٧٠	١٠٠

دلت نتائج جدول رقم (٩) أن (٥٨,٢%) من أفراد العينة تشاهد يوميا التلفزيون لمدة تتراوح بين أقل من ساعة الى ساعتين ، (٢١,٢%) تشاهد أكثر من ساعتين الى ثلاث ساعات (٢٠,٦%) تشاهد أكثر من ثلاث ساعات وبذلك يشترك جميع أفراد العينة في الأنشطة الاستقبالية وان اختلفت عدد ساعات المشاهدة .

جدول رقم (١٠) :

النسبة المئوية للمصادر التي يستمد منها أفراد العينة معلوماتهم عن الرياضة .

المصدر		المرحلة التعليمية		الاعدادى		الثانوى	
				ت	%	ت	%
الصحف اليومية				١٠٠	- ٢٥	١٧٠	- ٤٦
مدرسى التربية الرياضية				٨٠	- ٢٠	٣٥	٩٥
الاصدقاء				٤٦	١١٥	٧٦	٢٠٥
المدرّب				١٠٤	- ٢٦	٣٦	٩٧
التليفزيون				٧٠	١٧٥	٥٣	١٤٣
المجموع				٤٠٠	١٠٠	٣٧٠	١٠٠

تشير نتائج الجدول رقم (١٠) الى أن الصحف اليومية كانت المصدر الرئيسى الذى يستمد منه تلاميذ المدارس الثانوية والاعدادية معلوماتهم عن الرياضة اذ بلغت النسبة المئوية (٤٦ % و ٢٥ %) على التوالى وقد ارتفعت عن النسبة المئوية لمدرسى التربية الرياضية من حيث انه مصدر للمعلومات الرياضية وهذه النتائج تظهر أن لوسائل الاعلام من صحف وتليفزيون دور ملموس يؤثر تأثيراً واضحاً فى سلوك الافراد والجماعات .

جدول رقم (١١) : النسبة المئوية لموافقة أسر أفراد العينة على ممارسة الابناء الرياضة في وقت الفراغ

نوعية الموافقة		ت	%
نعم لا	نعم	٦٦٢	٨٥٫٩
	لا	١٠٨	١٤٫١
المجموع		٧٧٠	١٠٠

تظهر نتائج الجدول رقم (١١) أن (٨٥٫٩%) من الأسر توافق على ممارسة أبنائها للرياضة في وقت الفراغ بينما (١٤٫١%) ترفض ذلك ، ويؤكد كثير من المربين الرياضيين وعلماء الطب الرياضي على أن الممارسة الرياضية في وقت الفراغ من حيث أنها عامل هام من عوامل الراحة الايجابية النشطة ينبغي أن ينظر اليها كمجال هام من أهم المجالات في تشكيل وقت الفراغ لجميع الافراد (١٧٥:٣) ، كما تشير بعض الدراسات الى أن نسبة الشباب الذين يتجهون الى ممارسة جنسية غير سوية ضئيلة للغاية بين الشباب الذين يمارسون نشاطا رياضيا بينما تزداد هذه النسبة بين الشباب الذي لا يجد ما يشغل فراغه (١٦٥:١) .

جدول رقم (١٢) : النسبة المئوية لاختيار افراد العينة لمكان مفضل لممارسة الرياضة
في وقت الفراغ واصباب التفضيل

مكان الخسر				شبابى				مبادئ عامة				المدرسية				مكان الممارسة
اعدادى		شبانوى		اعدادى		شبانوى		اعدادى		شبانوى		اعدادى		اسباب التفضيل		
%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت			
٢٠٢٧	٢٨	٦٢	٢٥	١٨٩	٤٤	٤٢	٧٥	٤٨	٩٦	٣٢	١٢٨	١٠	٢٥	عوامل الامن والسلامة		
٥٧	٢٢	٣٢	٣٢	٨	٢٢	٢٢	٢٢	٢٢	٢٢	٢٢	٢٢	٢٢	٢٢	توفر الامكانيات		
٣٤	٢٢	٥٢	١٣	١٠	٢٢	٢٢	٢٢	٢٢	٢٢	٢٢	٢٢	٢٢	٢٢	تجمع الاصدقاء		
٥٧	٢٢	٣٢	٣٢	٨	٢٢	٢٢	٢٢	٢٢	٢٢	٢٢	٢٢	٢٢	٢٢	الشعور بالحرية والانطلاق		
٦٠	٢٨	٦٢	٢٥	١٨٩	٤٤	٤٢	٧٥	٤٨	٩٦	٣٢	١٢٨	١٠	٢٥	المجموع		

تشير نتائج جدول رقم (١٢) الى أن تأثير جماعات
الاصدقاء كبيرا على افراد عينة المرحلة الثانوية حيث
انهم يفضلون ممارسة الرياضة في الميادين العامة بنسبة
مئوية مقدارها (٤٨.٩٢ %) وقد كان سبب التفضيل لانسبة
المكان الاخص لتجمع الاصدقاء والرفاق بالاضافة الى شعورهم
فيه بالحرية والانطلاق بينما يفضل طلبة المرحلة الاعدادية
الاندية كمكان للممارسة بنسبة (٤٣.٧٥ %) لتوفر الامكانيات
وتوفر عامل الامن والسلامة ، وهذه الظاهرة تشير الى
ضرورة الاهتمام بهؤلاء الاعداد في الاندية خوفا من تسريحهم
الى الميادين العامة حينما يحتاجون الى جماعة الرفاق
والشعور بالحرية والانطلاق وذلك وفقا لمتطلبات المرحلة
السنية التي سوف يمرون بها . وهذا يدعو الى ضرورة اهتمام
المسؤولين عن الاندية الرياضية بتوفير الابواب والنظم
الادارية والتربوية للاشراف والتوجيه داخل هذه الاندية
بحيث تتلاءم وجميع المستويات والفئات ، فهناك من ينتظم
للممارسة من اجل البطولات وهناك فئات اخرى تمارس من
اجل لقاء الاصدقاء واشباع الموايات فيجب ان يوضع في
الاعتبار الطريقة والاعلوب الذي يتناسب ورغبات وميول
كل فئة .

جدول رقم (١٣) : النسبة المئوية لممارسة افراد العينة للنشاط الرياضي في ولايت الغراغ ومدى هاعلية الدرس في هذا النشاط

نسبة الممارسة		ت	نوع الممارسة
%			
٦٦.٩	٥١٥	٧٧٠	يمارس خارج المدرسة وسبق ان تعلم ما يمارس بالدرس
٢٦.٤	٢٠٣		يمارس خارج المدرسة ولم يسبق له ان تعلم ما يمارس بالدرس
٦.٧	٥٢		لا يمارس الرياضة خارج المدرسة
١٠٠	٧٧٠		المجموع

تظهر نتائج الجدول رقم (١٣) ان (٦٦.٩ %) من افراد العينة يمارسون خارج المدرسة في اوقات فراغهم احد الانشطة الرياضية التي سبق ان تعلموها بدرس التربية الرياضية ، مقابل (٢٦.٤ %) من افراد العينة يمارس أنشطة لم يسبق له تعلمها بالدرس وهذه النتيجة توضح ان درس التربية الرياضية بالمدرسة وما يشتمل عليه من أنشطة مختلفة هو الذي يكسب التلاميذ الموهول نحو ممارسة الأنشطة الرياضية في وقت الفراغ وتؤكد هذه النتيجة الدراسات التي اجراها كل من جوردان (١٩٦٣) ، وSpoulding (١٩٧٠) حول العلاقة بين الخبرات المكتسبة من خلال ممارسة

الانشطة الرياضية ودرجة المشاركة في النشاط الرياضي والترويج المنتظم حيث توصلنا الى ان المعلومات الاضافية التي يكتبها الفرد من خلال ممارسة النشاط تعتبر من أهم النواحي التي تؤثر على عملية الممارسة والاستمرار في اداء الانشطة الرياضية (٧٦٨:٦) فالفرد يميل الى أن يمارس في وقت فراغه أوجه النشاط التي له خبرة سابقة بها فاذا اجاد التلميذ لعبة معينة وتفوق فيها فذلك يعد من الدوافع الاساسية للاستمرار في ممارستها ، ويتضح مما سبق ان درس التربية الرياضية يحاكي في توجيه افراد العينة لاستثمار وقت الفراغ في ممارسة الانشطة الرياضية المختلفة والتي سبق وان تعلموها خلال الدرس . (وبذلك يتحقق صدق الفرض الثاني) .

جدول رقم (١٤) : النسبة المئوية لأنواع الأنشطة الرياضية التنافسية التي يمارسها افراد العينة في وقت الفراغ ومدى فاعلية الدرس في هذه الأنشطة

نوع النشاط	أنشطة سبق تعلمها بالدرس نسبة %	أنشطة لم يتقن تعلمها بالدرس نسبة %	المجموع
كرة القدم	٢٣٢	٤٥١	٦٨٣
كرة الطائرة	١١٥	٢١٩	٣٣٤
كرة المائدة	٨٥	١٦٥	٢٥٠
كرة اليد	٨٣	١٦١	٢٤٤
العاب القوى	٢	٠٤	٠٦
الجمباز	صفر	صفر	٠
كرة الطاولة	x	x	٢
السباحة	x	x	٢
الدراجات	x	x	٢
أنشطة أخرى	x	x	٢
المجموع	٥١٥	١٠٠	٦١٥

تظهر نتائج الجدول رقم (١٤) ان انواع الانشطة الرياضية التنافسية التي يمارسها افراد العينة وسبق لهم تعلمها يدرس التربية الرياضية بالمدرسة اشتملت على الالعاب الجماعية التنافسية ، فحصلت كرة القدم على أعلى نسبة من الممارسين لهذه الفئة اذ بلغت (٤٥ ٪) وذلك امر مسلم به لما لهذه اللعبة من شعبية وما تتميز به من اهتمام وسائل الاعلام المختلفة ، ثم تلتها الكرة الطائرة والتي تحتل باهتمام كبير في دولة الامارات وقد يرجع ذلك الى سهولة ممارستها واعداد ملاعبها بالاضافة الى عدم وجود الاحتكاك الجسماني والجرى المتواصل بالمقارنة باليد والسلة وهذه الاسباب تناسب طبيعة المناخ الحار لدولة الامارات ، ثم تقاربت نسبة الممارسين لكل من كرة السلة والحد اذ بلغت على التوالي (١٦٥ ٪ ، ١٦١ ٪) ، ١ ٪ بالنسبة لالعاب القوى فكانت نسبة الممارسين (٤ ٪) ولم يمارس احد من افراد العينة نشاط الجمباز وقد يعزى ذلك الى ميل افراد العينة الى الانشطة التي تتيح فرص التفاعل مع جماعة الاصدقاء والاقربان بالاضافة الى ما تحتاجه هذه الانشطة من استعدادات خاصة من حيث الادوات والاجهزة والملاعب والضوابط الاخرى لعمليات الممارسة والتدريب والتحكم ، أما بالنسبة لانواع الانشطة التي يمارسها افراد العينة ولم يحق لهم تعلمها بالدرس فقد اشتملت على كرة الطاولة بنسبة (٣٧٤ ٪) من نسبة هذه الفئة ثم السباحة بنسبة مثوية بلغت (٢٨١ ٪) بالرغم من انها نشاط فردي ، ثم الدرجات بنسبة (٢٢٢ ٪) وانشطة اخرى بنسبة (١٢٣ ٪) وتعد هذه النتيجة مقبولة منطقيا فيالنسبة للسباحة فالتكوين الجغرافي لدولة الامارات يتميز

بوقوعها على الخليج العربي مباشرة مما يوفر مساحات مائية هائلة مناسبة لممارسة الباحة طوال العام نظرا لطبيعة المناخ الجوى كما أن ارتفاع المستوى الاقتصادي بوجه عام يساعد على وفرة الامكانيات اللازمة لممارسة التلاميذ لجنس الطاولة والدراجات .

والخلاصة ان الغالبية العظمى من افراد العينة - وبنسبة (٦٦.٩ %) يمارسون فى وقت الفراغ أنشطة رياضية تنافسية سبق وان تعلموها بالدرس وبصفة خاصة الالعاب الجماعية (القدم - الطائرة - اليد - السلة) مقابل (٢٦.٤ %) من افراد العينة يمارسون أنشطة رياضية مختلفة لم يسبق لهم تعلمها بالدرس وكانت هذه الأنشطة (كرة الطاولة - الباحة - الدراجات) جداول رقم (١٣ ، ١٤) ويتضح مما سبق ان أنشطة الدرس التنافسية كان لها دورا اساسيا فى استثمار وقت فراغ افراد العينة فى ممارسة هذه الأنشطة (وبذا يتحقق صدق الفرض الثالث) .

الاستخلاصات :

فى حدود عينة هذا البحث والادوات المستخدمة : يمكن التوصل الى الاستخلاصات التالية :

- حجم وقت الفراغ لعينة البحث يشغل نسبة كبيرة من اليوم الدراسي .

- درس التربية الرياضية له قوة مؤثرة فى تشكيل حياة التلاميذ داخل المدرسة حيث أنه يأتى فى مكانة متقدمة بعد العقيدة الدينية فى المرحلة الثانوية ويأتى متقدما عنها فى المرحلة الاعدادية وذلك لما يشعر به التلاميذ من رضا وارتياح نفى وبدنى بعد ممارسته .

- من خلال مكانة الدرس المتميزة بالنسبة لميول التلاميذ
فان مدرس التربية الرياضية احتل مكانة متقدمة كقدوة
حسنة .
- ضرورة زيادة حصص التربية الرياضية بالمدرسة الى ثلاث
حصص اسبوعيا .
- ان يشتمل الجزء الاكبر من محتوى درس التربية الرياضية
بالمدرسة على الأنشطة التنافسية الجماعية مثل (القدم -
الطائرة - السلة - اليد) .
- ان ممارسة التلاميذ للنشاط الرياضى خارج المدرسة فى
وقت الفراغ هو امتداد طبيعى لممارستهم هذه الأنشطة
داخل درس التربية الرياضية .
- من العوامل الايجابية التى اظهرتها نتائج البحث ان نسبة
عالية من التلاميذ يستثمر وقت فراغه فى النشاط الرياضى
وان هذا يتم بموافقة الاسرة .
- من العوامل السلبية التى اظهرتها نتائج البحث ان نسبة
عالية من التلاميذ الممارسين للنشاط الرياضى خارج
المدرسة وخصوصا تلاميذ المرحلة الثانوية يمارسون
هذه الأنشطة فى الميادين العامة بدون اشراف أو توجيه
وذلك لشعورهم بالحرية والانطلاق وسط مجتمع الاصدقاء
وان هذا يشبع حاجاتهم الاجتماعية والعاطفية .
- يتناسب السن تناسباً عكسياً مع ميل التلاميذ لممارسة
النشاط الرياضى بالاندية فكلما زاد السن كلما قل الميل
لممارسة بالاندية والعكس .
- ان وسائل الاعلام وخاصة الصحف اليومية كانت المصدر
الرئيس الذى يعتمد منه تلاميذ المدارس معلوماتهم عن
الرياضة .

التوصيات :

- يجب على المسؤولين في مجال التربية والتعليم ان يهتموا بالعوائق الادارية والتنظيمية التي تعطل استغلال مكائبة درس التربية الرياضية المرموقة بين التلاميذ في المدرسة . وجعل هذه المكائبة سبيلا الى زيادة الاهتمام باجراءات التنفيذ والتوجيه للتربية الرياضية المدرسية .
- زيادة عدد حصص التربية الرياضية الى ثلاث حصص اسبوعيا على الاقل وخاصة في المرحلة الاعدادية .
- زيادة فاعلية درس التربية الرياضية عن طريق زيادة جرعة الأنشطة التنافسية (قدم ، طائرة ، يد ، كرة ، بالاضافة الى الساحة وشن الطاولة) ، وذلك لمقابلة احتياجات التلاميذ ، على ألا يقتصر تنافس التلميذ مع زملائه فقط بل يشمل تنافس التلميذ مع ذاته او مع ارقام ومعايير موضوعية .
- العمل على زيادة الاهتمام بالجانب المعرفي في درس التربية الرياضية حيث تكون الثقافة الرياضية للشباب خارج المدرسة امتدادا طبيعيا للتربية المدرسية .
- يجب على المجلس الاعلى الاهتمام باستغلال الميادين العامة في توجيه الحركة الرياضية في الدولة شريطة أن تكون هذه المراكز الشبابية تحت الادارة الذاتية للشباب .
- يجب على وسائل الاعلام توعية اولياء الامور لمدى أهمية الممارسة الرياضية للتلاميذ في وقت الفراغ وخاصة الصحف والتليفزيون وتنظيم ما يقدم للجمهور بحيث تشجع على خلق اتجاهات وميول متعددة فالنظام الثابت والوتيرة الواحدة ينشأ عنهما جمهور ذو طابع واحد وهذا يفسد التنوع والتباين اللذين هما منبع الازدهار الحضارى

والتقدم والدليل على ذلك الاهتمام بكرة القدم مع العلم بأن الرياضة تحوى العديد من الأنشطة والمجالات الخصبة المتنوعة لمختلف الميول ، فيجب عدم الاهتمام بنشاط على حساب الآخر .

- يمكن تنظيم الحركة الرياضية بمجتمع دولة الامارات بشكل مثالى لاستثمار الحجم الكبير من وقت الفراغ عند التلاميذ من خلال استغلال مكانة درس ومدرس التربية الرياضية المرموقة ، واستغلال الموافقة الايجابية للاجرة وكذلك امكانيات الاندية المتوفرة بالإضافة الى استغلال وسائل الاعلام على ان يشارك فى هذا التنظيم كل من وزارة التربية والتعليم والمجلس الاعلى للشباب والرياضة .

المراجع العربية :

- ١ - ابراهيم وجيه ، علم النفس والشباب ، طرابلس ، دار مكتبة الفكر ، ١٩٧٤ ، ص (١٦٥) .
- ٢ - عزة حمدي ، الثقافة البدنية والرياضة فى سلوك وقت الفراغ ، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية التربية الرياضية للبنات ، جامعة حلوان ، الاسكندرية ، ١٩٧٨ ، ص (٢١٣) .
- ٣ - عطيات خطاب ، أوقات الفراغ والترويح ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٩ ، ص ١٩ ، ١٧٥ ، ٢٢٤ ، ٢٢٣ ، ٢٢٧ ، ٢٤٥) .
- ٤ - على محمد مطاوع ، سيكولوجية المنافسات ، الجزء الاول دار المعارف ، ١٩٧٧ ، ص (١٠٢) .
- ٥ - عمر محمد التومى الشبانى ، الاسس النفسية والتربوية لرعاية الشباب ، طرابلس ، الدار العربية للكتاب ، ١٩٧٣ ، ص (١٤) .

- ٦ - كمال درويش ، خير الدين على عويس ، دور الممارسة الرياضية في المرحلة الثانوية على إستراتيجية ممارسة النشاط الرياضى والبرامج الترويحية ، بحث منشور، المؤتمر العلمى الرابع لدراسات وبحوث التربية الرياضية للبنين بالاسكندرية ، فبراير ، ١٩٨٣ ، ص ٧٧٦ ، (٧٦٨)
- ٧ - كمال درويش وآخرون ، اتجاهات حديثة في الترويح ووقت الفراغ ، القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٨٢ ، (٣٦) .
- ٨ - محمد حسن علاوى ، علم النفس الرياضى ، دار المعارف ، الطبعة الرابعة ١٩٧٩، ١٩٥٠، ١٩٦٠، ٢٠٢٠، (٢٠٣) .

المراجع الأجنبية :

- 9 - Artemow, W.: Statistik Von Zeitbudgets. Moscow, 1967, P. (17).
- 10- Forster, P.: Analyse des Zeitbudgets. Berlin, 1979.
- 11- Prudenski, G.: Die Nichtarbeitszeit Der Werktagen, 1978, P. (227).
- 12- Roblitz, G.: Freizeitnutzung und Sportliche Betätigung. Leipzig, 1964, P (110).
- 13- ----- Zur Ermittlung und Einteilung des Freizeitverhalten. T.F.M.F. Leipzig, 1962, P. (613).

د. عزيز حمدي
د. ليلا الميدي

د. صفي ابراهيم
د. سلوى فكري

الرياضة المدرسية ووقت الفراغ

(دراسة تحليلية لوقت تلاميذ المرحلة الاعدادية والثانوية
بدولة الامارات العربية المتحدة)

يهدف هذا البحث الذي أجرى على عينة من (٧٧٠) تلميذا من تلاميذ المرحلة الاعدادية والثانوية بمنطقة الشارقة التعليمية الى التعرف على مدى مساهمة الرياضة المدرسية (درس التربية الرياضية بالمدرسة) في كيفية استثمار وقت الفراغ لعينة البحث ، وقد تم تحليل الوقت باستخدام بطاقة التسجيل الذاتي لتحديد كمية وكيفية توزيع الوقت في وحدة زمنية محددة بـ ٢٤ ساعة) للتعرف على المتوسط اليومي لانواع السلوك والانشطة التالية : وقت الدراسة والانتقالات - وقت الاستذكار وحل الواجبات - وقت الحاجات اليومية الضرورية وقت اليوم نهارا - وقت اليوم ليلا . وقد تم تحديد وقست الفراغ بطرح المجموع الكلي لافاقات السلوك المختلفة من ٢٤ وهي عدد ساعات اليوم الواحد . ولمعرفة مدى مساهمة درس التربية الرياضية بالمدرسة في توجيه التلاميذ نحو ممارسة الرياضة في وقت الفراغ وسرع وطريقة الممارسة سواء كانت تحت الاشراف الموجه أو الذاتي أعدت استمارة استبيان تناولت ميدانين ، الاول درس التربية الرياضية والثاني كيفية استثمار وقت الفراغ . وقد نفذ هذا البحث في بدايات اسبوع الثاني من شهر فبراير ١٩٨٣ . وأسفرت أهم النتائج عن أن متوسط ساعات وقت الفراغ اليومي بالنسبة لافراد العينة كان كبيرا ، وان درس التربية الرياضية بالمدرسة له قوة

مؤثرة في توجيه أفراد العينة نحو ممارسة الأنشطة الرياضية في وقت الفراغ .

وتوصى البحوثات بضرورة تطوير درس التربية الرياضية بالمدرسة بما يتناسب وميول التلاميذ بأن يحتوى الجزء الأكبر من الدرس على الأنشطة التنافسية بالإضافة الى زيادة عمود الدروس الأموعية عما هو مقرر حاليا حتى تزداد فاعلية الدرس في التأثير على التلاميذ إذ أنه الأساس الأول لاعداد القاعدة العريضة من الممارسين لوجه النشاط المختلفة . العمل على تنظيم الحركة الرياضية بالمجتمع بشكل مثالي لاستثمار الحجم الكبير من وقت الفراغ عند التلاميذ وذلك عن طريق تنسيق الجهود المبذولة بين كل من وزارة التربية والتعليم والاعلام والمجلس الأعلى للشباب والرياضة .

ABSTRACT

SCHOOL SPORTS AND LEISURE, AN ANALYTICAL STUDY OF SECONDARY AND PREPARATORY PUPILS' TIME IN THE UNITED ARAB EMIRATES. Dr. SOMAI MORST, Dr. AZZA HAMDI, Dr. SALWA FIKRY, Dr. LAILA ELMISSELY : FACULTIES OF PHYSICAL EDUCATION FOR GIRLS, HELWAN UNIVERSITY.

The study aimed at recognizing the extent the school sports (the physical education lessons) contribute to the investment of the free time of the sample which comprised 770 secondary and preparatory pupils in Sharjah educational zone. Time was analysed by using the self-recording card for defining the amount and way of distribution of elements in a time unit: 24 hours. This was effected for recognizing the daily mean of different behaviours and activities namely study and transportation time, studying and homework time, daily necessities time, day sleep time and night sleep time. Leisure is measured by deducting the whole activities time from the 24 day hours. For defining the extent the physical education lesson contributes to practising sports in the free time, and the kind and way of this practise whether guided or spontaneous, a questionnaire was designed dealing with two fields : the physical education lesson and the way of investing free time. The study was carried out from the beginning of the second week of February,

1983. Conclusions proved that the daily mean of leisure hours of the sample was rather high and the physical education lesson has a deep effect on directing the sample towards practising sports during free time.

Researchers, therefore, recommend the necessity of developing the physical education lesson so as to suit the pupils' tendencies. The lesson, which has to be increased in number, has to comprise competitive activities for deepening the lesson effectiveness as it is the basis of creating the large base of practitioners of various activities. Moreover sports movement as a whole has to be rearranged in the society for investing the big sum of pupils' free time through coordination of efforts exerted by both Ministry of Education and the Higher Council for Youth and Sports.

مستوفى رقم (1)
توزيع استمارة من امانة الوقت (كمية وكمية)
الرجاء وضع اللاصقة (ب) عند بداية زنها بامانة الوقت المفضل لكل ممثل من الاعمال التجارية التي قامت بها
بالامانة بالتصديق

مرفق رقم (٢)

أخي الطالب / السلام عليك ورحمة الله وبركاته

يهدف هذا البحث الى التعرف على مدى ماهمة التربية الرياضية في حين استثمار وقت الفراغ .

فالمرجو منك هو التعاون الصادق وأخذ الموضوع بمأهرو جدير به من الجدية والاهتمام حتى يحقق هذا البحث أهدافه وتنعكس آثاره الطيبة في المساهمة في شغل أوقات الفراغ بما يعود عليك وعلى المجتمع بالخير والرفاهية ولذلك المرجو اتباع الاتسى :

- قراءة الاسئلة جيدا قبل البدء في الاجابة .
- وضع علامة () في المكان المحدد لها والذي يمثل وجهة نظرك حسب تعليمات كل سؤال .
- عدم اغفال الاجابة عن أى سؤال مدرج بالاستبيان .
- الاجابة بصدق على جميع الاسئلة ، علما بأن لك الحرية في تسجيل الاسم أو لاعلى الاستمارة .

والله الموفق ،،،،

- ب -

اسم المدرسة :

اسم التلميذ :

١ - ماهو النشاط المفضل الذى تمارسه فى وقت الفراغ ؟

الرجاء وضع علامة واحدة :

- () القراءة . () الشطرنج .
 () الرسم . () الرياضة .
 () سماع أو عزف الموسيقى () الألعاب الالكترونية
 () مشاهدة التلفزيون () النشاط الاجتماعى
 () ممارسات أخرى حدد ..

٢ - رتب المواد الدراسية الآتية حسب ميلك لها :

- () اللغة العربية () الرياضيات
 () المواد العلمية (طبيعة) () اللغة الانجليزية
 كيمياء / أحياء () () المواد الأدبية (علم
 () اللغة الفرنسية نفس / فلسفة / منطق)
 () التربية الإسلامية () التربية الرياضية .
 () المواد الاجتماعية
 (تاريخ / جغرافيا)

٣ - لمادة التربية الرياضية دروس مخصصة لكل صف هل تعتقد
أنهما كافية ؟

() كافية جدا () كافية () غير كافية

٤ - هل تشعر بارتياح نفس وبدنى بعد ممارستك درس التربية
الرياضية ؟

() نعم () لا

٥ - اذا تقرر الفاء بعض المواد الدراسية هل تفضل أن تكون
مادة التربية الرياضية احدها ؟

() نعم () لا

- ٦ - ماهو النشاط الذى تود أن يشتمل عليه الجزء الأكبر من
درس التربية الرياضية ؟ ضع علامة () على نشاط واحد فقط .
- مباريات فى الألعاب المختلفة (كرة قدم - كرة يد -
كرة سلة - كرة طائرة - ألعاب قوى - جمباز)
- تمرينات لياقة بدنية .
- تعليم وتدريب لمختلف الألعاب .

- ٧ - أى من مدرسي المواد التالية تختاره قدوة حسنة لك ؟
() مدرس التربية الاسلامية () مدرس اللغة العربية
() مدرس التربية الرياضية () مدرس اللغة الانجليزية
() مدرس الرياضيات () مدرس العلوم
() مدرس الاجتماعيات
مدرس مادة أخرى .

- ٨ - كم ساعة تقضيها فى مشاهدتك للتلفزيون يومياً ؟
() ساعة .

- ٩ - هل تمارس الرياضة خارج المدرسة ؟

() نعم () لا

إذا كانت الاجابة بنعم .

اذكر نوع الرياضة التى تمارسها ؟

- ١٠ - هل مارست هذا النشاط فى درس التربية الرياضية قبل
ممارستك له خارج المدرسة ؟

() نعم () لا

- ١١ - رتب المصادر التى تستمد منها معلوماتك عن الرياضة
حسب أولويتها ؟ () الصحف اليومية

() مدرب النادي . () مدرس التربية

() البرامج الرياضية بالتلفزيون الرياضية

() الأصدقاء .

- ٣ -

١٢ - ماهو المكان المفضل لك بالنسبة لممارستك للرياضة

في وقت الفراغ (اختر مكان واحد فقط) :

() المدرسة . () النادي .

() الساحات العامة () مكان آخر ...

ولماذا ؟

.....

١٣ - هل توافق أسرتك على ممارستك الرياضة في وقت الفراغ؟

() نعم () لا

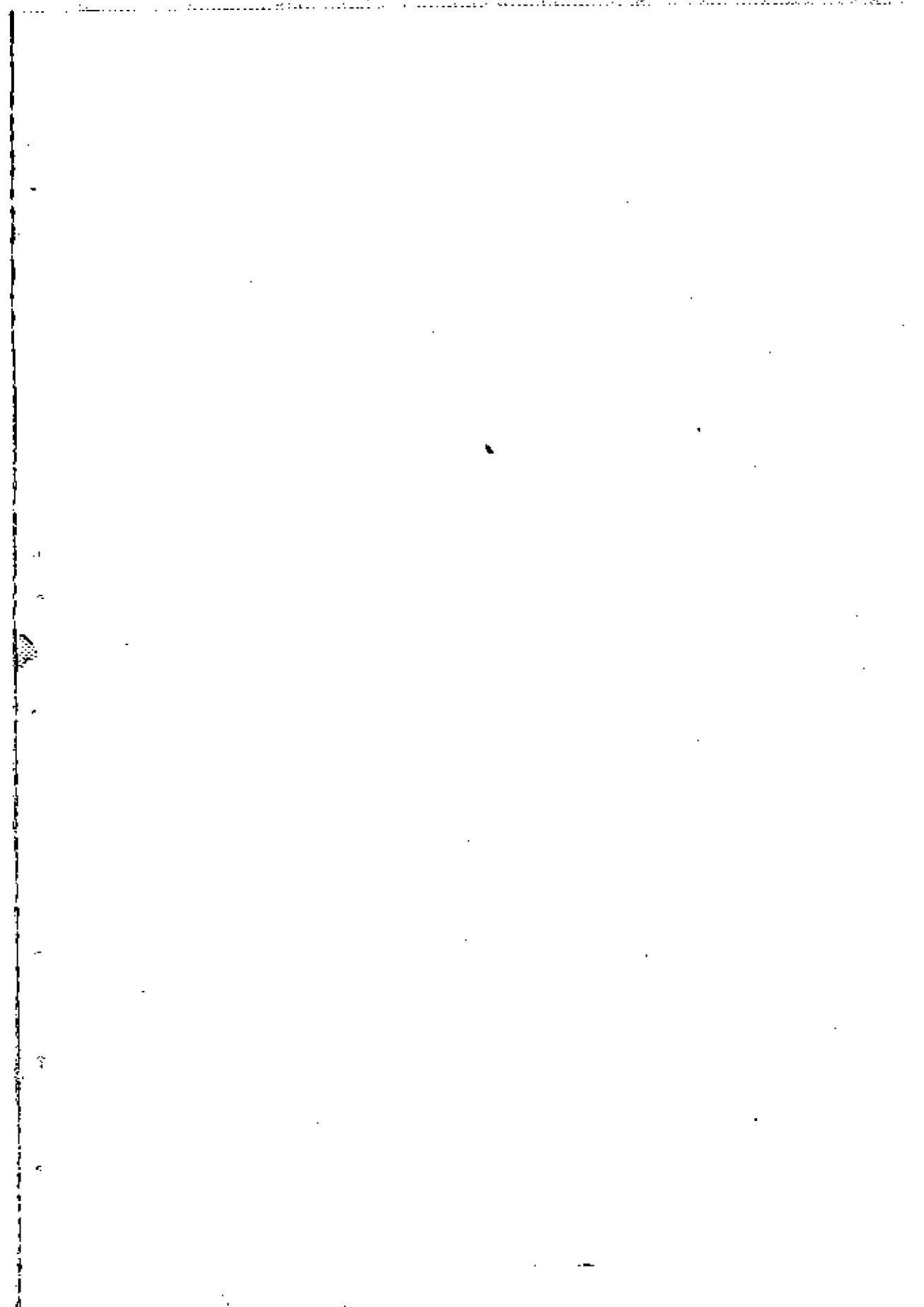
مرفق رقم (٣)
اسماء السادة المحكمين

- ١- د . حسن همام
امشاذ مساعد علم الاجتماع -
كلية الاداب - جامعة الامارات
- ٢- د . عباس احمد
استاذ مساعد علم الاجتماع -
كلية الاداب ، جامعة
الامارات .
- ٣- د . نزار محمد سعيد
امشاذ مساعد علم النفس -
كلية التربية - جامعة
الامارات .
- ٤- د . محمد عبد الرازي هويدي
مدرس علم النفس - كلية
التربية - جامعة الامارات
- ٥- د . ليلى عبد السلام
استاذ مساعد - كلية التربية
الرياضية للبنات بالجزيرة .
- ٦- د . عبد الفتاح عبد الله
امشاذ مساعد - كلية التربية
الرياضية للبنين بالامكندرية
- ٧- د . سيد سليمان
مدرس بكلية التربية
الرياضية للبنين
بالامكندرية .

النوبة والمحاولات الإسلامية لفتحها

فيما بين عامي (٢٠ - ٣١ هـ / ٦٤١ - ٦٥٢ م)

دكتور / محمد عبد العال أحمد



النوبة والمحاولات الإسلامية لفتحها

فيما بين عامي (٢٠ - ٣١ هـ / ٦٤١ - ٦٥٢ م)

دكتور محمد عبد العال أحمد

النوبة ، طائفة من طوائف السودان ، تنسب الى نوبي ابن قفط بن مصر بن نيسر بن حام بن نوح^(١) وقيل أنهم ولد نوبة بن كوش بن كنعان بن حام^(٢) ويزعمون أنهم من نسل حمير^(٣).

وتقع بلاد النوبة الى الجنوب من مصر ، وكانت تضم المناطق الممتدة على طول جانبي النيل فيما بين الشلال الأول عند أسوان شمالا ، الى ملتقى النيلين الأبيض والأزرق^(٤) أي الى مدينة الخرطوم الحالية جنوبا .

وتضم هذه المنطقة ثلاثة أقاليم رئيسية مختلفة ، تتمثل فيما بينها من الشمال الى الجنوب على النحو التالي :-
- اقليم النوبة السفلى (الشمالية) ، ويشمل المنطقة الواقعة فيما بين الشلال الأول شمالا ، الى وادي حلفا جنوبا والنهر فيه صالح للملاحة لاستقامة مجراه واستعداد العواقي فيه^(٥)

(١) الدمشقي : نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، المجلد ١٩٢٨ ص ٢٦٨ .

(٢) ابن خلدون : المعبر ، طبع بيروت ، ج ٢ ص ١٩٨ .

(٣) القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت ١٩٦٩ ص ٢٤ .

(٤) اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، النصف ١٣٥٨ هـ ، ج ١ ص ١٩١ .
المقريزي : الخط ، يولاق ١٢٧٠ هـ ، ص ١٩١ وما بعدها .

(٥) محمد عوض محمد : السودان الشمالي ، سكانه وقبائله ، ١٩٥١ ، ص ٢٨٥ .

- اقليم النوبة الوسطى ، ويحتل منطقة الوسط فيما بين وادى حلفا شمالا الى دنقلة جنوبا ، وهى منطقة صخرية وعرة ، والنهر هنا غير صالح للملاحة فى معظم أجزائه ، لكثرة الجنادل والمخور التى تعترض مجراه الضيق . أما الوادى فمرتفع عن مستوى النهر ، ولذلك أعاق امكانية تسرب المياه الى معظم الأراضي الواقعة على جانبيه المجرى ، بالإضافة الى انعدام الأمطار فى تلك المنطقة ، مما جعلها صحراء جرداء باستثناء ذلك الشريط الضيق القريب من مجرى النهر (١)

- اقليم النوبة العليا (الجنوبية) ، ويقع فى أقصى الجنوب ، ويمتد فيما وراء دنقلة حتى التقاء النيلين الأبيض بالأزرق جنوبا . والنهر فى تلك المنطقة معتدل المجرى ، متسع الوادى ، صالح للملاحة ، تغمر المياه معظمه أيام الفيضان . ويعد هذا الاقليم من أخصب المناطق (٢)

وقد تداول على حكم تلك المناطق عدد من الدول التى ارتبطت بشكل أو بآخر بعلاقات لاسيما مع مصر منذ القدم ، وتعتبر دولة كوش من أهم تلك الدول التى حكمت بلاد النوبة . أما عن العوامل التى أدت الى قيام دولة كوش ، فترجع الى ماكان من غزو الليبيين لمصر نحو منتصف القرن الثامن قبل الميلاد ، وتولى ملكهم شاشانق الأول حكم مصر . ونتيجة لذلك اضطرت جماعة من ملالة كهنة آمون الى مغادرة طيبة والتوغل جنوبا ، حيث تمكنوا من اقامة دولة كوش فى منطقتى

(١) محمد عوض محمد : الشعوب والسلالات الافريقية ، ١٩٦٥ ، ص ٢٨٥ .

(٢) محمد عوض محمد : نهر النيل ، الطبعة الاولى ، ص ١٢٢ ومابعدها

النوبة الوسطى والعلوية ، (١) واتخذوا مدينة نباتا (٢) عاصمة لدولتهم . وعلى ذلك تكون تلك الدولة مصرية التأسيس ، نوبية المنشأ .

وقد تركزت جهود حكام كوش من أجل اخراج الليبيين من مصر ، فلما تحقق لهم ذلك ، نقلوا مركز دولتهم الى مصر ، واتخذوا من مدينة طيبة عاصمة لهم . وهكذا بدأ حكم الأسرة الخامسة والعشرين في مصر .

• لم يمتز غير نصف قرن (٧١٥ - ٦٦٣ ق.م) حتى اضطر ملوك تلك الأسرة الى اتخاذ نباتا مرة أخرى عاصمة لهم ، بعدما استولى الآشوريون على مصر . (٣)

ومع بداية القرن الثالث قبل الميلاد ، بدأت نباتا تفقد أهميتها بسبب انتقال ملوك كوش الى مروي (٤) واتخاذها عاصمة لهم ، فاحتلت مروي مكانتها وحافظت على مكانتها نحو ستة قرون ونصف ، أي الى عام ٣٥٦ للميلاد ، وبلغ من شهرة مروي أن صار اسمها علما على الدولة .

(١) أي المنطقة الواقعة فيما بين وادي حلفا شمالا الى النيل الأزرق وكردفان جنوبا . Arkell, A History of the Sudan to A.D. 1821, London, 1955, PP. 112F.

وانظر نجيب ميخائيل ابراهيم : مصر والشرق الأدنى القديم ، ١٩٦٢ ، ج ٢ ص ٣٠٨ وما بعدها .

(٢) تقع نباتا بالقرب من الشلال الرابع عند سفح جبل البركل (مصطفى محمد مسعد : الاعلام والنوبة في العصور الوسطى ، ١٩٦٠ ، ص ٤ وما بعدها .

(٣) ديريوتون وفاندييه : مصر ، ترجمة عباس بيومس ، ١٩٥٠ ، ص ٥٩٧ وما بعدها .

(٤) تقع مروي القديمة بالقرب من كبوشية الحالية ، أما مروي الجديدة فتقع بجوار نباتا .

ومما يذكر ، أن النوبة السفلى كانت قد دخلت في إطار دولة كوش ، وإن تمتعت بنوع من الاستقلال إلى أن حدث نزاع بين أحد ملوكها وبين كهنة نباتا ، فانتقل الملك إلى النوبة السفلى ، واتخذ من مدينة دكة عاصمة له ، وارتبط بعلاقات ودية مع البطالمة في مصر . فلما كان عهد بطليموس السادس (١٨١ - ١٤٥ ق.م) استولى البطالمة على النوبة السفلى وظلت تابعة لهم إلى أن استولى الرومان على مصر البطلمية سنة ٣٢ ق.م ، وعندئذ تمكن الكوشيون من استعادة نفوذهم على النوبة السفلى . (١)

وباحتلال الرومان لمصر ، واستعادة الكوشيين للنوبة السفلى ، دخل الكوشيون في صراع ضد الرومان ، وتوالى اغاراتهم على جنوب مصر (٢) وتتابعت الحملات الرومانية لتأديب الكوشيين ، ووصلت حملاتهم في أعماق النوبة الريدكة وابريم ونباتا .

لم تبؤ تلك الحملات إلى تحقيق الهدف في وضع حدود لاغارات النوبيين ، نظرا لغودة قوات الرومان إلى قواعدهما بعد كل حملة ، لذلك تركزت جهود الرومان على ضرب دولة كوش وإضعافها ، عن طريق الارتباط بدولة أكموم ، والعمل في نفس الوقت على تعزيز الحاميات الرومانية على حدود مصر الجنوبية . كما أقام الرومان قلعة حصينة هناك ، ونقلوا

Budge, The Egyptian Sudan Its (1)
History and monuments, London , 1907 vol . II p. 166
Budge, op . Cil . , p 175. (2)

كان الواحة الخارجة الى منطقة النوبة السفلى لتكوين منطقة عازلة ويتولى المستوطنون الجدد التمديد للاغارات النوبية . كما قرر الرومان قدرا من المساعدات لكل من المستوطنين الجدد والسكان الأصليين ، مما ساعد على هدوء الموقف واستقرار الأوضاع ، وثوقف الاغارات النوبية ، ولكن الى حين . (١)

وأيا ماكان الأمر ، فقد لجأ الرومان في عهد الامبراطور قسطنطين الأول الى توطيد العلاقات مع الملك عيزانا ملك أكسوم ، وعقد معه معاهدة تجارية (٢) كما كان لاعتناق عيزانا المسيحية سنة ٣٤٠ م أثره في اقبال رعاياه على اعتناقها وانتشارها في بلاده ، وبإيعاز من الرومان قام طيفهم عيزانا بمحاربة الكوشيين ، واكتسح بلادهم وقضى على دولتهم وعلى الأسرة الحاكمة فيها . (٣)

Bury, History of the later Roman Empire,
london , 1889, vol. II, 318.

Bury, op. cit. p. 318, Paul, A History of the (2)
Beja Tribes of the Sudan, Camb. 1954,
P. 47, Trimingham, Islam in the Sudan,
London, 1949, P. 49.

Shinnie, The fall of Meroë , Kush, vol 111, (3)
(Sudan Antiquities Service Occasional
papers) 1955, p. 83ff.

لم تكن دولة كوش بتحدى الرومان عن طريق تنظيم الاغارات على جنوب مصر ، بل وباعتراض حركة الملاحة التجارية في منطقة النوبة السفلى عبر النيل الى مناطق وسط افريقية ، وبالتصدي لتيار التبشير ، مما أدى الى فشل المحاولات الرامية الى ادخال تلك الدولة في المسيحية ، ولذا لجأ الرومان الى الإيعاز لملك أكسوم بمحاربة الكوشيين والقضاء على دولتهم . مصطفى محمد مسعد : الاسلام والنوبة في العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٣٤ - ٣٤ .

وبسقوط دولة كوش (مروي) ، وبمرور الزمن ، قام على أنقاضها ثلاث ممالك وهي من الجنوب الى الشمال : مملكة علوة ومملكة مقرة ، ومملكة نباتا .

ملكية علوية :

وتتمد من منطقة التقاء النيلين الأبيض والأزرق ، عند مدينة الخرطوم الحالية جنوبا ، الى اقليم الأبواب^(١) شمالا وعاصمتها مدينة سوبا^(٢) وكانت تعرف أيضا بمملكة سوبا ، نسبة الى عاصمتها .^(٣)

وكانت هذه المملكة من أوسع ممالك النوبة وأخصبها وأكثرها مالا وشرافاً وأعظمها جيشاً. (٤)

(١) يقع إقليم الأبواب بالقرب من مروي القديمة ويذكر المصقريزي : أن هذا الإقليم هو أول بلاد علوة من الجهة الشمالية وهو من أهم أقاليمها ويشتمل على عدة قرى على الشاطئ الشرقي للنيل . وكان وإلى هذا الإقليم من قبل صاحب علوة يلقب بالجرارح (الخطط : ١ : ص ١٦٠ - ١٦٢) وقد اجتمع بمكانة كثيرة من قريته على الدفاع عن الحدود الشمالية له .

1. 11/11/2018 18:00 16:00 10:00, 9:00

[illegible]

١٣ عبد المجيد عابدين : تاريخ الدفوف العرسية في السودان ١٩٥٢، ص ٢٥

(٤) أبو صالح الأرمي : تاريخه ، ١٨٩٤ ، ص ١٢٠ ، المقرئزي
الخط ، ج ١ ص ١٩٣ ،
عبد المجيد عابدين : نفس المرجع ، الصفحة .

مملكة مقرة : (١)

وتقع في المنطقة الوسطى ، وتحدها جنوبا مملكة علوة ،
وشمالا مملكة نباتا . أي فيما بين كبوشية (٢) جنوبا إلى
قرب الشلال الثالث شمالا ، وعاصمتها دنقلة ولذلك كانت تسمى
مملكة دنقلبة (٣) .

مملكة نباتا :

وهي المملكة الشمالية ، وتقع فيما بين مملكة مقرة
ومصر ، وتمتد فيما بين الشلال الثالث جنوبا إلى قرية
القصر (٤) بالقرب من أسوان شمالا ، وعاصمتها نجراش (٥) .

وتنقسم كل مملكة من هذه الممالك إلى مقاطعات أو ولايات
لكل منها حاكم يلقب بالملك ، ويخضع للملك المستقر في
العاصمة ، أي لملك الملوك الذي يتمتع بسلطات مطلقة ،
ولا يعنى رعاياه له أمرا ، فهو مالك رعايهم جميعا (٦) .

(١) قال المقريري : أن النوبة والمقرة جدران بلعابين
(المخط ، ج ١ ، ص ١٩١) Edge, op.cit., vol. II, p. 166
(٢) تقع كبوشية بالقرب من صروي القديمة .

(٣) عبد المجيد عابدين : تاريخ الحضارة المصرية ، ص ٢٥ .

(٤) قال المقريري نقلا عن عبد الله بن أحمد بن حليم الأسواني
أن قرية القصر هي أول بلاد النوبة أي على خمسة
أميال جنوبى أسوان ، وبينهما وبين جزيرة يلاق (فيلة)
آخر حصن للمسلمين بمصر - ميل واحد . (المخط ، ج ١ ، ص ١٩٠) .
(٥) نجراش أو بجراس أو باخوراس أو مريس ، وهي فرس الحالية
بالقرب من الشلال الثانى على نحو عشر مراحل من أسوان
(المقريري : المخط ج ١ ، ص ١٩٢ ، مصطفى محمد مسعد :
الاسلام والنوبة ، ص ٣٤ عبد المجيد عابدين : نفس المرجع
ص ٢٥) .

(٦) المسمودى : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ١٣٤٦ هـ ، ج ١ ، ص ٤٤ .

ويقضى نظام وراثة العرش بأن يكون ذلك حقا لابن
الاخت بعد وفاة الملك ، وليس للابن أن يرث عرش أبيه ، قال
ابن حوقل : أن من سنة السودان إذا هلك الملك أن يقعد
ابن أخته دون كل قريب وحميم من ولد وأهل^(١) ، إلا إذا لم
يكن له ابن أخت ، فحينئذ يكون من حق الابن أن يخلف أباه
على عرشه^(٢) .

وإذا كانت دولة كوش قد اتخذت موقفا معاديا للرومان^١
وتصدت لتيار المسيحية ، فإن الممالك الثلاث التي قامت
على أنقاضها قد تبنت نفس السياسة ، إلا أن الرومان لم
يفقدوا الأمل في إمكان التعامل مع تلك الممالك ، وخاصة
بعد أن فقدت المنطقة العازلة - التي أقامها الرومان
في عهد دقلديانوس - صلاحيتها ، ولم تعد محققة للغرض الذي
أنشئت من أجله ، نتيجة استئفاف الخوبيين الاغارات على
المعازل الرومانية في جنوب مصر ، واستيلائهم سنة ٤٢٩م على
الواحة الخارجة ، ومعاونتهم للعناصر المصرية ضد الرومان .
ومع كل ذلك لم يعدم الرومان وسيلة لاحتواء الخوبيين ، أما
بالاعتراف بمعتقداتهم الدينية والسماح لهم بالتوصل إلى
فيلة لإقامة شعائرهم الدينية فيها ، أو بمنح بعض رعاياهم
الاقطاعات في مصر ، ابتغاء مرضاتهم ، وتفادي مخاطرهم ،
و ضمان وقف غاراتهم ، وتأمين الحدود من جهتهم ، وتنشيط
الحركة التجارية عبر أراضيهم إلى وسط افريقية ، مع التركيز
على اغرائهم لاعتناق المسيحية^(٣) .

(١) صورة الأرض ، ص ٥٦ .

(٢) أبو صالح الأرمني : تاريخه ، ص ١٢٥ .

(٣) مصطفى سعد : نفس العرجع ، ص ٣٦ - ٣٩ .

أفقرت الجهود الرومانية عن تقبل البعض للمسيحية وخاصة في المدن والقرى الكبيرة ، وأصبح هؤلاء بمثابة عناصر موانية . ولذلك شجعهم الرومان لاستكمال نشر المسيحية وحرصهم على مقاتلة الوثنيين من أبناء جلدتهم ، لإجبارهم على اعتناق المسيحية بالقوة^(١) ، وتحويل معابدهم إلى كنائس بالإضافة إلى ما أنشأوه في كثير من المدن كدندقلة وابريم وفرس وغيرها من المدن الممتدة فيما بين الشلال الأول إلى القطيئة على النيل الأبيض جنوبا . حتى قيل أنه يبلغ من كثرتها ، أن صار في مملكة علوة وحدها أربعمائة كنيسة^(٢) وتضافت كنيسة الاسكندرية والقسطنطينية على نشر المسيحية ، ونجحت كنيسة الاسكندرية في اكتساب ملك نباتا سنة ٥٤٣ م ، وملك علوة سنة ٥٨٧ م اذ اعتنقا المسيحية على مذهب كنيسة الاسكندرية اليعقوبية^(٣) . أما ملك مقرة فقد اعتنقها سنة ٥٦٩ م على مذهب القسطنطينية الملكاني ، وهذا يعني أن المذهب اليعقوبي كان أكثر انتشارا^(٤) .

ومما تجدر الإشارة إليه أن أثر المسيحية اقتصر في معظمه على المدن والقرى الكبيرة ، وأن ذلك الأثر لم يكن كبيرا ، لأن معظم من اعتنقها من النوبيين ظلوا على تمسكهم بالعادات والتقاليد الوثنية ، كما كان معظمهم

(١) Budge, op. cit., P. 293

(٢) أبو صالح الأرميني : تاريخه ، ص ١٢٠ .

(٣) ابن الطقبة : مختصر كتاب البلدان ، ليدن ١٨٨٥ ، ص ٧٧ ،

المسعودي : التنبيه والأشراف ، ليدن ١٨٩٤ ، ص ١٥١ ،

المقريري : الخطط ، ج ١ ص ١٩٣ .

(٤) مصطفى مسعد : نفس المرجع ، ص ٥٥ - ٦٥ .

النوبيين وقت الفتح الاسلامى لمصر ، لا يزالون على وثنيتهم^(١) .
وتجدر الاشارة الى اندماج مملكتى نباتا ومقصرة
المتجاورتين فى مملكة واحدة عرفت باسم مملكة مقصرة أو
مملكة النوبة ، وشملت المنطقة من الشلال الأول شمالا ، الى
حدود مملكة علوة جنوبا^(٢) ، حيث جزيرة ساي ومدينة كورشي^(٣)
واتخذت مدينة دنقلة عاصمة لها^(٤) . ولا شك أن حدوث هذا
الاندماج رغم الاختلاف المذهبى بينهما يدل على عدم تأثير
المسيحية على أهل النوبة ، أو أنه يمثل تفوقا للمذهب
اليقوى فيها^(٥) ، بسبب تلاشى المذهب الملكانى شيئا فشيئا
وخاصة بعد الفتح الاسلامى لمصر ، وزوال النفوذ البيزنطى
تبعاً لذلك .

-
- (١) اليعقوبى : كتاب البلدان ، لندن ١٨٩١ ، ص ٢٢٦ ،
الاصطخرى : المسالك والممالك : القاهرة ١٩٦١ ، ص ٢٢ ،
أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، بيروت ، ج ١
ص ٩٦ ، ابن الوردي : تهذيب المختصر (بيروت ١٩٧٠) ج ١
ص ١٢٥ .
- (٢) المقرئى : الخطط ، ج ١ ص ٢٠٩ ، Trimingham, op.cit.,
P. 59.
- (٣) حسن محمود : الاسلام والثقافة العربية فى افريقية
القاهرة ١٩٦٣ ، ص ٣٠٨ .
- (٤) الدمشقى : نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر ، لبيدج ،
١٩٢٨ ، ٢٦٨ ، المقرئى : نفس المصدر ، ج ١ ص ١٩٢ ،
(دنقلة مدينة عظيمة ببلاد النوبة ، وهى منزل ملكهم)
القزوينى : آثر البلاد وأخبار العباد ، بيروت ١٩٦٩ ،
ص ٣٩ (وهى غير دنقلة الحالية ، التى تقع الى الشمال
منها بنحو مائة ميل) سعيد عبد الفتاح عاشور : مصر
فى عصر المماليك البحرية ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٧٦ ،
حسن محمود : نفس المرجع ، ص ٣٠٨ .
- (٥) الدمشقى : نخبة الدهر ، ص ٢٦٩ ، القزوينى : آثر
البلاد ص ٣٩ ، ابن الفقيه : كتاب البلدان ، ص ٧٧ ،
المعزى : التنبيه والإشراف ، ص ٥١ .

وقد قسمت هذه المملكة إدارياً إلى ثلاثة عشر اقليماً ، ويلقب حاكم كل منها بالملك ^(١) . ويخضع هؤلاء الحكام أو ملوك الأقاليم لكبير الملوك في دنقلة ، ومن ألقابهم ملك النوبة أو ملك الملوك ، وعرفه العرب باسم عظيم النوبة ^(٢) ، وحكمه نافذ في رعيته ويده مطلقة فيهم ، ومن حقه أن يسترق من شاء منهم ، وله أن يتصرف في أموالهم ^(٣) .

ويعتبر حاكم إقليم مريس - المجاور لحدود مصر - من أهم ولاة الأقاليم ، وكان يعرف بصاحب الجبل ، ويقع عليه عبء حماية الحدود الشمالية ، والدفاع عنها ضد أي غزو خارجي ^(٤) . ولذلك كان يتم اختياره من بين من يتطوعون بالحزم والشدة والبأس ، وكان مقرة مدينة نجراش (فـرس الحالية) . وكان دائم التنقل إلى المدن الأخرى التابعة لإقليمه لتفقد أحوالها أو إقامة التخصيمات العسكرية لحماية منطقته ، وتأمين الحدود الشمالية للدولة ^(٥) .

ومما لا شك فيه أن بلاد النوبة ارتبطت بمصر بروابط قوية منذ ربط النيل بينهما . وكان لتلك الروابط آثارها البارزة في كثير من النواحي التجارية والدينية والحضارية . وإذا كانت العلاقات قد اتخذت في كثير من الأحيان مظهراً عدائياً ، تمثل في الاغارات على حدود مصر الجنوبية ، فإن

(١) المقريزي : نفس المصدر ، ج ١ ص ٢٠٠ .

(٢) المقريزي : نفس المصدر والصفحة .

(٣) المسعودي : مروج الذهب ، ج ١١ ص ٢٤٧ ، القزويني : نفس المصدر ، ص ٢٥ .

(٤) ابن محمود : نفس المرجع ، ص ٢٨٠ - ٢٨١ ، ٢٠٨ .

(٥) ابن محمود : نفس المرجع ، ص ٢٨١ ، مصطفى مسعد : نفس المرجع ، ص ٧٢ - ٨٥ .

ذلك في حد ذاته يمثل دليل رغبة مؤكدة للاتصال ، وتمسك
بتحقيق استمرار الروابط ، ويوضح ذلك مدى حاجة النوبة
لمصر ، تسعى اليها ولو عن طريق الاغارات ، عندما تحتم
ظروف مصر الداخلية توقف تلك الاتصالات . وهذه هي
طبيعة الدول المتجاورة ، لا تقف الحدود عقبة في سبيل
استمرار العلاقات بينهما ، وخاصة اذا كانت احدها ارقى
حضاريا ، فان توقف اشغاعها الحضارى لأى سبب من الأسباب
يكون دافعا للدول المجاورة - التي افشقت ذلك المد الحضارى
الى السعى لاستمرار الاتصال بأى وسيلة ، ولو كانت ذات مظهر
عدائى كالاغارات المتكررة ، وكان ذلك هو موقف النوبة
مع مصر الى حين الفتح الاسلامى لمصر .

أما عن العلاقات بين الجزيرة العربية وبلاد النوبة ،
فهي تدخل في اطار العلاقات العربية الافريقية ، فقد ارتبطت
المناطق الواقعة على جانبي البحر الأحمر بعلاقات قديمة ،
ولم يكن هذا البحر حاجلا أمام الاتصال بين جزيرة العرب
وساحل افريقية الشرق ، فقد تمرس العرب ، وخاصة في جنوب
الجزيرة ، فكانوا على درجة كبيرة من الخبرة البحرية ،
بحكم نشاطهم في الموانئ الممتدة على طول موائل تلك البلاد
وتحكمهم في طرق تجارة الشرق العالمية ، ومساهمتهم في
حركة التبادل بين الشرق والغرب منذ أقدم العصور . وعرفت
سفن الممالك القديمة كعباء وحمير حضرموت طريقها عبر
البحر الأحمر الى الشاطئ الافريقي ، حاملة السلع
المحلية وغيرها من سلع الشرق لمبادلتها بأنواع التجارة الافريقية
كالعاج والرقيق وزيت النخيل وغيرها (١) .

(١) حسن ابراهيم حسن : انتشار الاسلام في القارة الافريقية

توطدت العلاقات العربية بسكان شرق افريقية ، وأنشأ
تجار العرب المحطات والعراكر التجارية على طول الساحل
الافريقي المقابل ، لتكون مناطق ارتكاز تصل اليها ملعهم
الواردة والصادرة ، وتبدأ قوافلهم من هذه المراكـز ،
حاملة ما جاءوا به من بضائع ، ويتوغلون بها الى أسواق
التجارة الافريقية في قلب القارة ، حيث كان لهم وكلاؤهم
التجاربيين في مناطق الأسواق الداخلية التي كانوا يقصدونها
ومنها ما كان على النيل (١) .

أدى هذا النخاط التجارى الى زيادة اقبال العناصر
العربية على الوصول الى المناطق الممتدة على طول الساحل
الافريقي الشرقى ، وإلى ما يلى سفالة الزنج جنوبا ، وقد
بدأت حركة الهجرة من الجزيرة العربية الى تلك المناطق
بأعداد متفاوتة منذ زمن بعيد ، وعلى فترات متتالية
ومتباعدة عبر القرون . ونزحت أعداد كبيرة من اليمنيين
الى تلك المناطق ، وخاصة بعد خراب سد مأرب ، وتوغلـت
جموع منهم تجاه وادى النيل غربا ، واستقرت جماعات منهم
في بعض مناطق حوض النيل والحبشة (٢) .

وإلى جانب طوائف التجار والمهاجرين ، يشير ابن
خلدون الى حملات عسكرية قام بها الحميريون ، ووصلت
جموعهم الى بعض مناطق النوبة والمودان ، واختلقت قلب
القارة الى شمالها في بلاد المغرب ، واستقرت مجموعات
منهم في المناطق التي وصلت اليها (٣) . ولهذا قرر ابن

(١) مصطفى محمد مصفى : نفس المرجع ، ص ١٠٧ .

(٢) عبد المجيد عابدين : تاريخ الثقافة العربية في السودان

ص ١١ - ١٢ .

(٣) ابن خلدون : المعبر ، ج ١ ص ١٧٦ ، ج ٦ ص ١٩٩ .

خلدون أن أصل البربر من اليمن ، وأنهم من أبناء النعمان
ابن حمير بن سبا (١) . كما يدعى ملوك غانة ومالي الانتساب
الى أصول عربية ، في حين يعلن ملوك برنو أنهم من نسل
سيف بن ذي يزن ، أى أنهم يمنيون (٢) .

وإذا كانت بعض تلك الروايات تدخل فى عداد الأساطير
إلا أنه من الشايت حدوث تلك العلاقات بين الجزيرة العربية
وكثير من المناطق الإفريقية منذ زمن بعيد . مما كان له
أكبر الأثر فى انتقال العادات والتقاليد وتبادلها على مر
العصور ، ومن ناحية أخرى ، فقد كان الوافدون العرب نواة
لغيرهم وركيزة لهم ، مما شجع الكثيرين على التعامل مع تلك
المناطق أو الهجرة إليها .

ومن المعروف أن العرب استخدموا الممالك الإفريقية
المقابلة ، ثم أضافوا إليها - بعد فتح مصر - أكثر من
ملك تجاه الغرب والجنوب ، فبعد أن تدفقت جموع الفاتحين
الى مصر ، اندفعت للانتشار فى المناطق التى تم فتحها
واختلطوا بعد استكمال الفتح بالكان الأصليين . وقد كان
الموقف آنذاك يتطلب العمل على تأمين ماتم من فتوحاته إذ أنه
بعد الفتح الاسلامى لبلاد الشام ، انسحبت قوات الروم
(البيزنطيين) الى مصر ، باعتبارها الملجأ الطبيعى بعد
فقد الشام . وكان على المسلمين فى نفس الوقت أن يستثمروا
انتصاراتهم ، بتعقب الفارين والوصول بالفتوحات غربا الى

(١) العبر ، ج ٣ ص ٩٢ ، سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ
المغرب العربى ، ج ١ ص ٨٢ (ويخص البعض قبيلة صهاجة
بالذات بهذا النسب الحميرى) السيد عبد العزيز بالم
المغرب الكبير ج ٢ ص ١٢٦ .

(٢) الفلقشندي : صح الأعشى ، نشر دار الكتب المصرية ، جلد ١١٧

مصر ، ولذلك سارع عمرو بن العاص بجيشة اليها . ويشير الواقدي الى استنجاد المقوقس بملك النوبة . الا ان الملك المذكور لم يتمكن من ارسال المطلوب لوقوع خلاف بينه وبين ملك البجاة (١) . وقيل بل توجه كل من ملكي النوبة والبجاة على رأس جيش كبير للمشاركة في فك الحصار الاسلامي عن البهنسا (٢) .

فلما تم فتح مصر ، نصت معاهدة الملح بين عمرو بن العاص والمقوقس فيما يتعلق بالمصريين ، بـ " ألا يحاكنهم النوبة " ونصت في نفس الوقت ، على أن من يدخل في الملح من " الروم والنوبة فله مثل صالحهم ، وعليه مثل ما عليهم ومن أبي واختار الذهب ، فهو آمن حتى يبلغ مأمنة أو يخرج من سلطاننا وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأسا ، وكذا وكذا فرسا ، على ألا يغزوا أو يمنعوا من تجارة صادرة أو واردة " (٣) .

وهكذا أجرى المسلمون من دخل في صلحهم من الروم والنوبة مجرى أهل مصر ، من تأمينهم على أنفسهم وأموالهم ودمتهم وكنائسهم ، الا من اختار الذهب منهم ، فهو آمن

(١) الواقدي : فتوح مصر والامكندية ، ليدن ١٨٢٥ ، ص ٥٧ .

٦٠ ، ٧٧ - ٧٨ .

(٢) Budge, The Egyptian Sudan, Vol.II, P. 184,

Burckhardt, Travels in Nubia, London, 1819, P.528

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية ، طبعة البعثة ، ج ٧ ص

٩٨ ، ابن تقي بردي : النجوم الزاهرة ، طبعة دار

الكتب ، ج ١ ص ٢٤ - ٢٥ ، وقارن الطبري : تاريخ

ليدن ١٨٩٣ ، القسم الأول ص ٢٥٨٨ - ٢٥٨٩ ، ابن خلدون :

تاريخه ، بيروت ١٩٦٦ ، المجلد الثاني ٩٧١ .

حتى يبلغ مأمته (١). كما تعهد المسلمون بحماية مصر وأهلها من الاغارات ، ومنها اغارات أهل النوبة (٢) ، ذلك أن النوبيين كانوا ينظرون إلى مصر - ذات الخيــــــــــــــــرات - على أنها غنيمة لهم ، مثلما كانت لأبائهم وأجدادهم من قبل ، ولذلك فلم يكن في الامكان أن يتوقف النوبيون عن الاغارة على مناطق مصر الجنوبية (٣) . ولهذا كان العمل من أجل فتح تلك البلاد ، لوقف الاغارات وتأمين الحدود ، وتيسير وصول الدعوة الاسلامية إليها ، وضمان انتظام الحركة التجارية الصادرة من مصر والواردة عبر أراضي النوبة حيث كانت السفن تحمل المقادير الكبيرة من الذهب والعاج وغيرهما عبر تلك الأراضي (٤).

ونتيجة للاغارات التي شنها النوبيون على صعيد مصر ، وما ترتب على ذلك من تاثير الحركة التجارية ، استأذن عمرو ابن العاص من الخليفة عمر بن الخطاب لتوجيه الحملات إلى بلاد النوبة لوقف الاعتداءات النوبية وتأمين الحدود ، وفتح الطرق التجارية النهرية والبرية عبر تلك البلاد ، بالإضافة إلى تحقيق وصول الدعوة الاسلامية إلى أهالي النوبة (٥) .

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ١٣٤٩ هـ ج ٢ ص ٣٩٥ - ٣٩٦ .

(٢) بترل : فتح العرب لمصر ، القاهرة ١٩٤٩ ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩ ، ٢٤٩ .

(٣) بترل : نفس المرجع ، ص ٣١٦ ، مصطفى مسعد : نفس المرجع ص ١١١ .

(٤) بترل : نفس المرجع ، ص ٨٣ .

(٥) المسعودي : مروج الذهب ، ج ٢ ص ٢٩ ، ج ٣ ص ٢٨ - ٢٩ .

قال البلاذرى : " لما فتح المسلمون مصر ، بعث عمرو بن العاص الى القرى التى حولها الخيل ليطأهم ، فبعث عقبة ابن نافع الفهرى - وكان نافع أخا العاص لأمه - فدخلت خيولهم أرض النوبة كما تدخل مواثف الروم ، فلقى المسلمون بالنوبة قتالا شديدا ، لقد لاقوهم فرشقوهم بالنبل حتى جرح عامتهم ، فانصرفوا بجراحات كثيرة وحدث مفقوءة ، فسموا رماة الحدق (١) وذكر الطبرى فى حوادث سنة ٢٠ هـ : " أن المسلمين لما فتحوا مصر غزوا نوبة مصر ، فقتل المسلمون بالجراحات وذهب الحدق من جودة الرمي ، فسموا : رماة الحدق (٢) .

وقال المصمودى : " وقد كان عمرو بن الخطاب رضى الله عنه لما افتتح عمرو بن العاص مصر ، كتب اليه بمحاربة النوبة ، ففزاهم المسلمون فوجدوهم يرمون الحدق ، وأبى عمرو بن العاص أن يصالحهم حتى صرف عن مصر (٣) .

وقال ابن عبد الحكم : " وبعث عمرو بن العاص نافع ابن عبد القيس الفهرى ، وكان أخا العاص بن وائل لأمه ، فدخلت خيولهم أرض النوبة مواثف كمواثف الروم ، فلم يزل

- (١) البلاذرى : فتوح البلدان ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، ١٩٥٦ ، ق ١ ص ٢٨٠ ، ابن خردادبة : المسالك والممالك ، لندن ١٨٩٩ ، ص ٩٢ ، وفارن : ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب تحقيق عبد المنعم عامر ، ١٩٦١ ، ص ٢٢٨ ، ابن العسرات : تاريخ ابن العسرات ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، رقم ٣١٩٧ تاريخ تيمور ، ج ١٢ ص ٢٠ ب ، حن ابراهيم حسن : انتشار الاسلام فى القارة الافريقية ، ص ٢٤ ، محمد التونجى : عقبة بن نافع ، بنقازى ١٩٧٥ ص ١٧٠ .
- (٢) تاريخ الرسل والملوك ، ق ١ ص ٢٥٩٣ .
- (٣) مروج الذهب ج ١ ص ٢٤٦ - ٢٤٧ ، الحميرى : الروض المعطار بيروت ١٩٧٥ ، ص ٢٢٧ .

الأمر على ذلك حتى عزل عمرو بن العاص عن مصر (١) .

وذكر ابن الأثير في حوادث سنة ٢٠ هـ : أنه " لما فتحت مصر غزوا النوبة ، فرجع المسلمون بالجراحات وذهاب الحدق لجودة رميهم ، فسموهم رماة الحدق (٢) " .

أما المقرئ ، فيقول ، أن : " أول ما تقر هذا البق في إمارة عمرو بن العاص ، لما بعث عبد الله بن سعد بن أبي سرح بعد فتح مصر إلى النوبة سنة عشرين ، وقبل سنة إحدى وعشرين في عشرين ألفاً ، فمكث بها زمناً ، فكتب إليه عمرو يأمره بالرجوع إليه (٣) " .

وهكذا ، وبعد استعراض النصوص الخاصة بحملة النوبة الأولى ، يتضح لنا أنها ليست كافية لتوضيح تصور كامل عنها ، فقد أغفلت ما يتعلق بأعداد الحملة وحجمها ، وخط سيرها ، وما إذا كانت برية ونهرية ، أم برية فقط ، ومدى شغلها في عمق البلاد وموقع المعركة . كما اختلفت المصادر حول تحديد شخصية قائد الحملة ، وخلطت بعض المصادر بين هذه الحملة وبين حملة عبد الله بن سعد سنة ٣١ هـ / ٦٥٢ م . إذ جعل المقرئ تقرير البق في الحملة الأولى ، أي على عهد عمرو بن العاص ، وفي خلافة عمر بن الخطاب (٤) .

(١) فتوح مصر ، ص ٢٢٨ ، السيوطي : حسن المحاضرة ، ١٢٢٧ هـ ، ج ١ ص ٦٢ .

(٢) الكامل في التاريخ : ج ٢ ص ٣٩٧ ، (قال القلقشندي : " لما فتح عمر بن العاص رضي الله عنه مصر ، غزاهم ") ص ١٠ ص ٢٧٦ .

(٣) الخط ، ج ١ ص ٢٠٠ .

(٤) الخط ، نفس الجزء والمفحمة .

وفيما يتعلق بمحاولة توضيح بعض تلك النقاط ، فإنه على ضوء طبيعة المرحلة وسياسة الفاتحين خلالها ، وعجم القوة العسكرية في مصر وقتذاك وضرورة المحافظة عليها وعدم إضعافها بتشتيتها في جهات متعددة ، فإنه يمكن القول بأن المحاولات الأولى لفتح النوبة أو المغرب ، وأن استهدفت تحقيق الهدف الأساسي من الفتوحات ، من إتاحة الفرصة لتعامل الاسلام مباشرة مع شعوب تلك المناطق ، ووصول الدعوة اليهم ، الا أن ذلك كان مرتبطا بمدى ما يمكن اعداده من قوة قادرة على الفتح واستكمالها .

فقد كان على القوات الاسلامية في مصر تشيبت الوجود الاسلامي فيها ، ودفع المخاطر التي تشهدها ، وتأمين حدودها الجنوبية والغربية . غير أن تلك القوات لم تكن من الكثرة بحيث يمكن تخصيص أعداد كبيرة منها لتوجيهها الى المناطق الجنوبية والغربية . وهذا ينفي ما ذكره المقرئ من أن الحملة الأولى على النوبة كانت تتكون من عشرين ألفا (١) . وانما كانت تتكون من عدد محدود من الفرسان (٢) . يؤكد ذلك ما ذكرته المصادر من أن أولى الحملات التي قادها عمرو بن العاص لفتح برقة ، وهي في حدود الفترة التي وجهت فيها حملة النوبة الأولى ، كانت من الفرسان (٣) .

(١) الخطط ، نفس الجزء والمفصلة .

(٢) انظر ، البلاذري : فتوح البلدان ، ق ١ ص ٢٨٠ .

(٣) ابن مغازي : البيان المغرب في أخبار المغرب ، طبعته كولان وبروفنس ، ص ٨ ، السيد عبد المميز هاليم : المغرب الكبير ، الطبعة الأولى ١٩٦٦ ، ج ٢ ص ١٤٢ ، محمد زغللول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ، ١٩٧٩ ، ج ١ ص ١٣١ .

وهذا يعنى أنها كانت قليلة العدد ، رغم احتمالات المخاطر من جهة البيزنطيين فى الجهة الغربية . وعلى ذلك ، فإن تلك الحملة وغيرها فى كل من الجبهتين لم تكن فى قوة كافية بحيث يمكنها تثبيت مآخذه من فتوحات ، وضمان استمرار تبعية مآخذه ، بترتيب الحاميات الكافية والدائمة فيها ، إذ أن صغر حجم الحملات حتم عودتها إلى قواعدها بعد كل حملة بمجرد القيام بما أعدت له ، ودون ترك حاميات فى المناطق التى تم فتحها ، مما يدل على أن الحملات الأولى لم تكن سوى حملات استطلاعية محدودة العدد ، تتكون كل منها من مجموعة من الفرسان .

وهكذا ، يمكن القول بأن حملة النوبة سنة ٢٠ أو ٢١ هـ (٦٤١ - ٦٤٢ م) كانت كذلك محدودة العدد ، ولذلك لم تستهدف الفتح الكامل والدائم بقدر ما كانت للاستطلاع والاستكشاف وتأمين الحدود والتمهيد لنشر الإسلام والتعرف على طبيعة البلاد ومآكلها وتكوين تصور كامل عن قوتها ، مما يساعد على تنظيم واعداد عمليات الفتح على ضوءها ، عندما تتوفر القوة الكافية التى يمكن تخصيصها لتحقيق ذلك .

والإضافة كانت المصادر لم تنص على خط بير الحملة ، وبيان مدى توغلها ، أو تحديد موقع المعركة ، فإنه يمكن القول بأن الحملة كانت برية لتكونها من الفرسان ، وأنها استهدفت المواقع القريبة من حدود مصر الجنوبية فيما يلي أسوان وماحولها ، حيث كانت الأغارات النوبية تنطلق منها ، وعلى ذلك لم تكن المعركة تبعد كثيرا عن حدود مصر . يؤكد ذلك

ما ذكره الطبرى ، من أن الغزوة كانت لنوبة مصر ^(١) أي منطقة النوبة القريبة من مصر ، مما سهل للحملة مهمة الانسحاب والعودة بعد أن أصيب بعض أفرادها بجراحات وحدثت مفسدة ، لتضع بين يدي عمرو بن العاص تقريراً عن صورة الموقف وأسباب اخفاق الغزوة التي ترجع إلى قلة عدد الفرسان ، مع كثرة عدد النوبيين وشدة مقاومتهم ، ومهارتهم في الرمي بالصهام .

لم تكن المعركة معركة التحام بين القوتين ، ليظهر المسلمون براعتهم في القتال بالعيوف ، ولكن لعدم خبرة النوبيين بالفروسية ، فقد عملوا على أن تكون المعركة بالأطوب الذي يجيدونه ، مما جعل من المتعذر أن تكون المعركة معركة فروسية بالسيف ، فظهرت براعة النوبيين في الرمي بالصهام ، وقدرتهم على إصابة الهدف ، إذ كانوا يصوبون سهامهم إلى عيون مقاتلي المسلمين فيصيبونها في دقة شامة ، فكانت تلك الحملة بمثابة أول اتصال بين الفاتحين وشمال السودان .

ويحدثنا البلاذرى برواية أسندها إلى من رواها عن واحد ممن شارك في تلك المعركة ، قال : " شهدت النوبة مرتين في ولاية عمر بن الخطاب ، فلم أر قوماً أحد في حرب منهم . لقد رأيت أخذهم يقول للمسلم : أين تحب أن أضع سهمي منك؟ فربما عبت الفتى منا فقال : في مكان كذا فلا يخطئه . كانوا يكثرون الرمي بالنبل ، فما يكاد يرى من نبلهم في الأرض شيء فخرجوا أيضاً ذات يوم فصافونا ، ونحن نريد أن نجعلها حملة واحدة بالعيوف ، فما قدرنا على معالجتهم . رمونا حتى ذهبت الأعين ، فعدت مائة وخمسون عيناً مفقودة . فقلنا :

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، ق ١ ص ٢٥٩٣ .

مالهؤلاء خير من الطلح ، ان سلبهم لقليل ، وان ذكائهم لشديدة ، فلم يصالحهم عمرو ، ولم يزل يكالهم حتى عرغ^(١) .
 أما فيما يتعلق بما ذكره المقرئ من أن تقرير البقظ على النوبة كان نتيجة لتلك الحملة^(٢) فان المصادر الأقدم ، لم تمدنا بما يؤيد ذلك ، بل على العكس فكلها تشير إلى اضطرار الحملة إلى الانسحاب والعودة لشدة مقاومة النوبيين^(٣) وهو موقف لا يمكن القول بأنه من الممكن أن يتقرر البقظ نتيجة له ، اللهم الا اذا كان المقصود ماورد عن النوبيين في معاهدة الطلح التي عقدها عمرو بن العاص مع المقوقس عند فتح مصر^(٤) الا أن المقرئ ينص على أن تقرير البقظ كان نتيجة للحملة الأولى على بلاد النوبة .

ومن ناحية أخرى فان استمرار عمرو بن العاص في ارسال فرسان المسلمين إلى النوبة صوافكمواث الروم^(٥) ، ورفضه مصالحه النوبيين إلى أن صرف عن مصر^(٦) فان في ذلك دليل على استمرار الغزوات ، صواف طيلة ولاية عمرو بن العاص وإلى أن كانت حملة عبد الله بن سعد سنة ٢١ هـ / ٦٥٢ م .

-
- (١) فتوح البلدان ، ق ١ ص ٢٨٠ - ٢٨١ .
 (٢) الخط ، ج ١ ص ٢٠٠ ، حسن ابراهيم حسن : انتشار الاسلام في القارة الافريقية ، ص ١٣٩ .
 (٣) البلاذري : نفس المصدر ، ص ٢٨٠ ، الطبرى : تاريخه ، ق ١ ص ٢٥٩٢ ، ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٢ ص ٢٩٧ .
 (٤) الطبرى : نفس المصدر ، ق ١ ص ٢٥٨٨ - ٢٥٨٩ ، ابن كثير : البداية والنهاية ، ج ٧ ص ٩٨ ، ابن خلدون : تاريخه ، مجلد ٢ ص ٩٧١ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ١ ص ٢٤ .
 (٥) البلاذري : نفس المصدر والصفحة ، ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٢٨ ، العيوبي : حمن المحاضرة ، ج ١ ص ٩٢ .
 (٦) البلاذري : نفس المصدر ص ٢٨١ ، المسعودي : مروج الذهب ، ج ١ ص ٢٤٧ ، ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٢٢٨ .

ويستوقفنا أخيراً فيما يتعلق بهذه الحملة ، تحديد شخصية قائدها ، إذ تضاربت المصادر حول شخصيات ثلاث عبد الله بن سعد بن أبي سرح^(١)، أو عقبة بن نافع^(٢) أو والده نافع بن عبد القيس الفهري^(٣).

ففيما يتعلق بعبد الله بن سعد ، وهو ما ذكره المقرئزي قائدا للحملة ، فمن الثابت أن المقرئزي قد خلط بين هذه الحملة وبين حملة عبد الله بن سعد سنة ٣١ هـ ، وإذا ثبت اشتراك عبد الله بن سعد في حملة النوبة الأولى ، فمن المرجح أنه كان واحداً من أفرادها وليس قائدا لها .

أما عقبة بن نافع ، فقد أشارت المصادر إلى اسناد قيادة حملات أخرى إليه منذ بداية المحاولات الأولى لفتح المغرب سنة ٢٢ هـ / ٦٤٣ م^(٤) ولما كانت المصادر قد حددت في نفس الوقت مولد عقبة في السنة الماشرة للهجرة ، أي قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بعام تقريبا^(٥) فإنه يكون في العاشرة أو الحادية عشر من عمره أثناء حملة النوبة الأولى على أكثر تقدير، أي أنه لم يكن في سن يسمح باسناد

(١) المقرئزي : نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢٠٠ ، عبد المجيد عابدين :

تاريخ الثقافة العربية في العودان ، ص ٣٥ .

(٢) البلاذري : نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٢٨٠ ، ابن خردادبسة :

المسالك والممالك ، ص ٩٢ .

(٣) ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٢٢٨ .

(٤) انظر ، السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ١٤٢

١٩١ ، سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي -

ج ١ ، ص ١٣١ ، ١٧٦ .

(٥) ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ١ ، ص ١٩ ، ابن الأثير : أسد

الغابة في معرفة الصحابة ، القاهرة ١٢٨٠ - ١٢٨٦ هـ ،

ج ٣ ، ص ٤٢٠ ، السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع ، ج ٢

ص ١٩١ - ١٩٢ ، سعد زغلول عبد الحميد : نفس المرجع

ج ١ ، ص ١٣٦ ، ١٧٦ .

قيادة الحملة الية ، وخاصة أنها كانت موجبة لمناطـسق
تكداد تكون ممالكها وطبيعتها مجهولة بالنسبة للفاطـميين ،
وان اقتضت مهمتها خلال تلك المرحلة على الاستطلاع ، الا أن
ذلك لا يمنع من مصاحبة عقبة لأبيه الذي كان قائدا للحملة
وهذا ما ذكره ابن عبد الحكم ، اذ نص صراحة على أن الحملة
كانت بقيادة زافع بن عبد القيس^(١) ، وقد نسبت المصادر
ذلك الى عقبة ، لما اشتهر به بعد ذلك باعتباره من كبار
قادة الفتوحات في بلاد المغرب ، فخلطت المصادر في هذه
الحملة بين الصبي الصغير عقبة وبين والده ، ونسبت قيادة تلك
الحملة وغيرها من الحملات المبكرة اليه .

أما عن حملة عبد الله بن سعد على النوبة ، فتجمع
المصادر على أنها كانت سنة ٣١هـ/٦٥٢ م . الا أن بعضها
لم يشر الى الحملة الأولى ، واعتبر أن حملة عبد الله بن
سعد سنة ٣١ هـ ، هي أولى الحملات التي وجهها المسلمون الى

-
- (١) فتوح مصر والمغرب ، ص ٢٢٨ .
(٢) ابن عبد الحكم : نفس المصدر ، ص ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ياقوت :
معجم البلدان ، مادة دمقلة ، ابن الفرات : تاريخ
ج ١٣ لوحة ٢٠ ب ، ابن الهيثم : كثر الدرر ، مخطوط بدار
الكتب المصرية رقم ٤٦٤٣ تاريخ ، ج ٨ ص ٢٠١ ، النويري :
نهاية الأرب في فنون الأدب ، مخطوط بدار الكتب المصرية
رقم ٥٤٩ معارف عامة ، ج ٢٩ ورقة ٢٥٩ ب ، وقارن ،
خليفة بن خياط ، (حيث جعل حملة ابن سعد سنة ثـلاث
وثلاثين الى الحبشة ، وقال : " وفيها غزا ابن سـرج
الحبشة ، فأصبحت عين معاوية بن حـديج ") تاريخ
خليفة ابن خياط ، تحقيق سهيل زكار ١٩٦٢ ، ج ١ ص ١٧٨ .

بلاد النوبة ، قال الذهبي والنويري وابن الغرات وابن أبيك وغيرهم : أن " أول ما غزيت النوبة سنة احدى وثلاثين للهجرة النبوية (١) " .

ولا شك أنه فيما سبق توضيحه ما يكفى لتأكيد أن حملة ابن سعد لم تكن أولى الحملات على النوبة ، وأن بدايتها محاولات فتحها كانت سنة ٢٠ أو ٢١ هـ / ٦٤١ أو ٦٤٢ م أى بعد فتح مصر مباشرة .

ونظرا لأن المصادر لم تمدنا بمعلومات عن حملات أخرى فيما بين الحملة الأولى وحملة ابن سعد ، أى لفترة تزيد عن عشر سنوات ، فقد يتبادر الى الأذهان أن الحملات قد توقفت خلال تلك الفترة ، وقد يؤيد ذلك ما ذكره الفلقشندى نقلا عن الروض المعطار - من " أن عمرو بن العاص رضى الله عنه قعد قتال النوبة ، فرأهم يرمون الحديق بالنبل ، فكف عنهم ، وقرر عليهم اتاوة من الرقيق في كل سنة (٢) " .

وإذا كان الكف عن حرب النوبة قد ورد صريحا فيما أورده الفلقشندى ، إلا أن ما جاء في هذه الرواية من أخطاء ، يجعل الحملة الأولى بقيادة عمرو بن العاص ، وأن من نتائجها تقرير اتاوة سنوية من الرقيق تقدمها النوبة ، مما يجعل من الحكمة عدم الأخذ بها ، اللهم الا إذا كان المقصود حملة عبد الله بن سعد التي لم تكن في عهد عمرو .

(١) تاريخ الاسلام ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٢٩٦ تاريخ ج ٢٩ ص ١٢٨ نهاية الآية العرب ، ج ٢٩ ورقية ٢٥٩ ب ، تاريخ ابن الغرات ، ج ١٢ لوحة ٣٠ ب ، كنز الدرر ، ج ٨ ص ٢٠١ - ٢٠٢ ، وانظر ، ياقوت : معجم البلدان ، مادتي دمقلة والنوبة ، اليعقوبى : تاريخ اليعقوبى ، ج ٢ ص ١٤٣ ، دمشق : نسخة الدهر ، ص ٢٦٩ (٢) صبح الأعشى : ج ٥ ص ٢٧٨ .

ومما يزيد الشك في رواية القلقشندي ، ما أورده في صفحة سابقة ، جاعلا الحملة بقيادة عمرو بن العاص أيضا ، إذ ذكر أنه لما فتح عمرو بن العاص مصر قام بفرض النوبة ، وأورد القلقشندي نصا نقله أيضا عن الروض المعطار ، جاء فيه : " فرآهم يرمون الحديق بالنبل ، فكف عنهم ، وقرر عليهم اتاوة في كل سنة (١) " . وقد يكون تكرار النص على الكف عن حربهم ، تأكيد لهذا الخبر ، إلا أنه بالرجوع للروض المعطار يتضح اختلاف ما أورده القلقشندي عما ذكره صاحب * الروض المعطار ، حيث النص فيه كما يلي :

" ولما افتتحت مصر ، أمر عمر رضي الله عنه أن تغزى النوبة ، فوجدتهم المسلمون يرمون الحديق ، فذهبوا إلى المصالحة ، فأبى عمرو بن العاص رضي الله عنه من مصالحتهم حتى صرف عن مصر ووليها عبد الله بن سعد بن أبي مروح سنة احدى وثلاثين (٢) " .

وهكذا يتضح أن صاحب الروض المعطار لم ينص على توقف الحملات أو المصالحة أو التوصل إلى تقرير شيء على النوبة في عهد ولاية عمرو بن العاص على مصر .

وأما ما كان الأمر ، فإنه اعتمادا على غير تلك النصوص ، نستطيع أن نقرر عدم توقف الغزوات فيما بينها بين الحملة الأولى وبين حملة عبد الله بن سعد . ففي رواية البلاذري بحده من شيخ من حمير ، ما يدل على استمرار

(١) ص ٢٧٦ ج ٥ ص ٢٧٦ .

(٢) الحميري : الروض المعطار ، تحقيق احسان عباس ، بيروت مادة دمشق ص ٢٣٧ .

الحملة ، اذ قال الشيخ : " شهدت الثورة مرتين في ولايته
عمر بن الخطاب (١) " .

كما تشير نصوص أخرى الى عدم مصالحة عمرو بن العاص
للثوبة ، وأن كتائب الفرسان استمرت في الوصول الى الثوبة
بعد الحملة الأولى ، موافق كمواثف الروم : " ولم يزل
الأمر على ذلك حتى عزل عمرو بن العاص عن مصر ، وأمير
عبد الله بن سعد ، فصالحهم (٢) " .

وهكذا يتأكد أن حملة عبد الله بن سعد سنة ٦٥٢/٥٣١ م ،
لم تكن أولى الحملات التي وجهها الغاتحون الى الثوبة ،
وأن الحملة الأولى كانت سنة ٢٠ أو ٢١ هـ / ٦٤١-٦٤٢ م ، وأن كتائب
فرسان المسلمون لم تتوقف عن الوصول اليها ، وأنها استمرت
حتى بعد عزل عمرو وولاية ابن سعد ، الذي بدأت ولايته على
مصر سنة ٢٥ هـ / (٣) ٦٤٦ م . ومن المرجح أنه حدث خلل
السنوات الست التالية لولايته ، ما كان ليها في قيامها
بحملته التي أشارت اليها المصادر ، وحدثت ثوبتها فليس
عاء ٦٥٢/٥٣١ م . أما عن القول بأنها أولى الحملات التي
أرسلت الى الثوبة ، فانه يمكن اعتبار ما كذلك إذا كان المقصود
من حيث العدد والعدة والعدد في عمق الاستلزام الى الثوبة
من بينها من انصار الروم الذين لم يبعد ذلك عن ذلك .

- (١) فتوح البلدان ، ق ١ ص ٢٨٠ .
- (٢) البلاذري : نفس المصدر ، ق ١ ص ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ابن عبد الحكم :
فتوح مصر ، ص ٢٢٨ المسعودي : مروج الذهب ، ج ١ ص ٢٢٧ .
- (٣) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة ، ج ١ حوادث سنة ٢٥ هـ ،
وجعلها ابن الأثير سنة ٢٦ هـ . أنظر ، الكامل في التاريخ
حوادث سنة ٢٦ هـ .

وأيا ما كان الأمر ، فلم يكن والى مصر مطلق اليد
فى التصرف فى أمر الفتوحات غربا أو جنوبا ، وإنما كان
ذلك يتم تنفيذا لسياسة مرسومة تتفق مع تطورات
الحوادث وطبيعة المرحلة ، وبعد موافقة الخليفة ، وقد
أشارت بعض المصادر الى استئذان عمرو بن العاص من الخليفة
عمر بن الخطاب لاعداد وتوجيه الحملات ، ولم يقتصر ذلك
على ما يتعلق بالنوبة (١) ، وإنما كان الأمر كذلك بالنسبة
للحملات التى وجهت الى بلاد المغرب (٢) . كما كانت الحملات
الأولى فى الجبهتين عبارة عن سرايا استطلاعية للاستكشاف
محافظة على وحدة القوات الاسلامية فى مصر ومنعا من تفرقها
وتشتتها فى تلك القفار الشاسعة .

فلما كان عهد خلافة عثمان بن عفان ، واستقرت الفتوحات
الاسلامية ، وزاد عدد المسلمين باقبال أهالى البلدان
المفتوحة على اعتناق الاسلام ، وبالنسبة لبلاد النوبة ، فيبدو
أن السرايا الاستطلاعية قد أدت مهمتها ، وتوفرت المعلومات
عن تلك البقاع . ونتيجة لذلك ولكثرة الاغارات النوبية
على صعيد مصر ، وما قام النوبيون خلالها من سطو ونهب
وتخريب (٣) ، فقد توفرت الأسباب الموجبة لاعداد حملة كبيرة
لوضع حد لتلك الأعاصير .

(١) انظر ، المسعودى : مروج الذهب ، ج ١ ص ٢٤٦ .

(٢) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٢٦٦ ، ابن عبد الحكم : فتوح
مصر ، ص ٤٠ ، ابن عذارى : البيان للمغرب ، ج ١ ص ٨ ، أبو
المرب : طبقات علماء افريقية ، بيروت ، ص ١٦ ، سعد
زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربى ، ج ١ ص ١٤٢ -
١٤٣ ، السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ج ٢ ص ١٥٠ .

(٣) المقرئى : الخطب ، ج ١ ص ٢٠٠ .

ففى سنة ٥٢١ هـ / ٦٥٢ م توجه عبد الله بن سعد على رأس حملة أحكم اعدادها ، إذ كانت تتكون من خمسة آلاف فارس (١) ، مزودين بالملح والسلاح وآلات الحصار ، واتخذ طريقه عبر أراضي النوبة متوغلا الى مدينة دنقلة (٢) عاصمة مملكة النوبة الشمالية مقسرة .

ولتلافى الوقوع فى مصيدة سهام النوبيين ، فقد قام عبد الله بن سعد بفرض الحصار على العاصمة النوبية ، واستخدم المنجنيق فى قصفها ، فخربت قذائفه كثيرا من الدور ومنها كنيسة المدينة . وعندئذ فوجئ ملك النوبة قليدوروث بهذا الأسلوب الحربى الذى لم تعهده النوبة من قبل (٣) ، وأمط فى يده ، واضطر الى الإسراع فى طلب الطح ، حتى لا تؤخذ بلاده عنوة ، " وخرج الى عبد الله وأبدى ضعفا ومكنة وتواضعا . فتلقاه عبد الله ورفع وقربه ، ثم قرر الطح معه على ثلاثمائة وستين رأسا فى كل سنة ، ووعد عبد الله بحبوب يهديها اليه لما شكاه له قلة الطعام ببلاده (٤) . "

قال ابن عبد الحكم ومن نقل عنه ، أنه " أصيب يومئذ عين معاوية بن حديج وأبى شمر أبرهة (الصباح) وحيويل بن ناشرة ، فيومئذ سموا رماء الحدق ، فهادنهم عبد الله

(١) النويرى : نهاية الأرب ، ج ٢٩ ورقة ٢٥٩ ب ، ابن الفرات تاريخه ، ج ١٣ لوحة ٣٣ .

(٢) الذهبى : تاريخ الاسلام ، ج ٢٩ ص ١٢٨ ، النويرى : نفس المصدر والمفحة ، ابن الفرات : نفس المصدر واللوحه ،

Holt: The Nilotic Sudan (in the Cambridge History of Islam, Vol. II, P. 328.

(٣) المقرئى : الخطط ، ج ١ ص ٢٠٠ .

(٤) المقرئى : نفس المصدر والمفحة .

ابن سعد اذا لم يطقهم ، وقال الشاعر :
لم تر عيني مثل يوم دمقلة^(١) والخيل تعدو والدروع^(٢) المثقلة
غير أن إصابة عيون المقاتلين وتسمية النوبيين برماة
الحدق ، إنما كان في الحملة الأولى ، حيث فوجيء المسلمون
وقتذاك ببراعة النوبيين المتناهية في إصابة الهدف بالسهم
من بعيد ، لذلك لم يتمكن المسلمون آنذاك من الالتحام بهم
لمقاتلتهم بالسيوف . أمّا في هذه المعركة ، فإن الحصار
الذي فرضه المسلمون على الحاصنة ، واستخدام المنجنيق في
ضربها ، فوت الفرصة على النوبيين في استخدام السهم ،
لبعد المعلمين عن مرماها ، ولهذا عجزوا عن مدافعة المسلمين
وأيقنوا بالهلاك ، وخرج ملكهم خاضعا طالبا الصلح . وهو أمر
لا يحدث اذا كان النوبيون قد تمكنوا من استخدام سهامهم في
هذه الحملة .

يؤيد ذلك ما قاله كل من البلاذري وابن خرداذبة والطبري
والمعمرى وابن الأثير ، من أن إصابة عيون المقاتلين في
الحملة الأولى ، ولم يثر أى من هؤلاء الى تكرار ذلك في
حملة عبد الله بن سعد المشار إليها^(٣)

(١) فتوح مصر ، ص ٢٥٢ - ٢٥٣ ، الدهبي : تاريخ الايام ، ج ٢٩
ص ١٢٨ ، النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٩ ورقة ٢٥٩ ب ،
ابن الفرات : تاريخه ، ج ١٣ لوحة ٣٠ أ ، ياقوت : معجم
البلدان ، مادة دمقلة .

(٢) فتوح البلدان ، ق ١ ص ٢٨٠ ، ٢٨١ ، الصالك والممالك ص ٩٢
تاريخ الرسل والملوك ، ق ١ ص ٢٥٩٣ ، مروج الذهب ، ج ١
ص ٢٤٧ ، الكامل في التاريخ ، ج ٢ ص ٢٩٧ .

وهكذا ، فقد تحقق النصر للمسلمين في هذه المعركة ، بعد أن تهاوت عزائم النوبيين وعجزوا عن الدفاع عن مدينتهم . ولهذا أسرع ملكهم إلى طلب الملح قبل أن تفتح مدينته عنوة ، أما استجابة ابن سعد له ، فتنفيدا لقول الله سبحانه وتعالى : " وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله " . (١)

قال البلاذري : ان النوبيين سألوا ابن سعد " الطلمح والموائد فاجابهم " (٢) وقال : " حدثنا أبو عبيد القاسم ابن سلام ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح عن أبي لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب قال : ليس بيننا وبين الأماوي (٣) عهد ولا ميثاق ، انما هدنة بيننا وبينهم " . (٤)

وقال ابن عبد الحكم ومن نقل عنه : " انما هي هدنة أمان " (٥) على ألا نقاتلهم ولا يقاتلونا ، وأن يعطونا رقيقا ونعطهم بقدر ذلك طعاما " . (٦)

أما فيما يتعلق بنص كتاب عبد الله بن سعد لملك النوبة ، فقد أورد ابن عبد الحكم بعضا منه ، قال : " ويقال فيما ذكر بعض المشايخ المتقدمين ، انه نظر في بعض الدواوين بالفسطاط وقرأه قبل أن يهرق ، فاذا هو يحفظ منه :

- (١) سورة الانفال ، آية ٨ .
- (٢) فتوح البلدان ، ق ١ ص ٢٨٠ ، وانظر ، ياقوت : معجم البلدان مادة دمقلقة .
- (٢) الأساود : هم النوبة (ابن عبد الحكم : فتوح مصر ، ص ٢٥٢)
- (٤) فتوح البلدان : ق ١ ص ٢٨١ .
- (٥) فتوح مصر ، ص ٢٥٣ ، ياقوت : معجم البلدان ، مادة دمقلقة .
- النويري : نهاية الأرب ، ج ٢٩ ورقة ٢٦٠ أ ، ابن الفرات : تاريخه ، ج ١٣ لوحة ٣٠ ب .
- (٦) البلاذري : نفي المصدر والصفحة ، وانظر ابن عبد الحكم : نفي المصدر والصفحة ، الطبري : نفي المصدر ، ق ١ ص ٢٥٩٣ ، ياقوت : معجم البلدان ، مادة دمقلقة ، ابن الأثير : نفي المصدر ، ج ٢ ص ٣٩٧ ، النويري : نفي المصدر والمفحمة ، ابن الفرات : نفي المصدر واللوحنة .

انا عاهدناكم وعاهدناكم أن توفونا في كل سنة ثلاثمائة رأس
ومتين رأساً . وتدخلوا بلادنا مجتازين غير مقيمين ، وكذا
تدخل بلادكم . على أنكم ان قتلتم من المسلمين قتيلًا ، فقد
برئت منكم الهدنة . وعلى ان أويتم للمسلمين عيدا ، فقد
برأت منكم الهدنة . وعليكم رد أباقي المسلمين ، ومن لجأ
اليكم من أهل الذممة (١)

أما النص الكامل لكتاب عبد الله بن سعد ، فقد أورده
المقرئ في خطه وإن كان قد أغفل ذكر مصدره ، ونصه بعد
البسملة كالآتي :-

" عهد من الأمير عبد الله بن سعد بن أبي سرح لعظيم
النوبة ولجميع أهل مملكته عهد على الكبير والصغير من حد أرض
أسوان إلى حد أرض علوة ، أن عبدالله بن سعد جعل لهم أمانا وهدنة
جارية بينهم وبين المسلمين ممن جاورهم من أهل صعيد مصر
وغيرهم من المسلمين وأهل الذمة ، أنكم معاشر النوبة
آمنون بأمان الله وأمان رسوله محمد النبي صلى الله عليه
وسلم ، أن لا تحاربكم ولا تنصب لكم حربا ولا تغزوكم ما أقمتهم
على الشروط التي بيننا وبينكم ، على أن تدخلوا بلادنا
مجتازين غير مقيمين فيه ، وتدخل بلادكم مجتازين غير مقيمين
فيه . وعليكم حفظ من نزل بلادكم أو طرقه من مسلم أو معاهد
حتى يخرج عنكم ، وأن عليكم رد كل آبق اليكم من عبيد
المسلمين حتى تردوه إلى أرض الاسلام ، ولا تستولوا عليه ،
ولا تمنعوا منه ولا تعرضوا لمسلم قمده وحاوره إلى أن ينصرف
عنه . وسنم معظ المسجد الذي ابتناه المسلمون بفنشاء

(١) الآبق : هو العبد البالغ الهارب .

(٢) فتوح مصر ، ص ٢٥٤ .

مدينتكم ، ولا تمنعوا منه مطلقا ، وعليكم كنهه واسراجسه وتكرمته . وعليكم في كل سنة ثلثمائة وستون رأسا تدفعونها الى إمام المسلمين ، من أوسط رقيق بلادكم غير المعيينه يكون فيها ذكران واناث ليس فيها شيخ هرم ولا عجوز ولا طفل لم يبلغ الحلم . تدفعون ذلك الى والى أموان . وليس على مسلم دفع عدولكم ولا منعه عنكم ، من حد أرض ملوة للمسي أرض أموان . فان أنتم آوئتم عبدا لمسلم أو قتلتم مسلما أو معاهدا أو تعرضتم للمعبد الذي ابتناه المسلمون بفناء مدينتكم بهدم أو منعه شيئا من الثلثمائة رأس والستين رأسا ، فقد برئت عنكم هذه الهدنة والأمان ، وعدنا نحن وأنتم على سواء ، حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين . علينا بذلك عهد الله وميثاقه ودمته وذمه رحله محمدا صلى الله عليه وسلم ، ولنا عليكم بذلك أعظم ما تدينون به من ذمة المسيح وذمة الحواريين وذمة من تعظمونه من أهل دينكم وملتكم ، الله الشاهد بيننا وبينكم على ذلك .

كتبه عمرو بن شرحبيل في رمضان سنة إحدى وثلاثين (١) .

قال الطبري : " قال علي ، قال الوليد بن لهيعة : وأمضى ذلك الصلح عثمان ومن بعده من الولاة والأمراء (٢) " .

ومما تجدر الإشارة اليه ، أنه ليس فيما لدينا من نصوص ما يدل على توقيع ملك النوبة على هذا الكتاب . غير أن التزام النوبيين بالوفاء بما ورد فيه ، يؤكد القبول بما تضمنه .

(١) الخطط ، ج ١ ص ٢٠٠ .

(٢) تاريخ الرمل والملوك ، ث ١ ص ٢٥٩٢ . ابن الأثير : نفس المصدر والمفصلة .

- ويتضح من النص الكامل للكتاب ، أنه :
- أمان لمملكة النوبة الشمالية (مقرة) ، هدنة بين المسلمين وبين تلك المملكة فقط ، الى حد أرض علوة (المملكة الجنوبية) ، أي أنه لم يتضمن مملكة علوة .
 - ضمان حرية دخول المسلمين والنوبيين كل الى بلد الآخر غير مقيمين . وأن يحفظ النوبيون من يمل الى بلادهم من مسلم أو معاهد حتى يخرج .
 - عدم ايواء مسلم محارب للمسلمين ، أو الفارين ممن عبيد المسلمين .
 - القيام بحفظ المسجد الذي أقامه المسلمون بدشقلية ، والتعهد بنظافته وانارتبه ، وعدم التعرض بسوء لمن يقصده مطبعا كان أو مجاورا .
 - عدم التزام المسلمين بحماية النوبيين ، أو تقديم أية مساعدة لهم ضد أعدائهم .
 - التعهد بتعليم ٢٦٠ رأسا من ارقين سخويا .
 - يلتزم المسلمون بعدد بحارية السريسيين ، كما هموا ملتزمين سابقا بمثلها ، وبما ورد في الكتاب المذكور .
- ولا شك أن ما قرأنا في هذا النص من تعهدات المسلمين بالنزول الى بلاد النوبة ، والوفاء بالعهود التي قطعوها على النوبيين ، والتعهد لنشر السلام والثبات في بلادهم ، بالإضافة الى وقف الاغارات النوبية على معبد مصر وتأمين حدود مصر الجنوبية ، وتنشيط الحركة التجارية .
- أما النص المتعلق بالرقيق ، فمن المحتمل أن يكون القصد منه التأكيد من استمرار التزام النوبيين بتنفيذ بقية ما نص عليه عهد الأمان ، والوفاء بما تعهدوا به ،

خاصة وأن المصادر لن تشر إلى قيام المطلعين بترتيب
ناشب أو حاميات اسلامية في النوبة .

ومما يذكر أن هذا الرقيق ، الذي نص عليه ، هو وحده
الذي اُصطلح عليه بالبقط^(١) دون بقية ما نص عليه العهد .
وربما كانت لفظة (البقط) مصرية قديمة بمعنى عبود .
وأطلقتها المصادر العربية على ما تقدمه النوبة من رقيق^(٢) .
أما إذا كانت عربية ، فهي - كما يقول المقريري - تعني
فرقة من الشيء أو قطعة منه ، وهي هنا بمعنى " بعض ما في
أيدي النوبة " ^(٣) .

فالبقط إذن ، " ما يقبض من سبي النوبة في كل عام
ويحمل إلى مصر ضريبة عليهم " ^(٤) . طبقا لما قرر^(٥) . وقد
فرض بنفس القدر في جهة المغرب على أهل ودان وجرمة^(٦) ،
إلا أنه لم يطلق عليه هناك نفس الاسم .

وقد جعل ابن خلدون البقط جزية^(٧) . وقال غيره بأئنة
ليس بجزية ^(٨) ولاخراج^(٩) وقال ابن الفرات بأنة ضريبة^(١٠) .

-
- (١) المسعودي : مروج الذهب ، ج ١ ص ٢٤٧ .
 - (٢) سيكر : مادة (بقط) بدائرة المعارف الاسلامية .
 - (٣) الخطط ، ج ١ ص ١٩٩ .
 - (٤) المقريري : نفس المصدر ، ج ١ ص ١٩٩٩ ، ٢٠١ .
 - (٥) النويري : نفس المصدر ، ج ٢٩ ورقة ٢٥٩ ب ، ابن الفرات :
تاريخه ، ج ١٣ لوحة ٣٠ ب .
 - (٦) سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ج ١ ص ١٨٠ ،
السيد عبد العزيز طلم : المغرب الكبير ، ج ٢ ص ١٩٤ .
 - (٧) تاريخ ابن خلدون ، ج ٥ ص ٩٢١ ، سيكر : مادة (بقط)
دائرة المعارف الاسلامية .
 - (٨) البلاذري : فتوح البلدان ق ١ ص ٢٨٠ .
 - (٩) ابن خرداذبة : الممالك والممالك ، ص ٩٢ .
 - (١٠) تاريخ ابن الفرات ، نفس اللوحة ، النويري : نفس المصدر
والورقة .

وقيل بل هو هدية (١) أو عطاء يقدمه النوبيون ، ويسمونه المملون في مقابلته طعاما (٢) . غير أن نص العهد المسمى أورده المقريري ، لم يرد فيه شرط عن التزام المسلمين بتقديم شيء من غلال أو خلافة ، غير أن هدية الغلال ، إنما كانت بعد أن قرر ابن سعد الطلح مع ملك النوبة ، على نحو ماورد في الكتاب . فلما شكى الملك قلة الطعام ببلده ، وعده ابن سعد بحبوب يهديها إليه (٣) ، ويعثله ما وعده به من حبوب قمحا وشعيرا وعدسا وشبابا وخيلا ، قال المقريري : " ثم تناول الرسم على ذلك ، فصار رسما يأخذونه عند دفع البقط في كل سنة (٤) " . ولم يتوقف المملون عن إرسال هديتهم طالما استمر النوبيون في المحافظة على تنفيذ ما التزموا به ، بما في ذلك البقط .

-
- (١) البلاذري : نفس المصدر والصفحة ، الطبري : نفس المصدر والصفحة ، ابن خردادبة : نفس المصدر والصفحة ، ابن الأثير : نفس المصدر والصفحة .
- (٢) البلاذري : نفس المصدر ، ص ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ابن عبد الحكم : نفس المصدر ، ص ٢٥٣ ، الطبري : نفس المصدر والصفحة ، ابن خردادبة : نفس المصدر والصفحة ، ياقوت : مادة دمقلة ، ابن الفرات : نفس المصدر واللوحه ، النويري : نفس المصدر والورقة ، بيكر : مادة بقط بدائرة المعارف الإسلامية Quatremère, *Memoires Géographiques et Historiques sur l'Egypt, et sur quelques contrées voisins*, 1811, vol, II, P.42, MacMichael, *A History of the Arabs in the Sudan*, 1922, vol. I, 158.

- (٣) المقريري : الخطط ، ج ١ ص ٢٠٠ .
- (٤) الخطط ، نفس الجزء والصفحة .

ورغم تحديد كتاب ابن سعد للبقيط بثلاثمائة وستين رأساً ، وأن العدد كان كذلك فيما فرض في جبهة المغرب ، إلا أن بعض الروايات ذكرت أرقاماً تختلف عن ذلك ؛ ففي رواية البلاذري بسنده إلى يزيد بن أبي حبيب ، قال : أنهم ثلاثمائة رأس فقط (١) ، وقيل بل صالحهم على أربعمائة رأس (٢) ، لوالى مصر منها أربعمائة (٣) .

أما المصعودي ، فقد جعلهم ثلاثمائة وخمسين وستين رأساً ، أي بزيادة خمسة ، وقال : " وأراه ربما على عدد أيام الحنة (٤) " . وأن هذا ما يخص بيت مال المعلمين ، تنفيذاً لشرط الهدنة . وزاد على ذلك عدداً آخر خارج عن الشرط ، عبارة عن أربعين رأساً لأمير مصر ، وعشرين لنائبة في أسوان وخمسة للقاضي الذي يحضر مع أمير أسوان لاستلام البقيط ، واشتى عشر رأساً لاشئ عشر شاهداً عدولاً يحضرون الاستلام ، قال المصعودي : وهذا " على حسب ما جرى به الرسم في صدر الإسلام في بدء إيقاع الهدنة بين المعلمين والنوبة " . وكان يتم تسليم البقيط في موضع يعرف بالقصر ، على ستة أميال جنوبى أسوان (٥) .

(١) البلاذري : نفس المصدر ، ق ١ ص ٢٨٠ ، ابن خردادبة : نفس المصدر والمفحمة .

(٢) ياقوت : معجم البلدان ، مادة نوبة ، النويري : نفس المصدر والمفحمة ، ابن الفرات : نفس المصدر واللوحة .

(٣) ابن عبد الحكم : نفس المصدر ، ص ٢٥٤ ، ابن الفرات : نفس المصدر واللوحة ، النويري : نفس المصدر والمفحمة .

(٤) مروج الذهب ، ج ١ ص ٢٤٧ .

(٥) مروج الذهب ، ج ١ ص ٢٤٧ ، المقرئ : الخط ، ج ١ ص ٢٠١ .

وقد حدد العهد وصف نوعية ما تقدمه النوبة من رقيق ،
اذ يجب أن يكون من أوسط رقيقهم ، " غير المعيب ، يكون
فيها ذكران واثاث ، ليس فيها شيخ هرم ولا عجوز ولا طفل
لم يبلغ الحلم (١) .

قال ابن عبد الحكم : " فزعم بعض المشائخ أن منها
سبعة عشر مريضاً (٢) " .

والرقيق أو البقط الذي تقدمه النوبة ، هو " ممسك
ياخذون من رقيق أعدائهم (٣) " . مما يسببه ملكهم " المجاور
للمسلمين من غيرهم من بلاد النوبة (٤) " . قال البلاذري :
" فإذا لم يجدوا منه شيئاً ، عادوا على أولادهم ، فأعطوا
منهم فيه هذه العدة (٥) " . وقال ابن عبد الحكم : " قال
ابن لهيعة : ولا بأس أن يشتري رقيقهم منهم ومن غيرهم (٦) .

ولا شك أن أخذ الرقيق أو شراؤه في الاطلام إنما يهدف
الى تعريفهم بالاسلام .

فالدعوة للاسلام هي الهدف الرئيسي للفتوحات ، وتربية
هؤلاء على العادات والتقاليد الاسلامية ، وتعليمهم اللغة .

(١) المقرئى : نفس المصدر ، ص ٢٠٠ .

(٢) فتوح مصر ، ص ٢٥٤ .

(٣) البلاذري : نفس المصدر ، ص ٢٨١ .

(٤) المسعودى : نفس المصدر ، والمحفلة .

(٥) فتوح البلدان ، نفس المحفلة .

(٦) فتوح مصر ، ص ٢٥٢ ، وانظر ، البلاذري : نفس المصدر

والمحفلة . النويرى : نفس المصدر ج ٢٩ ورقة ٢٦٠ أ .

ابن الفرات : نفس المصدر واللوحة .

العربية . فإذا ما تحقق ذلك تم عتقهم (١) ، فيكون لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، وتلك كانت وسيلة من وسائل توثيق العلاقات بين المسلمين والنوبة .

وهكذا فقد وضع عبد الله بن سعد الأسس للعلاقات المختلفة بين المسلمين والنوبة ، وتم تنظيم تلك العلاقات بطريقة تضمن تحقيق الاتصال بين البلدان ، وتأمين الحدود ووقف الاغارات ، مما كان له أكبر الأثر في تسهيل وصول الدعوة وانتشار الاسلام في بلاد النوبة سليما ، وما البقط الا دليل على استمرار وفاء النوبيين بما تعهدوا به .

(١) انظر ، سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ج ١ ص ١٢٢ - ١٢٣ .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر

ابن الأشير ، عز الدين أبو الحسن علي (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م)
- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، القاهرة ١٢٨٠ - ١٢٨٦ هـ .
- الكامل في التاريخ ، بيروت ١٣٤٩ هـ .

الاصطخري ، أبو القاسم إبراهيم (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م)
- الممالك والممالك ، القاهرة ١٩٦١ .

ابن أبيك الدواداري ، أبو بكر بن عبد الله (ت ٥٧٣ / ١٢٣١ م)
- كنز الدرر وجامع الفهر ، مخطوط بدار الكتب المصرية
رقم ٤٦٤٣ تاريخ .

البلاذري ، أبو العباس أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩ / ٨٩٢ م)
- فتوح البلدان ، تحقيق صلاح الدين المنجد ١٩٥٦ .

ابن تغري بردي ، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤ هـ /
١٤٦٩ م)

، - النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ١٩٣٥ .

الحميري ، محمد بن عبد المنعم
- الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق احسان عباس
بيروت ١٩٧٥ .

ابن حوقل ، أبو القاسم محمد البغدادي (ت ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م)

- صورة الأرض ، لندن ١٩٣٨ .

ابن خرداذبة ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله
(ت ٣٠٠ هـ / ١٤٠٥ م)

- الممالك والممالك ، ليدن ١٨٩٩ .
- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م)
- العبر وديوان المبتدأ والخبر ، بيروت ١٩٥٨ .
- خليفة بن خياط العصفري (ت ١٤٠ هـ / ٨٥٤ م)
- تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق سهيل زكار ، ١٩٦٧ .
- الدمشقي ، محمد بن أبي طالب الانصاري (ت ٧٢٧ هـ / ١٣٢٨ م)
- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، ليزن ١٩٢٨ .
- الذهبي ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ابن قايماز (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧)
- تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام ، مخطوط بـدار
- الكتب رقم ٣٩٦ تاريخ
- السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر
- (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م)
- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، ١٣٢٧ هـ .
- أبو صالح الأرمني (ت ٦٠٥ هـ / ١٢٠٨ م)
- تاريخ أبي صالح الأرمني ، ١٨٩٤ .
- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠ هـ / ٩٢٢ م)
- تاريخ الرمل والملوك ، ليدن ١٨٩٣ .
- ابن عبد الحكم ، عبد الرحمن بن عبد الله (ت ٢٥٧ هـ / ٨٧١ م)
- فتوح مصر والمغرب ، تحقيق عبد المنعم عامر ١٩٦١ .
- ابن عذاري ، أبو العباس أحمد المراكشي .

- البيان المقرب في أخبار المقرب ، ليدن ١٩٤٨ - ١٩٥١
- أبو العرب ، محمد بن أحمد بن تميم (ت ٧٢٣ هـ / ٩٤٤ م)
- طبقات علماء أفريقيا ، طبع بيروت .
- أبو الفدا ، عماد الدين اسماعيل بن علي (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م)
- المختصر في أخبار البشر ، طبع بيروت .
- ابن الفرات ، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤ م)
- تاريخ الدول والملوك ، مخطوط مصور بدار الكتب رقم ٣١٩٧ تاريخ تيمور .
- ابن الفقيه ، أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني (ت ٢٩٠ هـ / ٩٠٣ م)
- مختصر كتاب البلدان ، ليدن ١٨٨٥ .
- القزويني ، زكريا بن محمد (ت ٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م)
- آثار البلاد وأخبار العباد ، بيروت ١٩٦٩ .
- القلقشندي ، أبو العباس أحمد (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م)
- صبح الاعشى في صناعة الانشا ، القاهرة ١٩١٣ - ١٩١٩ .
- ابن كثير ، عماد الدين اسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ / ١٣٧٢ م)
- البداية والنهاية ، القاهرة ١٣٤٨ هـ .
- المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين (ت ٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م)
- التنبيه والإشراف ، ليدن ١٨٩٨ م .
- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ١٣٤٦ هـ .
- المقرئزي ، أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤١ م)

- المواعظ والاعتبار في ذكر الخط والآثار ، بولاق ١٢٧٠
- المويرى ، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٥٧٢٢ / ١٢٣٢ م)
- نهاية الارب في فنون الادب ، مخطوط مصور بدار الكتب
 البصرية رقم ٥٤٩ معارف عامية .
- الواقدي ، محمد بن عمر (ت ٢٠٧ هـ / ٨٢٣ م)
- فتوح مصر والامكندرية ، ليسان ١٨٢٥ .
- ابن الوردى ، زين الدين عمر بن المطهر (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م)
- تنمة المختصر ، بيروت ١٩٧٠ .
- ياقوت ، شهاب الدين أبو عبد الله الحموى الرومى
 (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م)
- معجم البلدان ، القاهرة ١٩٠٦ .
- اليعقوبى ، احمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح
 (ت ٢٨٤ هـ / ٨٩٧ م)
- كتاب البلدان ، ليدن ، ١٨٩١ م .
- تاريخ اليعقوبى ، النجف ١٣٥٨ هـ .

ثانيا : المراجع العربية :

- بتلر ، الفرد . ج . :
- فتح العرب لمصر ، ترجمة محمد فريد أبو حديد .
القاهرة ، ١٩٤٩ .

بيكر :

- مادة (بقط) في دائرة المعارف الاسلامية .
حسن ابراهيم حسن (الدكتور) :
- انتشار الاسلام في القارة الافريقية ، ١٩٦٤ .
حسن أحمد محمود (الدكتور) :
- الاسلام والثقافة العربية في افريقية ، القاهرة ١٩٦٣
دائرة المعارف الاسلامية .
- الترجمة العربية .

دريوتون وفانديسه :

- مصر ، ترجمة عباس بيومى ، ١٩٥٠ .
سعد زغلول عبد الحميد (الدكتور)
- تاريخ المغرب العربى ، الاسكندرية ١٩٧٩ .
سعيد عبد الغناح عاشور (الدكتور)
- مصر في عصر المماليك البحرية ، القاهرة ١٩٥٩ .
الميد عبد العزيز سالم (الدكتور)
- المغرب الكبير ، الطبعة الاولى ، ١٩٦٦ .
عبد المجيد عابدين (الدكتور)
- تاريخ الثقافة العربية في السودان ، ١٩٥٣ .

محمد التونجى

- عقبة بن نافع ، بنغازى ١٩٢٥ .

محمد عوض محمد (الدكتور)

- للسودان الشمالى ، مكانه وقبائله ، ١٩٥١ .

- الشعوب والسلالات الافريقية ، ١٩٦٥ .

- نهر النيل ، الطبعة الاولى .

مصطفى محمد مسعد (الدكتور)

- الاسلام والنوبة فى العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٦٠ .

نجيب ميخائيل ابراهيم (الدكتور)

- مصر والشرق الادنى القديم ، ١٩٦٢ .

المراجع الأجنبية :-

- Arkell,
A History of the Sudan to A.D. 1821, London,
1955.
- Becker,
Art. "Bakt" in ENC. of Islam, 1913.
- Budge,
The Egyptian Sudan, Its History and Monuments,
London, 1907.
- Burckhardt,
Travels in Nubia, London, 1819.
- Bury,
History of the later Roman Empire, London, 1889.
- Holt,
The Nilotic Sudan (Cambridge History of Islam,
1970, vol,2.
- MacMichael,
A History of the Arabs in the Sudan, 1922.
- Paul,
A History of the Beja Tribes of the Sudan, Camb.
1954.
- Quatremère,
Mémoires Géographiques et historiques sur
l'Egypt et sur quelques Contres Voisins, 1811.
- Shinnie,
The Fall of Meroë, Kush, vol. 111, (Sudan
Antiquities Service Occasional Papers) 1955.
- Trimingham,
Islam in the Sudan, London, 1949.

تلقى الدين ابن دقيق الميـمد

دكتور جابر طامة المصري

المدرس بكلية التربية

هناك من الرجال من أسهموا فى بناء التاريخ بعقولهم وفكرهم وامتلأ شخصياتهم . فالتاريخ ليس بناء سياسيا من صنع الحكام والساسة وارباب السيوف ، وإنما هو أيضا بناء حضارى له جوانبة الثقافية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية وكلها جوانب لا تقل أهمية عن الجانبين السياسى والحربى فى تشكيل صورة حياة المجتمعات البشرية .

وقد أتمف عصر سلاطين المماليك فى مصر والشام - فيما بين منتصف القرن السابع الهجرى (الثالث عشر للميلاد) وأوائل القرن العاشر الهجرى (السادس عشر للميلاد) بنشاط واسع فى الحياة الفكرية والثقافية ، وهو نشاط أدت اليه عوامل عدة سياسية واقتصادية واجتماعية ، منها أن دولة سلاطين المماليك غدت تمثل واحة الأمن والاستقرار فى العالم الاسلامى بعد ان استبد المفلول بالجناح الشرقى من دولته الاسلام وتعرض المغرب لهجمات الاوربيين والطليبيين ، ومنها ازدهار الاقتصادى وتوافر الثروة لدولة سلاطين المماليك بعد ان احتكروا التجارة العالمية بين الشرق والغرب ومنها احساس المماليك أنفسهم بدعامة يعتمدون عليها فى تبرير قيامهم ثم بقائهم فى الحكم فلم يجدوا دعامة أفضل من الدين والعلم ورجال الدين والعلم .

والمعروف أن سلاطين المماليك بوجه عام حرصوا على تكريم العلم والعلماء تكريما كبيرا لاتخاذهم ركيزة وواسطة بينهم وبين رعاياهم من أهالى البلاد . وظهر هذا التكريم للعلماء فى صور متعددة منها إعفاء شتى مظاهر الرعاية الادبية والعادية عليهم والحرص على الاجتماع بهم بين حين واخر فى المناسبات الدينية والعلمية وغيرها .

ولعل هذه المكانة الحاصية التي حظى بها العلماء في عصر خلاطين المماليك في نظر الحكام والشعب جميعا ساعدت في كثير من الحالات على اعتدادهم بأنفسهم وبسرور بعضهم على سطح الاحداث ، واسهامهم في تشكيل الحضارة المعاصرة ليس في الجوانب الفكرية والعلمية والثقافية فحسب ، بل ربما أيضا الحياة السياسية .

وكانت نسبة كبيرة من هؤلاء العلماء من أصول مصرية صميمية ، وليسوا الوافدين على مصر من شتى أنحاء العالمين الاسلامي في الشرق والغرب أو ممن ينحدرون من أصول غير مصرية بعد أن نزح أبائهم وأجدادهم الى مصر واستقروا فيها . ويكفي أن نشير الى أسماء السيوطي والسخاوي والقلقشندي وغيرهم ممن ينتسبون الى مدن وقبلى مصرية صميمية لنذكر أن تربة مصر العريقة أفرزت في ذلك العصر جمعا كبيرا من علماء الفكر والثقافة الذين مازالت مآلاتهم تحتل ركننا بارزا في مكتبة التراث الاسلامي .

ومن المدن المصرية التي أشتهرت في ذلك العصر بأنها مركز من مراكز الحياة العلمية والثقافية مدينة قوص في صعيد مصر . وربما ساعد على ذلك موقع هذه المدينة على طريق القاهرة عيذاب على البحر الاحمر مما جعلها ممعدا للتجار والحجاج ، في عصور تداخلت فيها تيارات الحجاج والتجارة والعلم ، فاتخذ المعلمون والمتعلمون من رحلة الحج وسيلة للاخذ والعطاء ، ووجد من التجار من اشتغل بالعلم ومن العلماء من اشتغل بالتجارة . ومهما يكن من أمر فإن مدينة قوص خرجت في عصر خلاطين المماليك عددا من رجال العلم أشار الى بعضهم الادقوي في كتابه الطانع المسعود

مما يدل على انها غدت مدرسة مرموقة للحياة العلمية
في صعيد مصر .

ومن علماء هذه المدرسة في القرن السابع الهجرى
الثالث عشر للميلاد - ابن دقيق العيد المتوفى سنة ٧٠٢ هـ
وهو أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشـيرى
المفلوطى الصعيدى السالكى الشافعى (١) .

أما الادفوى فقال فى ترجمته " محمد بن علي بن وهب
بن مطيع بن أبي الطاعة القشـيرى تقي الدين ذاتا ونعتا " (٢)

وترجم له تاج الدين عبد الوهاب السكى وابن حجر
العقلاى وابن تغرى بردى وهم جميعا يتفقون على أن نسب
ابن دقيق العيد هو " محمد بن علي بن وهب بن مطيع بن
أبي الطاعة القشـيرى المفلوطى المصرى القومى المنشأ
المالكى ثم الشافعى أبو الفتح تقي الدين " (٣) .

ولقب أبيه مجد الدين وكنيته أبو الحسن ، وجده مطيع
وكنيته أبو العطايا لكرمه وسخائه وجوده ، كان يلـبس فى
يوم عيد طيلسانا أيضا فـقال كأنه دقيق العيد فـسمى به ، أى
أن مطيعا هذا عرف بدقيق العيد ، ولما كان علي بن وهب
حفيده دعاه الناس بابن دقيق العيد ، ومن هنا كانت شهرة
تقي الدين محمد بابن دقيق العيد . (٤)

-
- (١) الذهبى : تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ٢٧٢
(٢) الادفوى : الطالع العيد ص ٢١٧
(٣) السكى : طبقات الشافعية ج ٦ ص ٢
ابن حجر: الدرر الكامنة ج ٤ ص ٩١
ابن تغرى بردى : النجوم الراهرة ج ٨ ص ٢٠٦
(٤) الادفوى : الطالع السعيد ص ٢٢٧ =

أما تسميته بالقشيري فلانة من أحفاد بهرز بن حكيم
القشيري (١) والقشيري بدم القاف وفتح الشين وسكون الياء
نسبة إلى قشير بن كعب ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة قبيلة
كبيرة يسب إليها كثير من العلماء منهم بهرز بن حكيم
بن معاوية بن حيدة القشيري (٢) .

أما عن أمة فانها بنت الشيخ الصالح التقى السورج
الزاهد مفرج بن موفق بن عبد الله الدماميني الموصوف
بالعلم والفضل (٣) ، فأملة كريمات وأبولة عظيمات (٤) .

ولد الشيخ تقى الدين بن علي بن وهب بن دقيق النعيمي
في يوم السبت الخامس والعشرين من شهر شعبان سنة ٦٢٥هـ
بالقرب من ساحل ينبع وأبوة متوجهان إلى الأراضي الحجازية
فلما قدم أبوه مكة حلة على يده وطاق به الكعبة ودعا له
أن يجعله الله عالما عاملاً (٥) .

وهكذا نشأ الشيخ في بيت من أشرف بيوتات المعينين
وأكرمها حسبا ونسبا وأشهرها علما وأدبا وأرفعها مقامات
ومنزلة ، فقد كان أبوه أبو الحسن علي بن وهب مشهودا له
بالتقدم على غيره في العلوم (٦) وفقه المالكية ، وكذلك
جده لأبيه وهب بن مطيع فقد عرف بالعلم والفضل والتقوى
والورع والبدل والعطاء . ومن جهة أمه فهي كريمة المحتسب
وكفاها أن أباه الشيخ الإمام تقى الدين بن المفرج الذي
شدت إليه الرحال وقصده الطلاب .

= المقرري : السلوك ج ١ ص ٨١٣ حاشية ٢

(١) ابن حجر : الدرر الكامنة ج ٤ ص ٩٢

(٢) ابن الأثير : الباب في تهذيب الانساب ج ٢ ص ٢٦٤

(٣) الادفوى : الطالع السعيد ص ٢٦٩

(٤) ابن دقيق العيد : احكام الاحكام ج ١ ص ١٧

(٥) ابن دقيق العيد : احكام الاحكام ج ١ ص ١٦

(٦) الادفوى : الطالع السعيد ص ٢٢٩

وكانت نشأة في قوص ، تلك المدينة المصرية التي شهدت نهضة ثقافية واسعة النطاق لا تقل عما كانت تتمتع به عواصم العالم الاسلامي من تقدم واردهار كالقاهرة والاسكندرية ودمشق وحلب من حيث وفرة رجال الدين ، وقد ساعدها على ذلك أنها أصبحت - بعد أن سيطر الطيبيون على العقبة طريق الحج الاصيل - طريقاً سهلاً يسورا بين الشرق والغرب ، فعرفها على أثر ذلك العديد من العلماء والفقهاء والمشاركة والمقاربة في رواحهم وغدوهم من الاراضي المقدسة في مواسم الحج أو في سياحاتهم المختلفة ، وقد اتخذها الكثير منهم دار مقام لهم حتى وفاتهم ، واتخذها صلاح الدين الايوبي قاعدة لمقاومة مذهب الشيعة المتمركز في اغلب مدن الصعيد ونشر مذهب السنة ، فانشأ بها العديد من المدارس والجوامع التي تهتم بتدريس فقه السنة ليقضى بذلك على آراء الشيعة وعقائدهم في الاسلام ، واقتفى طريقة من بعده معظم ملاطين الايوبيين والمعاليك ، فبالفوا في انشاء هذه المدارس والجوامع وشجعوا كذلك العلماء والفقهاء في تدريس فقه السنة على المذاهب الاربعة ، وأقرطوا في العطاء لهم ومنسوحهم الكثير من الامتيازات والمكافآت فتعجرت في قوص على أثر ذلك ثورة علمية ثقافية امتسدت أثرها الى عواصم العالم الاسلامي ، وقد تمثلت هذه الثورة في العديد من المدارس والجوامع التي كانت تكتظ بها هذه المدينة بالإضافة الى تلك الجموع الغفيرة من طلاب العلم

ابن العماد : جذرات الذهب ج ٦ ص ٥

الذهبي : تذكرة الحفاظ ج ٤ ص ٢٧٢

ابن حجر : الدرر الكامنة ج ٤ ص ٩١

والمعرفة الذين أخذوا يتوافدون عليها من مختلف مــــــدن
الصعيد يتلقون على أيدي هؤلاء العلماء والفقهاء العلوم
الإسلامية ويتفقهون في الدين الإسلامي الحنيف (١) .

وبذا كان البيت الذي انحدر منه ابن دقيق العيد
بيت علم ومعرفة ، وكذلك كانت المدينة التي نشأ فيها
مدينة علم ومعرفة .

وأبتدأ تقى الدين حياة العلمية من النقطة التي
بدأ منها كل علماء عصره وهي حفظ القرآن الكريم ، حتى
حصل منه على حظ عظيم ، ثم درس فقه المالكية على أبيه
وفقه الشافعية على تلميذ أبيه الشيخ بهاء الدين هبة الله
القفطي ، وكان يقول " البهاء معلمى " ، ودرس أشعرى
إقامته في قوص النحو وعلوم اللغة ، وقرأ العربية على
الشيخ شرف الدين محمد بن أبي الفضل المرسى ، وحضر
دروس القاضي شمس الدين محمود الأصمى لما كان حاكماً
بقوص (٢) .

وكان في صباه أبعد ما يكون عن اللعب واللهو ، وقد
ذكروا مره أنه لعب الشطرنج مع زوج أخته تقى الدين
بن ضياء الدين ، فلما جاء وقت صلاة العشاء قاما فطلياً ،
وبعد الانتهاء من الصلاة قال ابن دقيق العيد لصهره (تعود
إليها " (يعنى الشطرنج) فقال له صهره : " ان عادات
المقرب عدنا لها " . فلم يعد يلعبها طوال حياته (٣) ، وهذا

(١) محمد عبده الحجاوي : قوص في التاريخ الإسلامى ص ١٠٠/٩٩

(٢) الادفوى : الطالع العيد ص ٣١٩

ابن دقيق العيد : احكام الاحكام ج ١ ص ١٩/١٧

(٣) ابن دقيق العيد : احكام الاحكام ج ١ ص ٢٢

يعنى أنه كان مثال الجد والاجتهاد ، متقبلا للنصيحة من جهة أخرى .

كذلك كان عزيز النفس ، فقد حكى أنه كان في مجلس شرف الدين محمد بن أبي الفضل المرمى ، فسألهم عن سوء الـ فسكت من بالمجلس فقال شرف الدين : " أرأيتى أتكلم مع حمير " فلم يعد ابن دقيق العيد الى مجلسه بعد ذلك (١) .

ويروى الادفوى " أخبرنى الشيخ عماد الدين محمد بن حرى الدمياطى أنه رأى الأمير " الجوكندار (٢) " أتى اليه فتحرك له تحريكة لطيفة ، وسكت زمانا ثم قام اليه وقال " لعل للأمير حاجة (٣) " .

ثم أرتحل الى القاهرة حيث أتصل بالشيخ العز عبد العزيز بن عبد السلام وأخذ عنه الأصول وفقه الشافعية (٤) . وأرتحل الى دمشق فسمع عن أحمد بن عبد الدايم والزين خالد وغيرهما وعاد بعد ذلك الى مصر (٥) ، ثم عاد الى قـــموص وزار شيخة البهاء وتهيأت أثناء زيارته هذه المدرسة المجدية للدراسة ، فطلب منه واقفها أن يدرس بها فأجابته ابن دقيق العيد (٦) .

(١) ابن دقيق العيد : احكام الاحكام ج ١ ص ٢٣
الادفوى : الطالع السعيد ص ٢٢٦

(٢) الجوكندار : هو الذى يحمل جوكان السلطان أثناء لعبة الكرة

د. سعيد عاشور : العصر المماليكى فى مصر والشام ص ٤٠٧

(٣) الادفوى : الطالع السعيد ص ٥٨١

(٤) ابن دقيق العيد : احكام الاحكام ج ١ ص ١٩

(٥) ابن حجر : الدرر الكامنة ج ٤ ص ٩٢

(٦) الادفوى : الطالع السعيد ص ٤٠١

وكانت له المقدرة على المشاورة في طلب العلم مكبا على الاطلاع ، فآخذ به درس بالمدرسة النجبية ^(١) بقوص جملة الكتب الموجودة بها ومنها " عيون الأدلة " لابن القصار في نحو من ثلاثين مجلدا وعليها علامات له . كذلك أطلع على كتب المدرسة السابقية ^(٢) ، ومنها السنن الكبير للبيهقي ، وتاريخ الخطيب ، ومعجم الطبراني الكبير ، وكتاب البسيط للواحدى . وذكر الشيخ الفقيه سراج الدين الدندراوى " أنه لما ظهر الشرح الكبير للرافعى اشتراه بالف درهم ^(٣) "

قال البرزالي " ضجع على غزارة علمة وجودة ذهنة وتفطنة في العلوم خبير بصاعة الحديث عالم بالاسماء والمتون واللغات وله اليد الطولى في العربية والآداب ، كان شيخ البلاد وعالم العصر . وقال ابن الزملى " امام الاثمة في فنة وعلامة العلماء في عصره ، يعرف النحو واللغة واليه النهاية في التحقيق والتدقيق والفوس على المعانى " ^(٤) .

درس بالفاظلية ^(٥) والكاملية ^(٦) والصالحية ^(٧) بالقاهرة ، كما درس بالناصرية ^(٨) قرب مقام الامام الشافعى .

- (١) نسبة الى مؤسسها النجيب بن هبة الله القوصى سنة ٦٠٧ هـ
الادفوى : الطالع السعيد ص ٢٣٠
- (٢) نسبة الى السابق والى قوص الذى أمر بإنشائها
محمد عبده الحجاجى : قوص فى التاريخ الاسلامى ص ١٠١
- (٣) ابن دقيق العيد : احكام الاحكام ص ٢٢
- (٤) ابن حجر : الدرر الكامنة ج ٤ ص ٩٢
- (٥) نسبة الى القاضى الفاضل الذى أنشأها
- (٦) نسبة الى الملك الكامل الذى أنشأها سنة ٦٢١ هـ
السيوطى : حسن المعاصرة ج ٢ ص ١٨٨
- (٧) نسبة الى الملك الصالح نجم الدين أيوب الذى أنشأها سنة ٦٣٩ هـ
السيوطى : حسن المعاصرة ج ٢ ص ١٨٩
- (٨) نسبة الى الملك الناصر طلاح الدين الذى أنشأها سنة ٥٧٢ هـ
السيوطى : حسن المعاصرة ج ٢ ص ١٨٦

وكان للعلوم جامعا وفي فتونها بارعا " ولم يزل حافظا
لسانه مقبلا على شأنه وقف نفسه على العلوم وقصرها، ولو شاء
المعاد أن يعد كلماته لحصرها " (١) فأوقاة كلها معمورة
بالدروس والمطالعة أو التحصيل والاملاء ، فان أراح نفسه
من بعض ذلك العناء فلا يرى الا قائما يملأ في المحراب
أو جالسا يتلو كلام الله أو ما شيا يتفكر في خلق الله " .
طالما لازم السهر حتى أصفر وجهه الأصباح مشتغلا بالذكر والفكر
لابذوات اللفاظ الفصاح والوجوه المباح " .

وتهدى له الدنيا من الحسن جملة
يهم بها النساك لو شاهدوا البعض
فيعرض عنها لأهيا عن جمالها
ويوسعها بعدا ويرفضها رفضا
ويهر في ذكر ونكر وفي عملا
ومن بات صبا بالعلل جانب الغمضا
فهو منصرف بحجمه وفكره أثناء الليل وأطراف النهار
الى البحث والتحقيق والاستنباط والتدقيق أو الى الصلاة
وتعديس الله ، وأصدق مرآة لحياته في هذه الفترة قوله :
الجسم تذيبه حقوق الخدمة
والقلب عذابه علو الهمة
والعمر يداك ينقص في تعب
والراحة ماتت فعلها الرخصة (٢)

(١) السبكي : طبقات الشافعية ج ٦ ص ٣
ابن حجر : الدرر الكامنة ج ٤ ص ٩٣
(٢) الادفري : الطالع السعيد ص ٣١٧

• وقد ذكر الشيخ الحافظ أبي الحسين إيبك المصري عن
الصاحب شرف الدين محمد زين الدين بن بهاء الدين قال
" كان ابن دقيق العيد يقيم في منزلنا بمصر في غالب
الأوقات ، فكاننا نراه في الليل أمام مطبخنا يمشي في
جوانب البيت وهو يفكر إلى طلوع الفجر ، فإذا طلع الفجر
على الصبح ثم اضطجع إلى أن يتضح النهار ، وظل على ذلك
أربعين سنة . (١)

وحكى القاضي معين الدين أحمد بن توح أنه استمع إلى
الشيخ ليلة وهو يقرأ القرآن حتى جاء إلى قوله تعالى
" فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون
فما زال يكررها إلى مطلع الشمس . (٢)

وشهد له الجميع بكرامات الصالحين وعلامات العارفين ،
قال ابن سيد الناس أن جمال الدين محمد بن علي الهمداني
ذكر له أنهم قرأوا البخاري لدفع البلاء في وقعة حمص بين
التتار والملك المصور قلاوون سنة ٦٨٠ هـ ، فلقى ابن دقيق
العيد فقال له : " أنقضى الحال من بعد العمر أمر وبيات
المسلمون على كذا ، فليل له " نخير عنك " .
فقال " نعم " فقال له جمال الدين " عن يقين " فسمي :
" وهل يقال هذا عن غير يقين " ، فقال له : " عن معاينة
أو خبر " فقال " بل عن خبر " وكان الحال كما قال . (٣)

(١) ابن حجر : الدرر الكامنة ج ٤ ص ٩٤/٩٥

(٢) ابن دقيق العيد : احكام الاحكام ج ١ ص ٢٢

(٣) الادفوى : الطالع السعيد ص ٣٢٤

ابن حجر : الدرر الكامنة ج ٤ ص ٩٤

وعندما خرج الأمير علم الدين الدوادار^(١) المسافرا ، توجه الى أصحابه مودعا ، ودعوا له وقالوا : " نراك في خير وعافية إن شاء الله " فقال علم الدين : " الشيخ ابن دقيق العيد يقول : " انى ما أرجع " فقالوا : " يكذبون عليك " فلما حضروا الى الشيخ أخبروه ، قال : " نعم ما بقى يرجع " فلم يرجع . (٢)

وكان نور الدين ابن صاحب فخر الدين عمر بن عبد العزيز بن الخليلى جرى منه شيء ، فتألم الشيخ منه ودعا عليه ، فاتفقت وفاته في تلك المدة . (٣)

واتصف ابن دقيق العيد بالانصاف ، فقد حكى الشيخ حاج الدين الدشناوى قال : " خلوت به مرة فقال يافقيه نزل برؤية الشيخ ذكى الدين عبد العظيم ، فقلت وبرؤيتك فكسر الكلام وكررت الجواب ، فقال : كان الشيخ ذكى الدين أدين منى ، ثم سكت ساعة وقال : غير انى أعلم منه . (٤)

ولقد ذاع صيته واتسعت شهرته في أنحاء العالم الاسلامى يؤيد ذلك ما ذكره القلقشندى من أن الملك المؤيد ملك اليمن الذى اعتنق مذهب الشافعى واشتغل بالعلم واعتنى بجمع الكتب حتى اشتملت خزائنه على مائة ألف مجلد كان على صلة بالشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ويبحث اليه بهداياه وتحفه . (٥)

(١) الدوادار : أى ممسك الدواه ، وصاحبها يحمل دأوة السلطان أو الأمير ويقوم بإبلاغ الرسائل عنه وتقديم القصص والشكاوى اليه .

- د. سعيد عاشور : العصر المماليكى فى مصر والشام ص ٤١٦
 (٢) الادفوى : الطالع السعيد ص ٥٧٨
 (٣) الادفوى : الطالع السعيد ص ٥٧٨ / ٥٧٩
 (٤) الادفوى : الطالع السعيد ص ٥٩٦
 (٥) القلقشندى : صبح الاعشى ج ٥ ص ٢١

واختتم تقى الدين الطور الاخير من حياته بتولية منصب القضاء ، وهذه الفترة على قصرها اذ لم تزد مدتها على سبعة أعوام كانت أكثر سنى عمره وأيام حياته خطرا وأعظمها شأنا ، فقد كان من قبل بعيدا عن الدولة وأربابها وان كان له بذلك اتصال في بعض الاحيان فهو لا يقدّر ما هو بسبيله ممن أمور الشرع والدين . أما بعد أن ولي منصب قاضي القضاة ، فقد أصبح على اتصال وثيق بالسلطان وثائب السلطان والوزير وغيرهم من أصحاب السلطة .

ولى ابن دقيق العيد منصب قاضي القضاة في يوم السبت الثامن عشر من جمادى الاولى سنة ٦٩٥ هـ (١) في عهد السلطان لاجين ، وقد تردد في قبول هذا المنصب الذي اعتبره بعض المؤرخين زلة من زلاته " لكنه تولى القضاء في آخر عمره وذاق من حلوه ومره ، وحط ذلك عند أهل المعارف والاقدار من علو قدره وحن الظن ببعض الناس قد خل عليه اليأس ، وحصل له من الملامة نصيب والمجتهد يخطئ ويصيب ، ولوحيل بينه وبين القضاء لكان عند الناس أحمد عصره ومالك دهره وشورى زمانه وأوزاعى أوانه ، والمتقدم على كثير ممن تقدمه " (٢) .

ولكن هناك من الشواهد ما يشير الى أن ابن دقيق العيد كان يتطلع الى هذا المنصب بعد أن بلغ بتفوقه وغزارة علمه وحن تدينه ما لم يبلغه أحد سواه من رفعة المكانة وسمو المنزلة لدى معاصريه ، وكان يريد الى جانب الرفعة المعنوية رفعة في المنصب والمرتبة وليس ثمة منصب يطمع فيه ابن دقيق العيد أكثر من منصب قاضي القضاة ، لأن هذا المنصب كان في

(١) ابن حجر : الدرر الكامنة ج ٤ ص ٩٤

(٢) الادفري : الطالع السعيد ص ٣٢٥

ابن حجر : الدرر الكامنة ج ٤ ص ٩٤

ابن دقيق العيد : احكام الاحكام ج ١ ص ٣٢

أيامه هو أسمى ما يصوبوا اليه رجال الدين . وهو يقول فى
احدى قصائده :

يقولون لى هلا نهضت الى العلا فمالذ عيش الصابر المتقنع
وهلا شددت العيش حتى تحلها بمصر الى ظل الجانب المرفع
ففيها من الاعيان من فيض كفه اذا شاء روى سبله كل يلقع
وقبها قضاة ليس يخفى عليهم تعين كون العلم غير مضيع^(١)

فهذه القصيدة فى معناها تدل على انه كان يطمع فى
منصب قاضى القضاة ، فيقول أن الناس ينصحون له بالذهاب الى
مصر حاضرة البلاد ومقر السلاطين والامراء حيث يجد لديهم
الجمال الوفير ويظفر منهم بالحفاوة والتقدير ، إذ كان الامراء
والسلاطين فى ذلك الوقت اذا أعجبوا بعالم ولمسوا فيه
الكفاءة والجدارة أستدوا اليه منصبا يليق به ، وأهم
مناصب ذلك العصر بالنسبة لرجال الدين كان منصب قاضى القضاة .

ويبدو من هذه القصيدة أن ابن دقيق العيد كان مترددا
فى العمل بتلك النصيحة ، الا أنه عاد فانتص بها حيث ترك
قوص الى القاهرة لينال حظه فى هذا البلد الذى يقص بالعلماء
والادباء من أهل مصر وغيرها من عوام العالم الاسلامى ، لكنه
لم يظفر بأكثر من وظيفة التدريس كما كان الحال فى حياة
أستاذة العزيز بن عبد السلام ، فى حين انه كان يصوبوا الى
الظفر بمنصب قاضى القضاة الذى لم يصل اليه الا فى آخريات حياته
ولعل السبب فى ذلك يرجع الى أن ابن دقيق العيد كان معتزا
بنفسه حافظا لعاء وجهه لايجرى وراء الامراء ولايقف على أعتاب
السلاطين ، يدل على ذلك قوله فيما ينبغى للعلماء اتباعه
وعليهم اجتنابه .

(١) السبكى : طبقات الشافعية ج ٦ ص ٩
معيد النعم ومعيد النقم ص ٧٠

وفيها وفيها والمهانة ذلّة
فقم واسع واقتصد باب رزقك واقصرع
فقلت نعم أسعى إذا شئت أن أرى
ذليلاً مهانئاً مستخفاً بموضعى
وأسعى إذا مالذ لى طول موقفى
على باب محجوب اللقاء ممنوع
وأسعى إذا كان النفاق طريقتى
أروح وأغدو فى ثياب التصنع
وأسعى إذا لم يبق فى بقيّة

أراعى بها حق التقى والتورّع^(١)

فهذا الشعر الذى جاء على لسان ابن دقيق العيد يوضح
أن المناصب والمراتب فى عهده لم تكن لتنال فى أكثر الأحيان
الا بالمصانعة والمواهنة والنفاق واحتمال المهانة وقبول
المذلة ، وتلك خصال لا تتروفر فى مثله .

هذا بالإضافة الى أن هناك ظاهرة تستحق الوقوف عندها
والنظر اليها وهى أن تقى الدين كان مالكيًا ثم اعتنق مذهب
الشافعية ، وذلك دليل واضح على أنه كان يتحنن منذ أن أنهى
مرحلة التعلم فى حياته وبدأ مرحلة التدريس والاملاء تولى
منصب قاضى القضاة الذى كان وقتاً آنذاك على علماء الشافعية^(٢)
والأفاى شيء حمل ابن دقيق العيد على ترك مذهب الامام مالك
وهو مذهب أهل الصعيد بوجه عام ومذهب أبيه بوجه خاص .

(١) السبكي : طبقات الشافعية ج ٦ ص ٩

معبد النعم ومبید النقم ص ٧٠

(٢) تعدد منصب قاضى القضاة فى مصر والقاهرة وفق تعدد مذاهب
أهل السنة الأربعة على أيام السلطان الظاهر بيبرس

سنة ٦٦٣ هـ / ١٢٦٥ م

المقرئى: السلوك ج ١ ص ٥٢٨

ومهما يكن من أمر فقد تولى ابن دقيق العيد منصب قاضى
القضاة للديار المصرية على المذهب الشافعى واستمر فيه
حتى توفاه الله عن سبع وسبعين عاما . (١)

وكان سلوكه فى القضاء مثالا وقدوة للجميع ، فكان
قاضيا عادلا نزيها لا يامل فى الحق ولا يمالئ فى القضاء ،
فأصبح ذا مكانة عالية لدى الأمراء وأصحاب النفوذ والمكانة
العليا فى الدولة لصلابته فى الحق وتشبثه بالشرع ، كما كان
زاهدا فقد كانت القضاة يلجئون إليه فى الحرير فامتنع عن ذلك وأمر
بتفجيرها إلى الصوف . (٢)

لقد كانت وظيفة قاضى القضاء مرآة تجلت فيها شخصية
ابن دقيق العيد الدينية والعلمية ، وكانت أعماله وتصرفاته
أيام توليه القضاء دليلا قاطعا وبرهانا ساطعا على غسوط
نزاهته وشفقة ورعه وعظم تقواه ، وهذا خلاف ما روى عنه " ولو
لم يدخل القضاء لكان ثورى زمانه وأزاعي أوانه " . وذلك
يعنى أن القضاء أعتبر من الأمور التى تحط من قدره وتقدمه
على غيره فى التقى والصلاح . (٣) ولعل بعضهم كان متعسرا
فى مقاله هذا بما كان يتناول به المفروضون أو الحاقصون
عليه ، يؤكد ذلك ما قاله الادفوى " وحكى شرف الدين يعقوب
المالكي وكان من الفقهاء والمدول قال : كان فى نفسى
الصاحب تاج الدين من الشيخ ، وكان ابن الأرموفى وصلى
بوصية ومات ، فقال الصاحب لفقير من المصريين : اذهب
إلى الشيخ وأطلب منه شيئا من الوصية وقل له كذا وكذا

(١) السبكي : طبقات الشافعية ج ٦ ص ٢٢

المقريزى : اللوك ج ١ ص ٩٤٨

(٢) السيوطى : حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٣٤

(٣) الادفوى : الطالع السعيد ص ٢٢٤

فاذا قال فرغت ، قل له لو كان فلان القوصى وفلانته دفعتم
ورثتكم ، فحضر بجامع مصر وذكر ما رتب فيه ، فلما فسرغ
وخرج رفقة بقل فمات من ساعة . (١)

وهذا يدل على أن أعداء ابن دقيق العيد كانوا كثيرًا
ما يتقولون عليه وينسبون اليه مالا يفعل . ويروى الادفوى
قصة في هذا المقام الا يقول " وأخبرني برهان الدين المصرى
الحنفى الطيب وكان قد استوطن قوص لسنوات ، قال
" كنت أباشري وقفًا فأخذه منى شمس الدين بن أخى الشيخ
وولاه آخر ، فعز على ونظمت أبياتًا فى الشيخ فبلغته ، فأنا
أمشى مرة خلفه وإذا به قد التفت الى وقال : " يا فقيهة
بلغنى أنك هجوتنى ، فسكت زمانًا فقلت : أشدنى والى على
فأشددته :

وليت فولى الزهد عنك بأســــره

وبان لنا غير الذى كنت تظهر

ركنت الى الدنيا وماشرت أهلها

ولو كان عن جبر لقد كنت تعذر

فسكت زمانًا وقال : " ما حملك على هذا " فقلت " أنا

رجل فقير وأبشري وقفًا أخذته منى فلان " فقال " ما عطيت
بهذا ؟ أنت على حالك " فبأشرت الوقف مده . وخطر لى الحج
فجئت اليه استأذنه فد خلت خلفه فالتفت الى وقال " أمعك
هجو آخر ؟ " فقلت " لا ولكنى أريد الحج وجئت استأذن
سدى " فقال " مع العلامة ما نغير عليك " . (٢)

ومثل هذا الهجاء لم يكن يطابق الواقع ولا بصور
شيئا من الحقيقة ولا يدل على ظلم ابن دقيق العيد أو جور
لان الاوقاف أخذت من برهان الدين دون علمه كما يتضح

(١) الادفوى : الطالع السعيد ص ٢٢٤

(٢) الادفوى : الطالع السعيد ص ٢٢٨

من القصة ، وهي في جعلتها تدل على زراعتها في الحكم
وعدالتها في القضاء .

وخير دليل يصور لنا شخصية ابن دقيق العيد في
القضاء كتابه الذي أرسله الى عائبة بأخميم ويوضح لـه
الدستور الذي يجب على القاضي انتهاجه والالتزام به في
أحكامه وكيفية معالجة مشاكل الناس وقضاياهم .

" بسم الله الرحمن الرحيم " . الفقير الى الله محمد
بن علي ، يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم
نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد
لا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون ، هــ
المكاتبة الى مجلس مخلص الدين وفقه الله ليقول النصيحة
وأتمه لما يقربه قصدا صالحا ونية صحيحة ، أصدرنا اليه
بعد حمد الله الذي يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور ،
ويمهل حتى يلتبس الامر بالاهمال على المفرور ، تذكرة بأمر
ربك ، فان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون ، ويحذر
صفقة من باع الآخرة بالدنيا ، فما أحد سواه مغبون ، عسى
الله أن يرشده بهذا التذكار وينفعه وتأخذ هذه النواصيح
بحجزة عن النار ، فأنى اخاف أن يتردى فيجر من ولاء والعياد
بالله ، والمقتضى لاصداره ما لمحضاه من القفلة المستحكمة
على القلوب ، ومن تقاعد الهم عن القيام بما يجب للرب على
المربوب ، ومن أنسهم بهذه الدار وهم يزعمون عنها ، ومن
علمهم بما بين أيديهم من عقبة كروم وهم لا يتخفون منها ،
ولا سيما القضاء الذين يحملون عبء الأمانة على كواهل
ضعيفة ، وظهروا بصور كبار وهم نحيفه . والله ان الامر
لعظيم ، وان الخطب لجسيم ولا أرى مع ذلك أمنا ولا فرارا
ولا راحة ، اللهم الا رجلا سيد الآخرة ورأاه واتخذ الهـ

هواه ، وقصر همه وهمته على حظ نفسه من دنياه ، فغايية
مطلبه الحياه والميزلة في قلوب الناس وتحسين المراتب
والملبس والركبة والمجلس ، غير مستشعر خسة حالة ولا ركاسة
مقصدة ، فهذا لا كلام معه ، فأبئك لا تسمع الموتى وما أنست
بسمع من فى القبور . فاتق الله الذى ير الا حيث تقوم ، وأقصر
أملك عليه ، قال المحروم من أمته غير مرحوم . وما أنسا
وأنتم أيها المنقر الا كما قال حبيب العبدى وقد قال له
قائل : ليتنا لم نخلق . فقال : قد وقعتم فاحشالوا . وان
خفى عليك بعض هذا الخطر وشغلتك الدنيا أن تقضى من معرفة
الوطن ، فتاعل كلام النبوه : القضاة ثلاثة ، قاضى فى
الجنة وقاضيان فى النار ، وقوله صلى الله عليه وسلم
لمن خاطبة مشقفا عليه : لا تأمرن على اثنين ولا تلين مال
اليتيم ، لا حول ولا قوة الا بالله . وما أنا والسير فى
متلف يبرح بالذكر الطابط ، هيهات ، جف القلم ونفذ أمر
الله فلا راد لما حكم ، ومن هنالك شم الناس عن فم الصديق
رائحة الكبد المشوية ، وقال الفاروق ليت أم عمر لم تلده
واستلم عثمان وقال من أغمد سيفه فهو حر ، وقال لى
والخزائن مملوءة ذهبا وفضة ، من يشتري سيفى هذا ولو وجدت
ما أشتري به ردا ما بعته ، وقطع الخوف شياط قلب عمر
بن عبد المريز فعات من خشية المرض . وعلق بعض السملف
سوطا يؤدب نفسه اذا فتر . أفترى ذلك حدى ، أم نحن المقريون
وهم البعداء ، فهذه أحوال لا تؤخذ من كتاب السلم والاجاره
والجنائيات : نعم كلها تنال بالخضوع والخشوع وان تظلم
وتجوع . وما يمينك على الامر الذى دعوتك اليه ويزودك فى
سفرك للمعرض عليه أن تجعل لك وقتا تعمره بالتذكير
والتفكير وانهاية تجعلها معده لجلاء قلبك ، فانه اذا استحکم

مداه صعب تلافيه وأعرض عنه حتى هو أعلم بما فيه ، فاجعل
أكثر همومك لاستعداد الميعاد والتأهب لجواب الملك الجواد
فأنه يقول " فوربك لنسألهم أجمعين عما كانوا يعملون " ^(١)
ومهما وجدت من همتك قصورا وأستشعرت من نفسك نفورا فاجأرك
اليه وقف ببابه وأطلب منه فانه لا يعرض عن صدق ولا يقرب
عن عيلة خفايا الضمائر . فهذه نصيحتي اليك وحجتى بيــــ
يدى الله ان فرطت عليك ، فتسال الله لى ولك قلبا شاكرا
ولسانا ذاكرا وشفا مطمئنة بمنة وكرمه وخفى لطفه والسلام ^(٢)

فلا غرو ان وصفة معاصرة من المؤرخين بالنزاهة والتقى
والورع والتقدم على جميع معاصرة فى العلوم الدينية
والفنون الشرعية وبأنه من الشريعة ومصحح الاوضاع الدينية
وبأنه ينطبق عليه الحديث النبوى " ان الله يبعث على رأس
كل مائة عام من يجدد كتاب الامم وأمر دينها " . وفى هذا
يقول السبكي ما نمة : " ولم ندرك أحدا من مشايخنا يختلف
فى أن ابن دقيق العيد هو العالم المبعوث على المعائن
المشار اليه فى الحديث المصطفى النبوى صلى الله عليه
وسلم " . ^(٣)

ورغم انه كان كثير المكارم الفسافية والمحاسن
الانسانية لكنه كان غالبا فى فاقة تلزمه الاضافة فيحتاج
الى الاسدانة ، وقد تغض به الى الوجه المعروف بالصيانة ^(٣)

(١) الادقوى : الطالع السعيد من ٥٩٧ / ٥٩٨ / ٥٩٩

السيوطى : حن المحاضرة ج ١ ص ١٢٥ / ١٢٦

المقرئى : السلوك ج ١ ص ٩٤٨

(٢) السبكي : طبقات الشافعية ج ٦ ص ٣

(٣) الادقوى : الطالع السعيد ص ٣٣٤

وحكى الشيخ تاج الدين محمد بن أحمد الدشناوى فقال
 " حضرت عنده ليلة وهو يطلب شمعة فلم يجد معه شمعا فقال
 لأولاده : فيكم من معه درهم فسكتوا ، وأردت أن أقول معي درهم
 فخشيت أن ينكر على فانه كان اذ ذاك قاضي القضاة ، فكرر
 الكلام ، فقلت معي درهم ، فقال : ماسكوتك (١)

وهذا يدل على أن ابن دقيق العيد قد ذاق مرارة الفاقة
 وقاسى من الفقر الكثير ، وانه كان يبلغ به الفقر الى درجة
 يكون لامناص معها له من أحد أمرين ، إما أن يبذل ماء الوجه
 الذى عرف بالميانة أو انه يحفظ ماء وجهه ويربأ بكرامته
 فلا يستجدى الناس ، وحتى اذا ما أجبرته حالته على الاستجداء
 أو طلب المساعدة لا يكون ذلك مراعاة ولكنه يكون تلميحاً ، ويذكر
 ابن الكويك التاجر أنه قال " وجدت مرة فى فاقة فقلت له :
 ألا تكتب ورقة الى صاحب اليمن ؟ فكتب ورقة لطيفة جاء فيها :
 تجادل أرباب الفضائل اذا رأوا

بضاعته موكومة الحظ فى الثمن
 وقالوا عرضها فلم تلق طالبا

ولامن له فى مثلها نظر حسن
 ولم يبق الا رفضها واضطراحها

فقلت لهم لاتعجلوا السوق باليمن (٢)

وهكذا كان الشيخ تقي الدين محمد بن دقيق العيد ،
 ورعا زاهدا كريما " وبالجمل فالاستغراق فى مناقبه يخرج عن
 الامكان ويحتاج الى توالى الزمان " (٣)

(١) ابن دقيق العيد : احكام الاحكام ج ١ ص ٢٢

(٢) الادفوى : الطالع السعيد ص ٢٣٥

(٣) الادفوى : الطالع السعيد ص ٢١٨

ابن دقيق العيد
العالم الفقيه
والشاعر الأديب

نشأ ابن دقيق العيد - كما أوضحنا - في بيت من أشرف بيوتات أهل الصعيد ، وهذا البيت عرف أفرادَه بالعلم والدين وأنه أخذ العلم عن أبيه وعن الشيخ بهاء الدين هبة الله القفطي وغيرها ، ثم ارتحل إلى القاهرة فسمع بها الحديث واتمل بالشيخ عن الدين عبد السلام ، ثم ارتحل إلى دمشق وسمع من علماءها ، ويقول ابن سيد الناس في ترجمة له " سمع الحديث بمصر والشام والحجاز على تحرر في ذلك واحترار " (١) وروى الإدفوي عن الحافظ محمد بن سيد الناس أنه قال في ترجمته له مانعه " لم أر مثله فيمن رأيته ولا حملت من أجل منه فيما رأيته ورويته ، وكان للعلوم جامعاً وفي فنونها بارعاً مقدماً في معرفة علل الحديث على أقرانه منفرداً بهذا الفن النفيس في زمانه . (٢)

ومما يدل على تمكن ابن دقيق العيد في علم الحديث أنه كتب في هذا كتاباً أسماه " الاقتراح في معرفة الإصطلاح " . وكل من ذكره أقرى عليه ووصفه بأنه كتاب جليل الفائده . وكان على معرفة كبيرة بعلم مصطلح الحديث ممتنعاً عن رواية الحديث لأدنى شك يخامرُه . ذكر ابن حجر " أن قطب الدين الطبري قال : أتيت - يعني ابن دقيق العيد - بجزء سمعته عن ابن رواج والطبقة بخطه ، فقال : حتى أنظر فيه ثم عدت له بعد مدة فقال : هو خطي ولكن لا أحقق سماعه ولا أذكره ولم

(١) الإدفوي : الطالع الصعيد ص ٢١٨

(٢) الإدفوي : الطالع الصعيد ص ٢١٨

يحدث به " . ثم قال ابن حجر " وكذلك لم يحدث عن أبي -
المغير مع صحة سماعه منه لكن شك هل نص حال السماع أم لا (١)
وهذا أكبر شاهد على أن ابن دقيق العيد كان يتشدد في
رواية الحديث ، ورغم أن الطبقة كانت بخطة فلم يرضى
أن يروى عن ابن المغير مع صحة سماعه منه لأنه شك في كيفية
تحمله عنه إذ لم يستطع أن يذكر حالته التي كان عليها
أثناء سماعه هل كان نعماً أم كان يقظاً .

أما كتابه المسمى " الإلمام الجامع أحاديث الأحكام "
فلو كملت نسخته في الوجود لأنت عن كل مصنف في ذلك موجود .
قال قاضي القضاة موفق الدين عبد الله الحنبلي ، سمعت
الشيخ تقي الدين بن تيمية يقول " هو كتاب الإسلام " وقسم
لى الشيخ فخر الدين النويري " ما عمل أحد مثله ولا الحافظ
الضياء ولا جدى أبو البركات وحات كتابه الإلمام مع صغر حجمه
من هذا الفن جملة من علمه . (٢)

كما صف وأمل " أحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام "
وهو يدل على منزلة في العلم ومكانة في الفقه .

وخلاصة القول فابن دقيق العيد عالم من علماء الحديث ،
وهو أحد الحفاظ الثقات ، وليس غريباً أن يكلف برواية
الحديث ودراسة علومه وأن يعنى بذلك عناية كبرى ، إذ عرفنا
أن ابن دقيق العيد كان اماماً من أشد الفقه . فمعرفة
علم الفقه على الوجه الأكمل تقتضى دراية الحديث ومعرفة

(١) ابن حجر : الدرر الكامنة ج ٤ ص ٩٣

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى ج ١ ص ٤٧١

ابن دقيق العيد : أحكام الأحكام ج ١ ص ٢٠

ابن حجر : الدرر الكامنة ج ٤ ص ٩٢

علمه وطرق الرواية والاسانيد لان الاحكام الفقهية انما هي مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله . ومن هنا كانت عناية العلماء والفقهاء وبخاصة المجتهدون بالحديث وطرق روايته لان الحديث كان عروة للوضع والتدليس بسبب تعدد الفـرق الاسلامية من جهة وظهور الشوعية من جهة أخرى التى كان لها دخل كبير فى وضع كثير من الاحاديث ، فالشيعة كانوا كثيرا ما ينسبون الى النبى عليه السلام احاديث تتعلق بأمامة على وأولاده ، وكذلك رجال علم الكلام كالمعتزلة والاشاعرة وغيرهم فكل فرقة منهم كانت تنسب الى النبى من الاحاديث مايؤيد وجهة نظرها .

ثم يجرى دور ابن دقيق العيد بمعرفته لعلم التفسير وأصول الفقه . يقول الادفوى " ان ذكر التفسير فمحمود فيه محمود المذهب ، أو الحديث فالقشيري فيه صاحب الرقم المعظم والطراز المذهب ، أو الفقه فأبو الفتح العسريزى الامام الذى اليه الاجتهاد ينسب ، أو الاصول فأين ابن الخطيب من الخطيب ، وهل يقرن المخطيء بالمصيب ، ثم قال " وقام بوظيفة التحقيق والتدقيق التى لا يطيقها غيره من أهل زمانه ولا عليها يقوى مع ترك المباهاة بما لديه من الفضائل والسلامة من الدعوى وجعل وظيفة العلم والعمل له مله حتى قال بعض الفضلاء من مائة سنة ، ما رأى الناس مثله حسان علما ودينا ونزاهة فعظم قدرا وجاها ووجاهة " (١)

يروى عبد العظيم بن أبى الاصع صاحب البديع فى كتابه قال : " ذكرت للفقيه الفاضل تقي الدين محمد بن على بن وهب القشيري أبقاه الله تعالى وهو من الزكاء والمعرفة

(١) الادفوى : الطالع المعيد ص ٣١٧

على حالة لا أعرف أحد في زمن عليها ، ذكرت له عشرة وجوه من المبالغة في قوله تعالى " أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخل وأعناب " وغبت عنه قليلا ، ثم اجتمعت به فذكر لي أنه احتبظ فيها أربعة وعشرين وجها من المبالغة ، فسألته أن يكتبها لي فكتبها بخطه وسمعتها عنه بقراءته واعترفت له بالفضل (١).

وهذا دليل على ربح قدم ابن دقيق العيد في العلم وتفوقه في شتى أنواعه على جميع أقرانه ، وقد وصفه الحافظ فتح الدين ابن سيد الناس في ترجمته بما هو أهل له " وكان حسن الاستنباط للاحكام والمعاني من السنة والكتاب بلب يسحر الباب وفكر يفتح ما يتغلق على غيره من الابواب ، مستعين على ذلك بما رواه من العلوم ، مستعين ما هنالك بما رواه من مدارك المفهوم مبرز في العلوم النقلية والعقلية والممالك الاثرية والمدارك النظرية .

وكان من العلوم بحيث يقضى له من كل علم بالجميع (٢).

وربما لا تتعدى معرفة الكثيرين على أن ابن دقيق العيد كان قاضي قضاة مصر ومن علمائها العاملين ، فالي جانب هذا كان شاعرا وأديبا . وان كان أرياب فن القول يمتاز كل منهم بنوع من أنواعه أو فن من فنونه كانه يبرز أحدهم في الشعر والآثار في الكتابة والانشاء ، والثالث في الخطابة ، فان الشيخ قد جمع بين تلك الفنون مع الاجادة والابداع والتفوق " اذا خطب أسهب في البلاغة وأطنب في البراعة ، أو كتب فوحى الكلام يتنزل على يراعه (٣).

(١) ابن حجر : الدرر الكامنة ج ٤ ص ٩٥

(٢) السبكي : طبقات الشافعية ج ٦ ص ٣/٢

(٣) الادفوري : الطالع السعيد ص ٢١٧

يقول الادفوى عن ابن سيد الناس في ترجمته لابن دقيق العيد صانعه " وله مع ذلك في الادب باع وساع ، وكرم طباع لم يخل في بعضها من حسن انطباع ، حتى لقد كان محمود الكاتب المجيد في تلك المذاهب المشهود له بالتقدم فيما يشاء من الانشاء على أهل المثارق والمفارب ، لم تر عينى آدب منه " (١).

ومن نشرة " الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله وبعد : فان الفقه في الدين منزلة لا يخفى شرفها وعلاها ولا يحتجب عن العقول طوالها وأضواها ، وأرفعها بعد فهم كتاب الله المنزل البحث عن معاني حديث نبيه المرسل ، اذ بذلك تثبت القواعد ويمتقر الاساس ، وعنه يقوم الاجماع ويصدر القياس ، وما تقدم شرعا تعين تقديمه شرعا ، وما كان محمولا على الرأس لا يحسن أن يجعل موضوعا ، ولكون شرط ذلك عندنا أن يحفظ هذا النظام ، ويجعل الرأي هو العاموم والنص هو الامام ، وترد المذاهب اليه ، وتضمم الاراء المنتشرة حتى تقف بين يديه ، وأما أن يجعل الفراغ أصلا يرد النص اليه بالتكليف والتحليل ، وأنى يصح التوازن بصيران مال أحد الجانبين فيه ؟ ومتى ينصف حاكم ملكية عصبية العصبية ، وأين يقع الحق من خاطر أخذته العسرة بالحمية وإنما يحكم بالعدل عند تعادل الطرفين ، ويظهر الجور عند تقابل المنحرفين " (٢).

ومع ذلك فكان خفيف الروح لطيفا على نك وورع وديس متبع ينشد الشعر والموشح والزجل والموال ، وكان يستحسن

(١) الادفوى : الطالع السعيد ص ٢١٩

(٢) السبكي : طبقات الشافعية ج ٦ ص ١٢
الادفوى : الطالع السعيد ص ٥٨٧/٥٨٨

ذلك (١) ويجب سماعة وانشاده ، يدل على ذلك ما رواه الادفوى
اذ قال " وحكى لى صاحبنا الاديب الثقة مجد الدين عمير
بن الملطى قال : كنت مره بمصر فى حاجة وطلعت الى القاهرة
فقالوا الشيخ طلبك مرات فجئت اليه ، فقال أين كنت ؟ قلت
بمصر فى حاجة ، فقال : طلبتك ، سمعت اننا ينشد خارج
الكاملية :

بكيت قالوا عائشــــــــق

سكت قالوا قد ســــــــلا

طليت قالوا ذا كــــــــر

ما أكثر فضول النــــــــاس

قال فاعجبني . (٢)

ومن نظمة .

يامر ضاعنى ولست بمعــــــــرض

بل ناقصنا عهدى ولت بشاــــــــض

أتميتنى بخلائق لك لم تــــــــد

فيها وقد جمحت رياضة راقــــــــص

أرضيت أن تختار رقص مدنيــــــــا

فتشع الاعداء أنك راقــــــــص (٣)

ومن نظمة أيضاً

أعيت نغمك بين ذله كــــــــادج

طلب الحياه وبين حرم مؤــــــــمل

(١) : ابن دقيق العيد : احكام الاحكام ج ١ ص ٢٤

(٢) الادفوى : الطالع السعيد ص ٢٢٧

(٣) ابن حجر : الدرر الكامنة ج ٤ ص ٩٦ حاشية ١

الادفوى : الطالع السعيد ص ٢٢٢

وأضعت عمرك لا خلاعة ما جـ
حطت فيه ولا وقار مـجـلـ
وتركت حظ السفر في الدنيا وفي الأ
خرى ورحلت عن الجميع بمعزل (١)
ومن شهر ابن دقيق العيد
ذروا في السرى نحو الجنب الممنوع
لذيذ الكرى وأخفوا له كل مضجع
واهدوا إذا جئتم إلى خير مريض
تحية مضي هائم القلب مرجع
سريع إلى داعي الصباية طبع
يقوم بأحكام الهوى ويقيمها
فكم ليله قد نازلته همومها
فسامرها حتى تولت نجومها
له فكره فيمن يحب فد يـمـها
وطرف إلى اللقيا كثير التطلع
وكم ذاق في أحواله طعم مجنة
وكم عاد منه من مواقف فتنة
ولم أنه يأتى بها بعد أنـه
تتم على سر له في أكنـه
وتجبر عن قلب له متقطـع (٢)

بهذا تتضح شخصية ابن دقيق العيد الأدبية وميلـه
إلى الرعاية شأنه في ذلك شأن المصريين فهم لا يعشـقون

(١) ابن حجر : الدرر الكامنة ج ٤ ص ٩٦

(٢) السبكي : طبقات الشافعية ج ٦ ص ٦

الكتبي : فوات الوفيات ج ٢ ص ٢٥

الخرمت ولا يميلون الى السكنى المملية .

هذا وقد كانت وفاته في يوم الجمعة الحادى عشر من مفر
سنة ٧٠٢ هـ ، ودفن يوم السبت بفتح المقطم ، وكان ذلك
يوما مشهودا عزيزا في الوجود سارع الناس اليه ووقف
جيش مصر ينتظر الصلاة عليه ، ورثاه جماعة من الفضلاء
والادباء بالقاهرة وقوص . (١)

بعض شيوخ هذا العصر

أشهر مشايخ هذا العصر هو عن الدين بن عبد السلام
شيخ ابن دقيق العيد وأستاذه ، سماه ابن دقيق العيد
بسلطان العلماء لعلمه الغزير واطلاعه الواسع وإيمانه
القوى وحبته البالغة وزهده وحيه للحق . هذا وقد كانت
ولادة ابن عبد السلام في بلاد الشام سنة ٥٧٧ هـ / ١١٨١ م ومات
بالقاهرة سنة ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م أى أنه عمر نحو ٨٣ سنة
ومعنى هذا أنه عاصر الدولتين الايوبية والمملوكية كتلميذه
ابن دقيق العيد ، وان كانت المدة التى قضاها في ظل الدولة
الايوبية أكبر من الفترة التى عاشها في دولة المماليك ،
وذلك على العكس من حياة ابن دقيق العيد إذ قضى أكثرها
في عصر المماليك . وابن عبد السلام عاش في بلاد الشام
حتى سنة ٦٢٩ هـ / ١٢٤١ م ثم خرج منها الى مصر حيث أقام
بها حتى وافته المنية ، وهذا يعنى أنه أمضى في مصر
نحو ١١ من احدى وعشرين سنة ولى خلالها عناصبا هامة منها

(١) الادفرى : الطالع المعيد ص ٣٣٨

المقريزى : السلوك ج ١ ص ٩٤٨

قاضي القضاء والتدريس بالمدرسة الصالحية ، وكان اليه
أمر الافتاء فلا يجري أحد من العلماء على الافتاء مع وجود
ابن عبد السلام في مصر والقاهرة . وكان معروفا بالمحافظة
على الشريعة والتعصب في الدين والتشدد في الحق لا يرهب
السلطين ولا يخشى سطوة الامراء ، يدل على ذلك مواقفه
المشهورة من الملوك والامراء في مصر والشام . وابن دقيق
العيد أشبه بأستاذه في التعصب للحق والتشدد في الدين .
وقد كان ابن عبد السلام عالما صريحا أقر له الجميع
بالفضل والتقدم في العلم والدين والمداله في الحكم
والنزاهة في القضاء ، وقد ذكروا له مؤلفات أربت على
العشرين كتابا منها :

- ١ - الفتاوى الموصليّة
- ٢ - مختصر النهاية واسمة الفاية
- ٣ - شجرة المعارف
- ٤ - القواعد الكبرى في الشريعة
- ٥ - مجاز القرآن في الشريعة
- ٦ - مختصر صحيح مسلم
- ٧ - الإمام في أدله الاحكام

عموما فان كتبه لاتخرج عن دائرة العلوم الدينيّة
اذ أن بعضها في التفسير والحديث وبعضها في الامول والفقه
والبعض الآخر في التصوف ، وله كتاب مشهور باسم " حـسـبـل
الرموز ومفاتيح الكنوز " وهو في التصوف ، ولا عجب أن
يكون صوفيا ، فقد كان يدرس في المدرسة الصالحية الفقه
وأصوله وعلوم الحديث ، وفي الوقت ذاته كان شيخ خاشعا

سعيد السعداء . (١) وهو بهذا قد زاد على تلميذه ابن دقيق العيد ، اذ لم يكتب الاخير فى التصوف ولا تولى مشيخة خانقاه ، بل روى عنه ما يدل على أنه كان ينكر على المتصوفة ما كانوا يرتكبونه من أفعال وما يتفوهون به من أقوال ويحكى أنه قال لتلاميذه بالمدرسة الكاملية حيث سمع متصوفا يقول كلاما مبهما " هل فہمتم شيئا " فقالوا : " لا " قال " وأنا لم أفہم منه شيئا " . وهذا يدل على أن ابن دقيق العيد لم يكن من المتصوفة . (٢)

ولعل ذلك يقودنا الى معرفة واتجاه الثقافة والطابع العام للحركة الفكرية والعلمية فى عصر شخصية البحث وهو أن جهود العلماء انصرفت الى الدين ، وذلك بحكم الأوضاع السياسية والدينية التى كانت تصود ذلك العصر فالملاحظ أن مصر شهدت فى عصر المماليك نشاطا دينيا منقطع التظير ، وقد يكون السر فى هذا النشاط الدينى هو شعور المماليك أنفسهم بأنهم أغراب عن البلاد وأهلها مفتصرون للحكم والعرش من أصحاب الشرعيين ، ولذلك ارادوا أن يتخذوا من الدين ورجاله ستارا يخفى هذه الحقائق عن أعين المحكومين ، ويقربهم الى قلوب الشعب ، ومما دام المماليك مسلمون يؤمنون بالله ورسوله ويعرضون على

(١) هي دار السعيد السعداء قبر عتيق الخليفة المستنصر، فلما حكم صلاح الدين وقفها على الصوفية فى سنة ٥٦٩ هـ، وهى أول خانقاه بنديار عصر ونعت شيخها بشيخ الشيوخ . السيوطى : حسن المحاضرة ج ٢ ص ١٨٧

(٢) ترجمة عز الدين بن عبد السلام مأخوذة من كتاب طبقات الشافعية ج ٥ ص ٨٠ ، وفوات الوفيات ج ١ ص ٣٦٦ ، وعن المحاضرة ج ١ ص ١٤١/١٤٢/١٩٢ وج ٢ ص ١٣٠ ، وبداية الزهور ج ١ ص ٩٤/٩٥/١٠١/١٢٠

اقامة شعائر الدين واحياء سنن الاولين ويعلمون المعاجد
فهم اذا حكام صالحون ولا داعي للتفكير كثيرا في أمليهم
وطريقة وصولهم الى الحكم . (١)

وقد تجلى تطور عناية المصريين بالتاريخ على اختلاف
أنواعه وتعدد فروع في العصر الاسلامي منذ القرن الثاني
 للهجرة ، واستمر نشاط هؤلاء المؤرخين قويا وظل تبارهم
جارفا وبخاصة حين استعمرت مصر ذاتيتها المستقلة .

ولسنا هنا بصدد تتبع الحركة التاريخية في مصر وبيان
ما وضع في ذلك من مؤلفات في علم التاريخ في مختلف
العصور ، وانما نحن بصدد عصر معين بالذات وهي تلك الحقبة
التي عاشها ابن دقيق العيد . ففي هذا العصر ظهر عدد كبير
من المؤرخين ولعل أشهرهم هو القاضي محي الدين عبد الله بن
عبد الظاهر المولود بالقاهرة سنة ٦٢٠ هـ / ١٢٢٣ م المتوفى
سنة ٦٩٢ هـ / ١٢٩٣ م وقد تولى القضاء ورياسة ديوان الرسائل
للملك الظاهر بيبرس ، وقد وضع هذا القاضي عدة كتب
تاريخية نذكر منها " الروضة البهية الزاهرة والخطوط
المصرية القاهرة " . والواضح من أسم هذا الكتاب أنه
من سلسلة حلقات فن الخط الذي بدأ به عبد الرحمن
بن عبد الحكم في كتابة فتوح مصر وتحدث فيه عن خطط الفسطاط
وتتمة عدد من المؤرخين المصريين الذين تحدثوا عيسى بن
الخطط أيضا ، الى أن جاء ابن عبد الظاهر وتحدث عن خطط
القاهرة ، وله كتاب اسمه " اللطاف الخفية من السيرة
الشريفة السلطانية الملكية الاشرفية " وهو في أخبار مصر
في عهد الاشرف خليل قلاوون انتهى به الى حوادث سنة ٦٩٠ هـ /
١٢٩١ م . ووضع فخر الدين عثمان النابلس تاريخ الغيبة

(١) د . سعيد عاشور : مصر المعاليكي في مصر والشام ص ٣٣٦

وبلاده انتهى فيه بحوادث سنة ١٢٤١هـ/١٢٤٣م أما ابن العماد
الاسكندرانى المتوفى سنة ١٢٧٣هـ/١٢٧٤م فقد وضع كتابا فسمى
" تاريخ الاسكندرية " ووضع يحيى بن حميدة المتوفى سنة
١٢٤٠هـ/١٢٤٢م كتابا فى " تاريخ مصر العام " مرتبا حسب
السنين . كما وضع جمال الدين القفطى المتوفى سنة
١٢٤٦هـ/١٢٤٨م كتابا فى تاريخ مصر انتهى به الى حكم صلاح
الدين . وكتب عبد الله بن محمد المعروف بابن ميسر المتوفى
سنة ١٢٧٧هـ/١٢٧٨م كتابا " تاريخ مصر " جعله وقفا على تاريخ
الفاطمين . وكتب جمال الدين بن واصل المتوفى سنة ٦٩٧ هـ /
١٢٩٨م كتابا " مفرج الكروب فى اخبار بنى ايوب " .

ومن هذا كله نستطيع أن ندرك أن المصريين عنوا قسرا
هذه الفترة بتاريخ بلدهم ورجالها شأنهم فى ذلك فى كل
العصور التاريخية .

المراجع والمصادر

ابن الاثير : (عز الدين أبي الحسن علي)

= اللباب في تهذيب الانساب

جزءان مطبعة السعادة بالقاهرة ١٣٥٧ هـ

الادفوى : (كمال الدين أبو الفضل جعفر بن شعلب)

= الطالع السعيد الجامع لاسماء الغفلاء والبراه

بأعلى الصعيد، مطبعة الجمالية بالقاهرة ١٣٢٢ هـ

وطبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦ م

ابن آياس : (أبو البركات محمد بن أحمد)

= بدائع الزهور في وقائع الدهور

جزءان المطبعة الاميرية بالقاهرة ١٣١١ هـ

ابن تغري بردى : (جمال الدين أبو المحاسن يوسف)

= النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة

١٢ جزء مطبعة دار الكتب بالقاهرة ١٩٢٩ م

ابن دقيق العيد : (تقي الدين محمد بن وهب)

= احكام الاحكام شرح عمده الاحكام

الجزء الاول مطبعة السنة المحمدية

بالقاهرة ١٣٧٢ هـ

الذهبي : (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان)

= تذكرة الحفاظ

٥ أجزاء طبعة حيدر آباد ١٣٢٣ هـ

السبكي : (عبد الوهاب بن علي)

= طبقات الشافعية الكبرى

٦ أجزاء المطبعة الحسينية بالقاهرة ١٣٢٤ هـ

= مهيد النعم ومبيد النقم

مطبعة دار الكتاب العربي بالقاهرة ١٣٦٧ هـ

سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور)

= العصر المالكي في مصر والشام

القاهرة ١٩٦٥

السيوطي : (جلال الدين عبد الرحمن)

= حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة

جزءان مطبعة اشارة الوطن ١٣٩٩ هـ

ابن شاکر الكتبي : (محمد بن شاکر بن أحمد)

= فوات الوفيات

جزءان مطبعة بولاق بالقاهرة ١٢٨٣ هـ

١٨٨١م

العقلائي : (ابن حجر)

= الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة

٤ أجزاء دار المعارف العثمانية ١٣٤٩ هـ

ابن العماد : (أبو الفلاح عبد الحى الحنبلى)

= شذرات الذهب في أخبار من ذهب

١٢ جزء مكتبة القدس بالقاهرة ١٣٥٠/١٣٥٢ هـ

القلقشندي : (أبو العباس أحمد)
= صبح الاعشى فى صناعة الانشا
١٤ جزء القاهرة ١٩١٣ / ١٩٢٠ م

محمد عبده الحجاجى
= قوس فى التاريخ الاسلامى
الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٢

القريزى : (تقى الدين أحمد بن على)
= كتاب الملوك لمعرفة دول الملوك
الجزءين الاول والثانى فى ٦ مجلدات تحقيق دكتور
محمد مصطفى زيادة مطبعة دار الكتب ١٩٣٤/١٩٤٢

والجزءين الثالث والرابع فى ٦ مجلدات تحقيق
دكتور سعيد عبد الفتاح عاشور مطبعة دار الكتب ١٩٧١/١٩٧٢

تم بحمد الله تعالى تصوير وطبع
هذه المجلة بقسم التصوير بمطبعة جامعة
الاسكندرية في يوم السبت ٢٢ من ذوالحجة
سنة ١٤٠٥ هـ الموافق ٧ سبتمبر سنة ١٩٨٥م

مدير المطبعة

محمد عبد السلام

